جَامِعُ البَيَانِ فِي مُتَشَابِهِ القُرْآنِ

الجُزْءُ الثَّانِي

مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ

أ. د/ زَكِي بنُ مُحَمَّد أَبو سَرِيع

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة

قِسْمُ القرآنِ وعلومه

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
أبو سريع، زكي أبو سريع
جامع البيان في متشابه القرآن./ زكي محمد أبو سريع. - الرياض، ١٤٢٧هـ
٢ مج
.. ص .. سم
ردمك: ٥-١٢٣-٥١-٩٩٦٠ (مجموعة)
١-١٢٥-٥١-٩٩٦٠ (ج٢)
١- القرآن - المحكم والمتشابه أ- العنوان
ديوي ٢٢٦,٦٣ ١٤٢٧/٥٣٧٢

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥٣٧٢
ردمك: ٥-١٢٣-٥١-٩٩٦٠ (مجموعة)
١-١٢٥-٥١-٩٩٦٠ (ج٢)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤
المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

جَامِعُ البَيَانِ

في

مُتَشَابِهِ القُرْآنِ

(٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

إلى الســـائرين عـــلى طريـــق الحـــق

وإلى المتطلعـــين إلى ســـكينة القلـــوب

وإلى اللائـــذين بواحـــات القـــرآن

أهـــــدي هـــــذا الكتـــــاب..

كتبه العبد الفقير

إلى عفو مولاه القدير

زكي بن محمد أبو سريع

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم هو ذلك الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ..

وقد ضمنه منزله العلوم كلها، وما يحتاج إليه المكلفون في حياتهم الأولى من تكاليف شرعية. وفي الثانية ما يترتب على الأولى من عدل وإحسان ..

ولعلك – أيها القارئ الكريم – تلمس ذلك في قوله الله – سبحانه وتعالى – : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [1] . وكتابٌ – هذا شأنه – لابد أن يكون متسق الألفاظ متوافق المعاني آخذاً بعضه بعناق بعض، يمهد أوله لآخره، ويصدق آخره أوله في وحدة موضوعية لا تخاذل فيه ولا عوج...

---

(١) الآية (٨٩) من سورة النحل.

ولا يقوى على هذا الأمر العظيم إلا من أحاط بكل شيء علماً...

قال- جل وعلا-: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1].

وقال- عز وجل-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[2].

والقارئ المتدبر يلمس صدق من أنزل القرآن ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾[3] ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[4] ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾[5]

وسلف هذه الأمة كانوا يدركون تلك الحقائق بمجرد أن يتلى عليهم القرآن أو يتلوه، وما هذا إلا لاستواء عقولهم وصفاء فطرهم ونقاء قرائحهم وقوة لغتهم، وما كانوا يتساءلون عن بعض الألفاظ المتشابهة أو

(١) الآيتان (٢٧، ٢٨) من سورة الزمر.

(٢) الآية (٨٢) من سورة النساء.

(٣) الآية (١٢٢) من السورة السابقة.

(٤) الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم.

(٥) الآيات (٤٤-٤٧) من سورة الحاقة.

يُسألون إلا بين الحين والحين..

ولما بدت أسباب الضعف اللغوي في منتصف القرن الثاني الهجري- تقريباً- وجد على ساحة القرآن تساؤلات كثيرة حول بعض الآيات القرآنية يبدو عليها التعارض: والحق أنه وفاق لا شقاق!!!

هذا الأمر الجلل- سيما وأنه مرتبط بالكتاب العظيم- جعل فريقاً من العلماء يجلون الحقائق ويبرزون الأسرار والدقائق بلا عنت ولا تكلف ولا حرج..

فطاش سهم الحاقدين، وتداعت شبه المارقين، وانكشفت مسالك الجاهلين المبطلين.

ومن هنا ظهرت عقائد المتعاملين مع القرآن من محبين، يقدمون للإسلام والدراسات القرآنية كل ما يملكون.. وآخرين متعثرين يلتمسون له العثرات، ويفتعلون في طريقه الشبهات.. فإن ناقشتهم تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ولا يجدون إلى الهداية سبيلاً ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[1].

وكتابات علمائنا في هذا المضمار تدور بين الإطناب والمساواة والإيجاز. كما أن الأسلوب يقوم على التصريح تارة والتلويح تارة أخرى.

---

(١) الآية (٢٦) من سورة الزمر.

وإذا طال العهد اكتفوا بالإحالات العلمية.. فسبحان مَنْ له الكمال!!!

ولا يخفى على أحد أن عطاء القرآن العظيم لا ينضب وإمداده لا يتوقف، تحقيقاً لقوله- جل وعلا- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ومما تجدر الإشارة إليه والتنبيه عليه أن ثمرة هذه الدراسات من الأمور التوفيقية لا التوقيفية؛ لذا نجد بعضها وافياً بالغرض مع تباعد جوانب القضية المطروحة، وبعضها الآخر قاصراً عن درك المطلوب. ومع هذا فالكل يسعى إلى غايته أصاب أم أخطأ، وما يشفع لهم أنهم حسنوا النوايا ولا عليهم بعد ذلك فهم بين أجر أو أجرين!!!

وسأذكر بعض ما كتبه السابقون بشيء من الإيجاز:

١- أعد الإمام محمد بن المستنير أبو علي المشهور بقطرب المتوفى سنة ٢٠٦هـ كتاباً بعنوان «مشكل القرآن»؛ ليرد فيه على أسئلة أثارها الملحدون، معتقدين أنهم قد أثبتوا أن القرآن متناقض؛ فبين أنه غير مختلف ولا متعارض مع بيان زيف مفترياتهم وأباطيلهم ...

---

(١) الآية (٢٧) من سورة لقمان.

٢- كما قام عبد الله بن مسلم بن قتيبة [١] بإعداد كتاب وسماه «تأويل مشكل القرآن» وتولى الرد فيه على خصومه منتصفاً لعقيدته ومذهبه كما ضمنه تفسيراً لبعض المشكلات اللغوية والنحوية...

٣- كما أعد سلطان العلماء: العز بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ [٢] كتاباً بعنوان «فوائد في مشكل القرآن» وهو من الكتب النادرة والفريدة في بابها. فقد تعرض فيه لإشكالات قد تطرأ على ذهن القارئ لكتاب الله- تعالى- إما مبدئياً وإما بعد تدبره آيات التنزيل، وقد أضاف إلى ذلك بعض الإشكالات اللغوية والنحوية والأصولية والبلاغية وقرنها بالرد المناسب.

٤- وصنف القاضي عبد الجبار [٣] كتابيه: أحدهما بعنوان «تنزيه القرآن عن المطاعن» والآخر بعنوان «متشابه القرآن» وقد سلك فيه منهجاً غريباً.. إذا أنه بعد ذكره للآية التي يبدو عليها التشابه.. يحاول جاهداً الانتصار لمذهبه وعقيدته الاعتزالية، فيحمل الآيات ما لا تحتمل بتقديم

---

(١) المتوفى سنة ٢٧١هـ وقيل: ٢٧٦هـ.

(٢) راجع منهج العز بن عبد السلام في تفسير القرآن الكريم للمؤلف ص ١٣٤، الجزء الأول من هداية الأنام. ط. دار الطباعة المحمدية.

(٣) أحد علماء المعتزلة البارزين.

الحديث الضعيف على الصحيح، والقراءة الشاذة على المتواترة...

٥- ألف العلامة: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي صاحب مختار الصحاح من كتب اللغة والمتوفى سنة ٦٦٦هـ. كتاباً بعنوان «أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل» والمؤلف على الرغم من رسوخ قدمه في علوم الدين واللغة- إلا أن كتابه كان قاصراً في بابه؛ فقد يورد قولاً واحداً في القضية المطروحة ولا يشفى الغليل؛ وقد يذكر أقوالاً يبدو عليها التعارض أو: التداخل بلا تنصيص أو ترجيح.

٦- وألف تاج القراء: محمود بن حمزة بن نصير الكرماني المتوفى سنة ٥٠٥هـ كتاب «البرهان في توجيه متشابه القرآن» إلا أن هذا الكتاب يعول على التوفيق بين الألفاظ، أكثر من تعويله على التئام القضايا المطروحة من الناحية الموضوعية..

٧- وقريب من هذا: ما ألفه الشيخ: محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ وهو أحد علماء الهند البارزين..

٨- وألف الشيخ/ خليل يس كتاباً بعنوان «أضواء على متشابهات القرآن» والحق يقال أن عنوان الكتاب لا ينطبق على المعنون؛ بل هو أقرب إلى كتب غريب القرآن والملح العلمية والنكات البلاغية على أحسن ظن وتقدير.

وقد سلك مسلكاً يشبه مسلك الزمخشري في الانتصار لعقيدته فهو في كل مجال ينتصر لعقيدة التشيع. وقد ركب في ذلك كل صعب وذلول بالتأويل تارة وبالتطاول على أهل السنة والجماعة تارة أخرى..

والمسلك العلمي الصحيح: يقتضي أن يذكر الباحث أقوال المخالفين في المذهب أو العقيدة: ويبين ما لهم وما عليهم بالدليل الصحيح والأدب الجم واللسان العفيف؛ وقد علمنا القرآن أدب الحوار ومناقشة أقوال المخالفين حيث قال: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [1] ومواقع الحروف أو الكلمات أو الجمل من الإعراب ليس من المتشابه حتى تسود به الصفحات، ويحمل على هذا المجال حملاً.

والمعيار الذي يحكم به على الألفاظ والجمل: هل هي من المتشابه أم لا؟ هو الغموض والخفاء وعدم وصول الباحث إلى حقيقة المراد إلا بعد إعمال العقل وإجالة الفكر فإن كان بهذه المثابة فهو من المتشابه، وإلا فهو من قبيل المحكم..

هذا؛ وقد حصرت أسباب التشابه: سواء أكانت بسبب اللفظ أم بسبب المعنى أم بسببهما معاً في كتابي «أنوار البيان في علوم القرآن» [2]

---

(١) الآية (٢٤) من سورة سبأ.

(٢) أنوار البيان ١/ ١٠٠ دار الطباعة المحمدية.

فليرجع إليها من شاء..

وفي هذا المجال جدير بأن تجمع أقوال السابقين بعد تمحيصها في كل مسألة على حدة؛ ثم تقابل الأشباه بنظائرها، حتى نصل إلى مرحلة الترجيح؛ وفي هذا إعمال للعقول حتى تقوى على الاستنباط وتوسيع للصدور والآفاق فتُعرف قيمة الحق والصواب بعد معرفة مساوئ الباطل.. كما قال القائل: وبضدها تتميز الأشياء. أما الاكتفاء بقول واحد في كل مسألة راجحاً كان أو مرجوحاً فليس بكافٍ في هذا الشأن، بل يترتب عليه تقليد مفروض أو: رأي مرفوض: أو ضمور في التفكير أو: ضيق في الأفق!!!

أما المنهج العلمي الصحيح الذي سبقت الإشارة إليه: فهو المنهج الحق الذي على ضوئه يفوز من يفوز عن بينة، ويهلك من يهلك عن بينة ولا يظلم ربك أحداً.

تمهيـــد

لقد سبقني إلى الكتابة في هذا المجال شقيقي الأستاذ الدكتور/ أبو سريع محمد أبو سريع. فكان الجزء الأول مشتملاً على البحوث المتعلقة بالنصف الأول من القرآن الكريم؛ من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الكهف..

وكان العزم قد انعقد على أن يتناول النصف الثاني (الأخير) بالدراسة والبيان لما اشتبه على كثير من المسلمين أمره..

إلا أنه توقف عن إتمام هذا العمل الجليل؛ لأمور أعلم أنها خارجة عن حد الاستطاعة التي تبنى عليها سائر الأعمال الشرعية...

واستخرت الله- جل وعلا- في إتمام العمل- وإن كان دونه خرط القتاد [1] لولا فضل الله ورحمته وجميل توفيقه.

وما ذلك إلا لإتمام الفائدة وعموم النفع...

ولعل قارئاً مخلصاً يدعو لي بدعوة فأرزق على أثرها القبول...

وكان المنهج الذي سلكته في هذا الكتاب على النحو التالي:

١- اخترت الآيات التي تحقق فيها التشابه على حسب ترتيب

---

(١) أي: أمور لا تطاق غالباً.

السور؛ من أول سورة مريم إلى آخر سورة الناس...

٢- ضممت إلى كل آية ما يتفق معها في الموضوع حتى يزول التشابه القائم بسبب التعارض الظاهري...

٣-خرّجت الآيات مبيناً مواطنها في سورها...

٤- ذكرت ما يتفق وهذه الآيات من أحاديث السنة الشريفة حتى تتضح المسائل من الناحية الموضوعية...

٥- قمت بتخريج هذه الأحاديث من كتب السنة المعتمدة...

٦- جمعت أقوال العلماء المعتد بكلامهم حول كل مسألة مرجحاً ما يستحق الترجيح والتنصيص على ضعفه إن كان مرجوحاً... كل هذا بأدلة نقلية وأخرى عقلية أو إشارات أو لطائف لا يرفضها صريح النقل أو صحيح العقل.

٧- استبعدت الآيات التي هي من قبيل المجمل والمبين، أو: العام والخاص أو: الإطلاق والتقييد فلم أعدها من قبيل المتشابه تفادياً للتكرار ما أمكن...

هذه هي أهم نقاط وركائز المنهج الذي سلكته في تصنيف الجزء الثاني.. فإن كانت وفق المراد فمن فضل الله وآثار رحمته. وإن كانت دونه فهي محاولات بشرية تخطئ اليوم وقد تصيب غداً وما ذلك على الله ببعيد.

وكتب الراجي عفو ربه: د/ زكي محمد أبو سريع

سورة مريم

قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾[١]. وقال صلى الله عليه وسلم: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[٢].

وفي الآية الكريمة: دلالة على جواز الإرث من الأنبياء، والحديث الشريف ينفي ذلك؟ فكيف التوفيق؟

والجواب: أن المراد بالإرث في الآية: وراثة العلم والنبوة والأخلاق، دون المال والملك؛ والمراد بقوله- صلى الله عليه وسلم- «لا نورث: المال؛ ويؤيده قوله: «ما تركناه صدقة» فلا تنافي بين الآية والحديث.

وكان زكريا- عليه السلام- قد طلب من الله- عز وجل- ثلاثة أشياء: أن يهبه ولياً، وأن يورثه علم النبوة وأخلاق زكريا، وأن يورثه ملك آل يعقوب؛ فأجابه الله- تعالى- إلى الأولى والثانية، ومنعه الثالثة.

وقيل: إن في الآية دلالة على أن الأنبياء يورثون المال؛ وأن المراد

---

(١) الآيتان (٥، ٦).

(٢) فتح الباري ١٢/ ٨. ط. دار الفكر، مسند الربيع بن حبيب ٢/ ٦٢ مكتبة الثقافة.

بالإرث المذكور فيها: المال؛ دون العلم والنبوة؛ إذ أن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على من ينتقل من الموروث إلى الوارث كالمال؛ ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع؛ ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة.

وأيضاً فإن زكريا- عليه السلام- قال في دعائه﴿ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴾ أي: اجعل يا رب ذلك الولي الذي يرثني مرضياً عندك ممتثلاً لأمرك. ومتى حملنا الإرث على النبوة؛ لم يكن لذلك معنى، وكان لغواً وعبثاً؛ ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد: اللهم ابعث لنا نبياً؛ واجعله عاقلاً مرضياً في أخلاقه؛ لأنه إذا كان نبياً؛ فقد دخل الرضا وما هو أعظم من الرضا في النبوة؛ ويقوي ما قلناه: أن زكريا- عليه السلام- صرح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله: ﴿ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي ﴾ وإنما يطلب وارثاً لأجل خوفه؛ ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم؛ لأنه- عليه السلام- كان أعلم بالله- تعالى- من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوة؛ وأن يورث علمه وحكمته من ليس لهما بأهل. ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس؛ فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته"[1].

---

(١) مجمع البيان ١٦/ ١٢

وهذا القول مردود: أولاً: لمعارضته لظاهر الحديث؛ وثانياً: لأن لفظة الميراث مستعملة في كل ما ينتقل من الموروث إلى الوارث؛ سواء أكان ذلك مالاً؛ أم نبوة؛ أو: علماً؛ أو: خلقاً؛ أو: مكانة. ألا ترى أن العرب- في الجاهلية كانوا يرثون: زوجة الرجل من بعده. قال- تعالى- : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾[1] وقال- عز وجل-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ﴾[2]. وفي الدعاء «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا؛ واجعله الوارث منا»[3] فتخصيص لفظ الميراث وإطلاقه على المال دون غيره تخصيص بلا مخصص.

وأيضاً: إن سلمنا أن لفظ الميراث لا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة؛ فالدلالة: إطلاقه على غير المال في قوله- تعالى- ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ﴾[4] أي: في النبوة؛ إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك؛ ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة. إذ من المعلوم المقرر في جميع الشرائع: أن الولد يرث أباه؛ فلولا أنه وراثة خاصة لما أخبر بها.

(١) من الآية (١٩) من سورة النساء.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة مريم.

(٣) البخاري في الأدب ٦٥٠ ط. دار الفكر، كنز العمال ٣٦٢١. دار التراث الإسلامي.

(٤) من الآية (١٦) من سورة النمل.

ومما يدل على ذلك- أيضاً- قوله- صلى الله عليه وسلم- «نحن معاشر الأنبياء لا نورث. ما تركناه صدقة»(١) فلو اقتصر على قوله «لا نورث» لعلمنا أنهم لا يورثون في أي شيء؛ ولكن قوله: «ما تركناه صدقة» دل على أنهم لا يورثون في الأموال. ولقد نقض الطبرسي رأيه هذا عند تفسيره لقوله- تعالى- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ إذ قال في هذا دلالة على أن الأنبياء لا يورثون المال كتوريث غيرهم؛ وهو: قول الحسن.

وقيل معناه: أنه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر أولاده. ومعنى الميراث هنا: أنه قام مقامه في ذلك، فأطلق عليه اسم الإرث؛ كما أطلق على الجنة اسم الإرث؛ .. عن الجبائي. وهذا خلاف الظاهر؛ والصحيح عند أهل البيت هو: الأول، وكذا عند تفسيره لقوله- تعالى- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢) قال: ومعنى الإرث: انتهاء الحكم إليهم؛ ومصيره لهم.

وأما قوله: إذا كان نبياً؛ فقد دخل الرضا؛ وما هو أعظم من الرضا في النبوة؛ ومتى حملنا الإرث على النبوة لم يكن لذلك معنى؛ وكان لغواً عبثاً، فليس كذلك؛ بل له معنى: وهو بيان الانقياد والتسليم والإذعان

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) من الآية (٣٢) من سورة فاطر.

بأن تلك المنة من الله- سبحانه- وكأنه يطلب له: أن يكون شاكراً خاضعاً لله، محبوباً عند خلقه.

وقد قال إبراهيم- عليه السلام- ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾(١). وقال سليمان- عليه السلام- ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٢)وقال عيسى- عليه السلام-. ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ٣٠ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ٣١ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا﴾(٣). وهذه كلها صفات داخلة في النبوة.

وأما قوله: ولا يليق خوفه منهم- أي: من بني عمه إلا بالمال دون النبوة والعلم فمردود: بأنه لا يجوز لنبي من الأنبياء أن يكون هدفه إيثار الحياة الدنيا على الآخرة؛ أضف إلى هذا، أن زكريا- عليه السلام- كغيره من عامة الأنبياء- لم يكن عنده من المال: ما يجعله غرضه من طلب الولد: إرث المال. فقد روى أبو هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «أن زكريا كان نجاراً»(٤). وأيضاً لو كان غرضه- عليه

(١) من الآية (٣٥) من سورة إبراهيم.

(٢) من الآية (١٩) من سورة النمل.

(٣) الآيات (٣٠-٣٢) من سورة مريم.

(٤) لم أقف على تخريجه.

السلام- من الولد إرث المال؛ ما كانت دعوته قد تحققت؛ إذ المشهور: أن يحيى قُتل في حياة زكريا- عليهما السلام- وقد قال الله- تعالى- ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾[1].

ولا يقال: كيف يرث العلم والنبوة- وقد قتل قبل أبيه-؟ لأن المراد: وراثة العلم والنبوة؟ ولو في حياة زكريا- عليهما السلام-.

وقيل: إن زكريا- عليه السلام- دعا ربه أن يرزقه وليّاً يرثه؛ فاستجيب له بهبة الولد وإيجاده؛ دون الإرث منه. وقد تتخلف إجابة بعض الأنبياء لقضاء الله بخلافها؛ ويشهد لذلك قول نبينا- صلى الله عليه وسلم- «سألت ربي أن لا يذيقن أمتي بعضهم بأس بعض فمنعنيها»[2].

وقيل: إن يحيى بقي بعد زكريا- عليهما السلام- برهة؛ فلا إشكال حينئذ[3].

***

(١) الآيتان (٨٩، ٩٠) من سورة الأنبياء.

(٢) المسند ١/ ٧٥ ط. الميمنية، مجمع الزوائد ٧/ ٢٢٢ ط. القدسي.

(٣) مسائل الرازي ٢٠٩، الفتوحات الآلهية ٣/ ٥٣، تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٣.

يقول الله- عز وجل- ﴿ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ﴾[1].

إنما يتعوذ من الفاجر الفاسق لا المؤمن التقي؛ فكيف تعوذت مريم- رضي الله عنها- بالرحمن منه إن كان تقيّاً؟

والجواب: أن المعنى إن كنت ممن يتقي الله ويخشاه؛ فانته عني بتعوذي بالله منك؛ ومعنى أعوذ: أحصل على ثمرة التعوذ؛ وهذا ما عليه المحققون.

وقيل: هو على المبالغة؛ والمعنى: إني أعوذ منك إن كنت تقيّاً؛ فكيف يكون حالي في القرب منك إلى الله- تعالى- إذا لم تكن تقيّاً.

ونظير هذا ما جاء في الخبر «نعم العبد صهيب؛ لو لم يخف الله لم يعصه»[2] ومعناه: أنه إذا كان بحال لو لم يخف الله- تعالى- لا يوجد منه عصيان؛ فكيف يكون حاله إذا خاف الله- تعالى-؟

وقيل: المعنى: إني أعوذ بالرحمن منك إلا أن تكون تقيّاً؛ كما في قراءة أبي رجاء وابن مسعود- رضي الله عنهما-.

وقيل: إن معنى (إن كنت تقيّاً) ما كنت تقيّاً؛ حيث استخلصت

---

(١) الآية (١٧، ١٨) من سورة مريم.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٤٧ ط. دار الأندلس

النظر إليَّ وخلوت بي.

وقيل: إن تقيّاً رجل صالح؛ فتعوذت منه تعجباً.

وقيل: إنه كان في زمانها رجل اسمه تقيّ؛ ولم يكن تقيّاً؛ بل كان فاجراً؛ فظنته إياه فتعوذت منه [1].

* * *

قال الله- تعالى- ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[2].

اتفق العلماء على أن الوحي لم ينزل على امرأة ولا صبيّ؛ فكيف قال﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ ؟ كما أن الوهاب لكل شيء هو الله- تعالى- فكيف قال: ﴿ لِأَهَبَ لَكِ ﴾ ؟

والجواب عن الأولى: أن الوحي الذي اتفق العلماء على أنه لم ينزل على امرأة ولا صبيّ: هو وحي الرسالة؛ ولم يوح إلى مريم- رضي الله عنها- برسالة. أما وحي الإلهام، ووحي المنام، ووحي البشارة؛ فلا مانع من نزوله على غير الأنبياء، كما في قوله- تعالى- ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ

(١) مسائل الرازي ٢١٠-٢١١، مجمع البيان ١٦/ ٢٣، فتح القدير ٣/ ٣٢٨.

(٢) من الآية (١٧) من سورة مريم.

.... ﴾ الآية[١]. وكما في قوله- سبحانه- ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ .... ﴾[٢]. وكما في قوله- عز وجل- ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾.

والجواب الثاني: أنه لما كان الرسول مكلفاً من قبل الله- عز وجل- بتنفيذ أوامره؛ وهو السبب في حصول المراد- صحت إضافة الهبة إليه- وإن كان الواهب الحقيقي هو الله- جل جلاله- والمعنى: لأكون سبباً في هبة الولد بواسطة النفخ في الدرع.

وقيل إن المعنى: إنما أنا رسول ربك بقوله لك: أرسلت رسولي إليك لأهب لك؛ فيكون الكلام حكاية عن الله- تعالى- لا عَنْ قول- جبريل- عليه السلام- ويكون فعل الهبة مسنداً إلى الله- تعالى- لا إليه.

وهذا القول: يبعده التعسر والتكلف[٣].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾[٤].

---

(١) من الآية (٧) من سورة القصص.

(٢) من الآية (٤٣) من سورة يوسف.

(٣) مسائل الرازي ٢١١ بتصرف.

(٤) من الآية (٢٣) من سورة مريم.

علمت مريم- رضي الله عنها- أن الله بعث لها جبريل- عليه السلام- يبشرها بكلمة منه اسمه المسيح- عيسى بن مريم- وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين؛ ووعدها بأن يجعلها وولدها آية للعالمين، فكيف- بعد هذا- تتمنى الموت؟ وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم- «لا يتمنين أحكم الموت لضرّ أصابه؛ إما محسناً فلعله أن يزداد؛ وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب»(١).

والجواب أنها تمنت الموت من جهة الدين؛ إذ خافت أن يظن بها السوء في دينها؛ أو أنها استحيت من الناس؛ فأنساها الاستحياء بشارة الملائكة بعيسى- عليه السلام- أو: لعلها قالت ذلك لئلا تقع المصيبة بمن يتكلم فيها؛ وإلا فهي راضية بما بشرت به(٢).

***

قال الله- تبارك وتعالى- ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾(٣).

أمرت مريم- رضي الله عنها- بالإمساك عن الكلام- أي:

---

(١) الكامل في الضعفاء لابن عدي ٦/ ٣٦٠ ط. دار الفكر، وبتقديم وتأخير: صحيح مسلم في الذكر والدعاء الباب الرابع: ١٠.

(٢) الفتوحات الإلهية ٣/ ٥٧..

(٣) من الآية (٢٦) من سورة مريم.

السكوت والصمت وهو نوع من الصيام؛ فكيف أمرها بأن تقول لهم ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ وهذا القول منها مخالف للسكوت؟

والجواب: أنه إنما أمرها بذلك لأنه تمام نذرها؛ فإنها لم تكن مأمورة بنذر مطلق السكوت حتى يندرج فيه: الكف عن الذكر والتسبيح والدعاء ونحوها؛ بل بنذر السكوت عن تكليم الإنس. وإذا كان تمام نذرها بقولها ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ لا تكون مكلمة لإنس بعد تمام النذر (١).

وقيل: إن وقت وفائها بالنذر ليس هو وقت قولها: (إِنِّي نَذَرْتُ ...) بل كان وقت الوفاء حينما يجتمع عليها الناس، وينكرون عليها ابنها الذي أتت به من دون زوج؛ ولذا أشارت إليه بأن يكلمهم ليكون ذلك أوقع في العجز؛ وأبرأ لساحتها؛ وأنزه لشرفها. ويدل على هذا قوله ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾. فقد علق قولها على رؤية واحد من الناس (٢).

ويرد على هذا القول أن الاعتراض مازال قائماً حتى بعد اجتماع

---

(١) مسائل الرازي ٢١٣.

(٢) أضواء على متشابهات القرآن ٢/ ٨.

الناس عليها؛ لأنها إما أن لا تتكلم؛ وفي هذا مخالفة لقوله (فقولي إني نذرت..) وإما أن تقول (إِنِّي نَذَرْتُ ..) فتكون قد تكلمت وهي صائمة.

والصحيح: إن هذا القول من تمام نذرها؛ فلا أحد يعلم أنها صائمة إلا به؛ فإذا علموا توقفوا عن مجادلتها، وأمسكوا عن استرسال الحديث معها.

ولا يقال: إنها قد أشارت إلى ابنها، وقد تنزل الإشارة والرمز منزلة الكلام، وتدل على ما يدل عليه؛ فقد استثنى الله- عز وجل- الرّمز من الكلام حيث قال: ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[1]. فتكون قد نقضت صومها؛ لأن المراد: توقفها عن النطق بالألفاظ والحروف. فعن الفراء أن العرب تسمي كل ما وصل إلى الإنسان كلاماً؛ بأي طريقة كان؛ ما لم يؤكد بالمصدر؛ فإذا أكد، لم يكن إلا حقيقة الكلام.

وقيل: إن قولها: (إني نذرت للرحمن صوما...) إلخ؛ وإن كان عامّاً؛ إلا أنه بالقرينة العقلية صار مخصوصاً بهذا الموضوع. وعليه فقولها (إني نذرت..) ليس ناقضاً للصوم، لأنها لم تتحدث في تلك الفرية.

وقيل: أخبرتهم بالنذر عن طريق الإشارة؛ والمراد بالقول هنا: التفهيم بالإشارة، فربما يسمى التفهيم بالإشارة قولاً. ويومئ إلى هذا

---

(١) من الآية (٤١) من سورة آل عمران.

القول: قوله بعد (فأشارت إليه) مع أنها قد صامت.

وقد أمرها الله- تعالى- بالإمساك عن النطق؛ والصمت عن الكلام منعاً للجدال، وإعراضاً عن الجاهلين. فإذا كان الريب قد ساور قلوب العابدين معها في بيت المقدس من الأقارب، فكيف بعامة الناس الأباعد؟[1].

***

يقول- جل شأنه- ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[2].

الضرورة والحاجة تدعو إلى أن يتكلم عيسى- عليه السلام- أول ما ينطق وهو في المهد صبيّاً- في تبرئة ساحة والدته ونفي التهمة عنها؛ وجعله نبيّاً مباركاً أينما كان؟ كما أنه من المعلوم شرعاً: أن الصلاة لا تجب إلا بعد التمييز أو البلوغ. والزكاة لا تجب إلا على المالك للنصاب؛ فكيف ذكر أن الله أوصاه بهما مدة حياته؟

والجواب عن الأول: أن تبرئة ساحة أمه ونفى التهمة عنها؛ إنما يتجلى بمجرد نطقه وهو في المهد صبياً- إذ لم يعهد من مثله الكلام؛ فدل

---

(١) تفسير الرازي ٢١/ ٢٠٨، الميزان في تفسير القرآن ٢١/ ٢٠٨، النيسابوري ١٦/ ٥١.

(٢) الآيتان (٣٠، ٣١) من سورة مريم.

نطقه على أنه أمر خارق للعادة- فكان كلامه في المهد إلى جانب هذا- إقرار واعتراف على نفسه بعبوديته الكاملة لله؛ واختصاصه من بين أقرانه بتحمل كتابه وتبليغ رسالته، وما كان الله- عز وجل- ليخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد من سفاح وليس من نكاح؛ فالكلام أيضاً قد تناول طهارتها واصطفاءها على نساء زمانها.

وقيل: إنه جعل إزالة التهمة عن الله- تعالى أولى من إزالة التهمة عن أمه فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية؛ لتحصل إزالة التهمة عن الأم؛ لأن الله- تعالى-لم يختص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا؛ والتكلم بإزالة التهمة عن أمه لا يفيد إزالة التهمة عن الله- سبحانه وتعالى- فكان الاشتغال بذلك أولى [١].

وما من شك في أن مقصده بالتهمة نسبة الولد إلى الله- سبحانه- وفي هذا نظر؛ ففي وقت ولادة عيسى- عليه السلام- بل وبعد وفاته، ما كان ثمة نسبة الولد إلى الله- سبحانه- بل كانوا ينزهون الله- تعالى- عن كل نقص؛ ويثبتون له الكمال المطلق؛ وما كانت تلك الفرية إلا بعد تقادم العهود، وتفاوت العصور، وترجمة كتابهم ونقله إلى غير لغته الأصلية مما أدى إلى تحريفه وتبديله.

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٢١٩.

نعم؛ يمكن أن يكون في كلام عيسى- عليه السلام- هذا إشارة ورد إلى ما سوف يحدثونه بعده.

وقيل: إنه وصف نفسه بصفات ثمانية: أولها العبودية؛ فاعترف بها لئلا يتخذوه إلهاً؛ وآخرها تأمين الله في أخوف المقامات؛ وكل هذه الصفات تقتضي تبرئة أمه [١].

والجواب عن الثاني: أن تأخير الخطاب إلى غاية البلوغ وغيرها؛ إنما هو لغرض حصول العقل والتمييز، وعيسى- عليه السلام- كان واجداً للعقل والتمييز التام في تلك الحالة؛ فتوجه نحوه الخطاب ليفعلهما إذا قدر على ذلك، ولهذا قيل: إنه أعطي النبوة في صباه أيضاً. فقوله: (وأوصاني بالصلاة والزكاة) لا يدل على أنه أوصاه بأدائهما في الحال؛ بل المراد: أوصاه بأدائهما في الوقت المعين لهما- وهو البلوغ- بالنسبة للصلاة وملك النصاب بالنسبة للزكاة؛ إلا إن أريد بالزكاة: تزكية النفس وتطهيرها عن الرذائل والمعاصي. ويكون التعبير بالماضي من باب تنزيل ما لم يقع منزلة الواقع؛ تنبيهاً على تحقق وقوعه، لكونه قد سبق في القضاء المبرم. كقوله- تعالى- ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ .... ﴾ [٢].

---

(١) الفتوحات الإلهية ٣/ ٦.

(٢) الآية (١١٦) من سورة المائدة.

والجواب: أن المراد بالورود في الآية الأولى: نفس دخول النار، كما قال- تعالى- ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾[١] وقال عز وجل. ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[٢]فأوردهم بمعنى: أدخلهم، وواردون بمعنى: داخلون، فيدخلها الناس جميعاً، ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٣]. والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه.

والدليل على ذلك: ما أخرجه الإمام أحمد؛ والترمذي والحاكم، وجماعة؛ عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود؛ فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن؛ وقال آخر: يدخلونها جميعاً؛ ثم ينجي الله الذي اتقوا؛ فلقيت جابراً ابن عبد الله- رضي الله عنهما- فذكرت ذلك له، فقال: وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها؛ فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً. كما كانت على إبراهيم- عليه السلام- حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا»[٤].

---

(١) من الآية (٩٨) من سورة هود.

(٢) الآية (٦١) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية (٦١) من سورة الزمر.

(٤) المستدرك ٤/ ٥٨٧ ط. بيروت، التمهيد ٦/ ٣٥٦ط. المغرب

ويدل على ذلك- أيضاً- أن نافعاً بن الأزرق سأل ابن عباس رضي الله عنهما في الورود؛ فقال ابن عباس- رضي الله عنهما- هو الدخول؛ فقال نافع: ليس الورود: الدخول، فقرأ ابن عباس ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع، أنا وأنت سنردها: وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك»(١).

ويدل عليه- أيضاً- ما روي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم؛ وفي رواية: إلا تحلة القسم. وأراد بالقسم قوله- تعالى- ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(٢).

وعن أم مبشر الأنصارية- رضي الله عنها- أنها سمعت النبي- صلى الله عليه وسلم- يقول عند حفصة: «لا يدخل النار- إن شاء الله تعالى- من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها، قالت بلى يا رسول الله؛ فانتهرها؛ فقالت حفصة﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- قد قال الله- تعالى- ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا

---

(١) فتح القدير ٣/ ٣٤٦ ط. دار الفكر.

(٢) البخاري ٨/ ١٦٨، التمهيد ٩/ ٣٤٦، كنز العمال ٨/ ٦٦.

جِثِيًّا ﴾[١].

ولا يقال: كيف يرفع عن المؤمنين حر النار وعذابها وهم فيها؟ لأن الله قادر على أن يخمد النار؛ فيعبرها المؤمنون. وقادر على أن يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة؛ والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت في حق إبراهيم- عليه السلام- ولأن الملائكة الموكلين بها لا يجدون ألمها.

ولا يقال: إذا لم يكن على المؤمنين عذاب؛ فما فائدة دخولهم النار؟ لأن ذلك مما يزيدهم غبطة وسروراً؛ إذا علموا الخلاص منه. كما أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب: صار سبباً لمزيد تلذذهم بنعيم الجنة، كما أن فيه مزيد غم على أهل النار؛ حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها.

وقيل: ليس المراد من الورود: الدخول فيها؛ لأن المؤمن لا يدخل النار أبداً، وإنما المراد بالورود: هو المرور عليها؛ والرؤية لها، والقرب منها؛ دون الدخول فيها- لأن الناس يمرون على الصراط- وهو جسر منصوب على متن جهنم- ويدل على أن الورود هو: المرور دون الدخول:

(١) سنن أبي داود ح ٤٦٥٣، كنز العمال ٤٥٦.

قوله- تعالى- أي: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾[1] حضر.

وقال خالد بن معدان: يقول أهل الجنة: ألم يعدنا ربنا أن نرد النار؟ فيقال: بلى؛ ولكنكم مررتم بها وهي خامدة. وفي الحديث: «تقول النار للمؤمن: جز يا مؤمن؛ فقد أطفأ نورك لهبي»[2].

وعلى هذا فلا تنافٍ بين الآيتين؛ إذ أن معنى الآية الثانية يكون: إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى مبعدون عن عذاب النار وألمها؛ وذلك بعد دخولهم فيها، ثم تنجيتهم منها دون أن يمسهم سوء أو ينالهم أذىً. أو: أن المعنى: إن الذي سبقت لهم من الله الحسنى؛ مبعدون من عذاب النار وألمها؛ وذلك بعد رؤيتهم لها ومرورهم عليها؛ وقربهم منها دون دخولهم فيها.

وقيل: إن الضمير في قوله﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ يعود إلى القيامة وليس إلى النار...

وهذا قول ضعيف جدّاً لمعارضته النصوص السابقة.

---

(١) الآية (٢٣) من سورة القصص.

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٠؛ كنز العمال ٢٩-٣٩.

وقيل: المراد من قوله- تعالى- ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ مَنْ حُمَّ من المسلمين؛ فمن حُمَّ فقد وردها؛ وفي الخبر «الحمى من كير جهنم؛ وهي حظ المؤمن من النار»(١).

***

يقول الله- سبحانه- ﴿ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴾(٢).

وقال- عز وجل- ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(٣).

في الآية الأولى دلالة على أن الله- عز وجل- هو الذي يتولى- كتابة الحسنات والسيئات؛ وفي الثانية دلالة على أن الذي يتولى ذلك هم الملائكة؛ فكيف الجمع؟

والجواب: أنه لما كان- تعالى- هو الخالق لكل شيء؛ وقد وكل ملائكته في تنفيذ مراده، صحت نسبة الفعل إلى الله- عز وجل- في الأولى؛ ونسبته إلى الملائكة في الثانية.

وقيل: إن معنى (سنكتب) ستكتب ملائكتنا الموكلة به؛ ما يقوله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٧٨ ط. دار الأندلس، تفسير الخازن ٣/ ٢٢٧، البيضاوي ٢/ ٤٠.

(٢) الآيتان (٧٩، ٨٠) من سورة مريم.

(٣) الآية (١٨) من سورة ق.

عند بلوغه حد التكليف لنجازيه به في الآخرة. وهو معنى قوله- تعالى- ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1].

ويرد على هذا القول: عدم اتحاد الضمائر في (نكتب- نمد- نرث- يأتينا).

* * *

قال الله- تعالى- ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴾[2].

ما معنى انفطار السموات؛ وانشقاق الأرض؛ وخرور الجبال من دعوتهم الولد لله- سبحانه- وكيف تؤثر هذه الكلمات في الجمادات؟

والجواب: أن المعنى: كأن الله- تعالى- يقول: كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند صدور هذه الكلمة غضباً على قائلها؛ لولا حلمي وإمهالي وأن لا أعجل العقوبة؛ كما قال- تعالى- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾[3]. يعني: أن تخر على المشركين؛ وتنشق الأرض بهم. ويدل على هذا قوله- تعالى- في آخر الآية ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ٢/ ١١.

(٢) الآيات من (٨٨-٩٠) من سورة مريم.

(٣) من الآية (٤١) من سورة فاطر.

غَفُورًا ﴾[1].

وقيل: إن ذلك استعظاماً لقبح هذه الكلمة؛ وتصويراً لشناعتها في الدين؛ وهدماً لأركانه وقواعده؛ وأثرها في المحسوسات أن يصيب هذه الأجسام التي هي قوام العالم ما تنفطر منه فتنشق وتخر[2].

***

يقول الله- سبحانه- ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾[3].

كيف وحد (الرحم) و(آتيه) وجمع (أحصاهم) و(عدهم)؟

والجواب: أن لكل لفظ توحيد وتأويل جمع؛ فالتوحيد محمول على اللفظ؛ والجمع مصروف إلى التأويل؛ فالتوحيد فيه مراعاة للفظ (كل) والجمع فيه مراعاة لمعناها[4].

---

(١) من الآية (٤٤) من سورة فاطر.

(٢) مسائل الرازي ٢١٧.

(٣) الآيات من (٩٣-٩٥) من سورة مريم.

(٤) زاد المسير ٥/ ٦٦، الفتوحات الإلهية ٣/ ٨٠.

سورة طه

قال الله- تعالى- ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾(١).

وقال- سبحانه- ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾(٢).

وقال- عز وجل- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣).

في الآيتين الأولين دلالة على أن الله- تعالى- مستوٍ على عرشه، متعال على جميع خلقه؛ وفي الآية الثالثة: دلالة على أنه سبحانه مع جميع خلقه أينما كانوا؛ وحيثما وجدوا، فكيف الجمع؟

والجواب: أنه ليس المراد من الاستواء: الاستواء الذي هو بمعنى التمكن والاستقرار؛- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً- وإنما المراد؛ ما وصف الله- تعالى- به نفسه من الاستواء الذي هو بمعنى العلو بالقهر والتدبير وارتفاع الدرجة بالصفة؛ على الوجه الذي يقتضي مباينة الخلق بلا كيف ولا تشبيه؛ وبالجملة: استواء يليق بكماله وجلاله.

وهو- سبحانه- مع جميع الخلائق بالإحاطة الكاملة؛ والعلم التام؛ ونفوذ القدرة؛ فلا منافاة بين علوه على عرشه؛ ومعيته لجميع خلقه. ألا

---

(١) الآية (٥) من سورة طه.

(٢) من الآية (٥٤، ٣، ٢، ٥٩، ٤، ٤) من سور: الأعراف، يونس، الرعد، الفرقان، السجدة، الحديد.

(٣) من الآية (٤) من سورة الحديد.

ترى- ولله المثل الأعلى- أن أحدنا لو جعل في يده حبة خردل؛ أنه ليس داخلاً في شيء من أجزاء تلك الحبة، مع أنه محيط بجميع أجزائها؛ ومع جميع أجزائها. والسموات والأرض ومن فيهما- في يده- تعالى- أصغر من حبة خردل في يد أحدنا؛ فهو أقرب إلى الواحد منا من عنق راحلته؛ بل من حبل وريده، مع أنه مستو على عرشه لا يخفى عليه شيء من عمل خلقه (١).

***

يقول المولى- جل شأنه- ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾ (٢).

وقال- سبحانه- ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٣).

قصة موسى- عليه السلام- مع أهله واحدة؛ فكيف قال في الأولى بصيغة الرجاء؛ وفي الثانية بصيغة القطع؟

والجواب: أنه قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه: سأفعل كذا،

---

(١) تأويل مشكل الحديث ١٧٧، دفع إيهام الاضطراب ٢٨٥.

(٢) الآية (١٠) من سورة طه.

(٣) الآية (٧) من سورة النمل.

وسيكون كذا؛ مع تجويزه الخيبة [١].

وقيل: إن العدتين على سبيل الظن؛ لذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه؛ والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما، لم يعدم إحداهما؛ بناءً على ظاهر الأمر؛ وثقة بعبادة الله- تعالى- أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده [٢].

ولعل في ذكر صيغة القطع في سورة النمل بعد سوق صيغة الرجاء في سورة طه المتقدمة في النزول على سورة النمل ما يشير إلى أن المراد في الحالين: الرجاء والظن.

***

قال الله- تعالى- ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ [٣].

وقال- عز وجل- ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ﴾ [٤].

يتوهم من الآية الأولى: أن الله- تعالى- لم يخف الساعة بالفعل ولكنه قارب أن يخفيها؛ لأن كاد فعل مقاربة؛ والآية الثانية تدل على أن

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٥.

(٢) تفسير البيضاوي ٢/ ١٧٠.

(٣) الآية (١٥) من سورة طه.

(٤) من الآية (١٨٧) من سورة الأعراف.

الله- عز وجل- قد أخفى أمر الساعة بالفعل؛ فكيف التوفيق؟

والجواب: أن معنى الآية: أكاد أخفيها من نفسي؛ أي: لو كان ذلك ممكناً؛ وهذا على عادة العرب؛ لأن القرآن نزل بلغتهم؛ والواحد منهم إذا أراد المبالغة في كتمان أمر؛ قال: كتمته من نفسي؛ أي: لا أبوح لأحد ونظير هذا في المبالغة: قوله- صلى الله عليه وسلم- في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله- يوم لا ظل إلا ظله- «... ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه...) الحديث[1].

ويؤيد هذا القول: أن مصحف أُبي كذلك بزيادة (فكيف أظهركم عليها) وفي بعض القراءات: بزيادة (فكيف أظهرها لكم). وفي مصحف عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- بزيادة (فكيف يعلمها مخلوق)[2].

وقيل: إن معنى (أكاد أخفيها) أي: أخفي الإخبار بأنها آتية والمعنى: أقرب أن أترك الإخبار عن إتيانها من أصله لشدة إخفائي لتعيين وقت إتيانها.

وقيل: إن الهمزة في قوله (أخفيها) هي: همزة السلب؛ لأن العرب كثيراً ما تجعل الهمزة أداة لسلب الفعل؛ كقولهم: شكى إليَّ فلان فأشكيته؛

---

(١) فتح الباري ٢/ ١٤٤، كنز العمال ٤٣٥٦٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩٩.

أي: أزلت شكايته. وقولهم: عقل البعير فأعقلته؛ أي: أزلت عقاله؛ وعلى هذا فمعنى (أكاد أخفيها): أزيل خفاءها؛ بأن أظهرها لقرب وقتها؛ كما قال- تعالى- ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[1].

وقيل: إن خبر كاد محذوف، والمعنى على هذا القول: إن الساعة آتية أكاد أظهرها، فحذف الخبر، ثم ابتدأ الكلام بقوله: ﴿أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾.

وقيل: إن كاد بمعنى أراد، وعليه فمعنى (أكاد أخفيها) أريد أن أخفيها. ومنه قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾أي: أردنا له، وقيل: إن كاد من الله تعالى تدل على الوجوب، كما دلت عليه عسى في كلامه تعالى- نحو ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أي: هو قريب. وعلى هذا فمعنى: (أكاد أخفيها): أنا أخفيها.

وقيل: إن كاد: صلة؛ وعليه فالمعنى: إن الساعة آتية أخفيها لتجزى. ومن هذا القبيل: قوله- تعالى- ﴿إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ أي: لم يرها[2].

***

---

(١) من الآية (١) من سورة القمر.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة النور، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص١٩٤ بتصرف.

قال الله- تبارك وتعالى- ﴿ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾[1].

ظاهر اللفظ: نهي من لا يؤمن بالساعة عن صد موسى عن الإيمان بها؛ والمقصود: هو نهي موسى- عليه السلام- عن التكذيب بها فكيف تنزيله؟

والجواب: أن المعنى: كن شديد الشكيمة في الدين، صلب المعجم، لئلا يطمع في صدك عن الإيمان بها من لا يؤمن بها؛ وهذا كقولهم: لا أرينك ها هنا، ومعناه: لا تدن مني ولا تقرب من حضرتي لئلا أراك. ففي الصورتين: النهي متوجه إلى المسبب؛ والمراد به: النهي عن السبب، وهو: القرب منه؛ والجلوس بحضرته؛ فإنه سبب رؤيته.

وكذلك: لين موسى- عليه السلام- في الدين، وسلاسة قياده سبب لصدهم إياه[2].

***

يقول- عز شأنه- ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ

(١) الآية (١٦) من سورة طه.

(٢) مسائل الرازي ٢١٨.

أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾[1].

الله- عز وجل- هو العليم بكل شيء؛ فكيف قال: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ ؟

والسؤال من الله- تعالى- كان عن حقيقة ما في يد موسى عليه السلام- فكيف زاد موسى- عليه السلام- عن مطلوب السؤال؟ وليس ذلك من شيمة البلغاء؟

ثالثاً: (المآرب) جمع؛ فكيف قال: (أخرى) ولم يقل أخر؟

والجواب عن الأول: أنه ليس المراد من السؤال هنا: العلم، فالله- تعالى- يعلم السر وأخفى؛ ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ وإنما المراد من السؤال هنا: تأسيس التأنيس لموسى- عليه السلام- وتخفيف ما حصل عنده من هيبة الجلال؛ ودهشة الخطاب - وقت التكلم معه- كما يرى أحدنا طفلاً داخلته هيبة المخاطب وإجلاله- ولله المثل الأعلى- وفي يده فاكهة ونحوها؛ فيلاطفه ويؤانسه بقوله: ما هذا الذي في يدك؟ مع أنه عالم به.

وقيل: إن الله- تعالى- أراد بهذا السؤال: أن يقر موسى- عليه السلام- ويعترف بكونها عصا؛ ويزداد علمه بكونها- كذلك- رسوخاً في

---

(١) الآيتان (١٧، ١٨) من سورة طه.

قلبه؛ فلا يحوم حوله شك إذا قلبها ثعباناً: أنها كانت عصا؛ ثم انقلبت - بقدرة الله- تعالى- ثعباناً. وأن يقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه؛ فينتبه إلى دلائل القدرة الباهرة.

ونظير ذلك أن يريك الزراد قطعة من حديد؛ ويقول لك: ما هذه؟ فتقول: قطعة من حديد، ثم يريك بعد أيام درعاً سابغة مسرودة؛ ويقول لك: هذه تلك القطعة؛ صيرتها إلى ما تراه من عجيب الصنعة وأنيق السرد[1].

والجواب عن الثاني: أن مطابقة الجواب لمضمون السؤال من شيمة البلغاء؛ ولكن: لما كان السؤال ليس لغرض العلم والفهم؛ والكلام في مقام خطاب الحبيب؛ والبسط فيه مطلوب؛ جاز لموسى- عليه السلام- أن يعدد منافع العصا دون أن ينال ذلك من شأنه أو يخدش في بلاغته.

وقيل: إنما بسط الكلام لئلا ينسب إلى العبث في حملها.

وقيل: إنما عدد فوائدها؛ وبين حاجته إليها خوفاً من أن يؤمر بإلقائها كما أُمر بإلقاء النعلين.

وقيل: إنه قد روي عن ابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- أنه لما قال موسى- عليه السلام- عصاي؛ سئل سؤالاً ثانياً فقيل: ما تصنع بها؟

---

(١) مسائل الرازي ٢١٨-٢١٩ بتصرف.

فأجاب بباقي الآية [١].

وقيل: إنه أعرض عن تعداد منافع العصا- مفصلة- لئلا يشتغل عن سماع كلام الله- تعالى- أو: حياءً منه- سبحانه- لطول الكلام؛ أو: رجاء أن يُسأل عن تفصيله فيجيب بالتفصيل فيتلذذ بالخطاب؛ ففصّل البعض وأجمل الباقي بقوله ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ والله أعلم بما أجمله.

وقيل: إنه ذكر المنافع التي هي ألزم لها وله، وحاجته إليها أمسّ دون العارض؛ وإن كانت المنافع التي أجملها أعجب وأغرب [٢].

والجواب عن الثالث: أن المآرب جمع في معنى جماعة؛ فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى [٣].

***

قال الله- عز وجل- ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ [٤].

وقال- سبحانه- ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

---

(١) مسائل الرازي ٢١٩، الفتوحات الإلهية ٣/ ٨٦.

(٢) مسائل الرازي ٢١٩، زاد المسير ٥/ ٢٧٨، الفتوحات ٣/ ٨٦.

(٣) زاد المسير ٥/ ٢٧٩.

(٤) الآية (٢٢) من سورة طه.

وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾[١].

والقصة واحدة فكيف جعل الجناح في الآية الأولى مضموماً إليه؛ وفي الثانية مضموماً؟

والجواب: أنه لمّا كان المراد بالجناح المضموم إليه في الآية الأولى: ما بين العضد إلى الإبط من اليد اليسرى؛ والمراد بالجناح المضموم في الآية الثانية: هو اليد اليمنى؛ فصار المعنى واضحاً ولا تناقض بين الآيتين؛ فكل واحدة من يُمنى اليدين ويسراهما جناح.

***

قال الله- تعالى- على لسان موسى- عليه السلام- ﴿ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾[٢].

وقال- عز وجل- ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[٣].

وقال- سبحانه- ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾[٤].

وقال- جل شأنه- عن موسى- عليه السلام- [٥]﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ

---

(١) الآية (٣٢) من سورة القصص.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٢، الفتوحات ٣/ ٣٤٨.

(٣) الآيتان (٢٧، ٢٨) من سورة طه.

(٤) الآية (٣٦) من السورة السابقة.

(٥) الآية (٥٢) من سورة الزخرف.

هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾[١].

في الآيتين: الأولى والثانية: دلالة على أن موسى- عليه السلام- كان في لسانه عقدة؛ وأنه طلب من الله- تعالى- حلها؛ وأن الله- عز وجل- قد أجابه إلى ذلك. وفي الآيتين: الثالثة والرابعة ما يوهم أن العقدة لا تزال باقية؛ فكيف التوفيق؟

والجواب: أن موسى- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- لم يسأل زوال ما كان بلسانه بالكلية؛ وإنما سأل زوال القدر المانع من أن يفقهوا قوله كما يدل عليه قوله: ﴿ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴾.

قال ابن كثير- رحمه الله تعالى- وما سأل أن يزول ذلك بالكلية؛ بل بحيث يزول العي، ويحصل لهم فهم ما يريد[٢] منه- وهو قدر الحاجة- ولو سأل الجميع لزال؛ ولكن الأنبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة؛ ولهذا بقيت بقية[٣].

وقال الحسن البصري: ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴾ قال: حل عقدة واحدة؛ ولو سأل أكثر من ذلك لأُعطي[٤].

(١) الآية (٣٤) من سورة القصص.

(٢) أي: ما يريد الله- عز وجل- من تبليغه للناس.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٤.

(٤) نفس المصدر السابق.

وقيل: إن فرعون كذب في هذه التهمة، وقول موسى- عليه السلام- ﴿هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ يدل على اشتراكه مع هارون في الفصاحة؛ فكلاهما فصيح؛ وعليه فلا إشكال[1].

***

يقول- جل شأنه- ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ﴾[2].

والجواب: أنه أجمله أولاً للتفخيم والتعظيم؛ ثم بينه وأوضحه بقوله- تعالى- ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾.

وقيل: إن فائدة ذلك: التوكيد؛ كقوله- تعالى- ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ﴾[3].

كأنه قال: إذ أوحينا إلى أمك إيماءً.

وقيل: إن فائدة ذلك: الإشارة إلى أنه ليس كل الأمور مما يوحى إلى النساء: كالنبوة ونحوها، بل بعضها[4].

وهذا القول الأخير بعيد؛ فرائحة التكلف بادية عليه.

***

(١) دفع إيهام الاضطراب ١٩٨ بتصرف.

(٢) الآيات (٣٧-٣٩) من سورة طه.

(٣) من الآية (٥٤) من سورة النجم.

(٤) مسائل الرازي ٢٢٠.

يقول المولى- سبحانه وتعالى- ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1].

سبق في علم الله- تعالى- أن فرعون لا يتذكر ولا يخشى؛ فكيف قال: ﴿ لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ ﴾ ؟

والجواب: أن لعل على بابها من الترجي والتوقع؛ ولكن بالنسبة للمخاطب الذي يجهل العاقبة؛ لا بالنسبة للمتكلم- وهو الله- سبحانه وتعالى- والمعنى: اذهبا على رجاء منكما وطمع؛ وقضاء الله وراء أمركما..

وتكون الحكمة من الإرسال- مع العلم بعدم الإيمان- إلزام الحجة؛ وقطع المعذرة كقوله- تعالى- ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾[2].

وقيل: إن لعل من الله واجب؛ ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية؛ وذلك حين ألجمه الغرق؛ وقال- كما حكى القرآن- ﴿ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

وقيل: إن الكلام ينصرف إلى غير فرعون؛ مجازه: لعله يتذكر متذكر، ويخشى خاشٍ إذا رأى بري وألطافي بمن خلقته وأنعمت عليه ثم ادعى

---

(١) الآيتان (٤٣-٤٤) من سورة طه.

(٢) الآية (١٣٤) من السورة السابقة.

(٣) من الآية (٩٠) من سورة يونس.

الربوبية [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [٢].

وقال- عز وجل- ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [٣].

كيف ثنى في الآية الأولى وأفرد في الثانية؛ والقصة واحدة.

والجواب: أن الرسول يكون بمعنى المرسل فيلزم تثنيته؛ ويكون بمعنى الرسالة التي هي المصدر؛ فيوصف به الواحد والاثنان والجماعة؛ كما يوصف بسائر المصادر.

وقيل: إنهما لاتفاقهما في الأخوة والشرعية والرسالة؛ جُعلا لنفس واحدة في الآية الثانية.

وقيل: التقدير: إن كان واحد منا رسول رب العالمين.

وقيل: إن موسى- عليه السلام- كان الأصل؛ وهارون- عليه السلام- كان تبعاً له؛ فأفرد إشارة إلى ذلك [٤].

***

(١) تفسير الخازن ٣/ ٢٣٠ بتصرف.

(٢) من الآية (٤٧) من سورة طه.

(٣) الآية (١٦) من سورة الشعراء.

(٤) مسائل الرازي ٢٤٨.

يقول- جلت حكمته- ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[1].

قوله- تعالى- ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا ﴾ يقتضي أن المخاطب اثنان؛ وقوله ﴿يَٰمُوسَىٰ﴾ يقتضي أن المخاطب واحد. فما توجيه ذلك؟ وما وجه الاحتجاج على فرعون بهذا الجواب؟

والجواب على الأول؛ من ثلاثة أوجه: الأول: أن فرعون أراد خطاب موسى- وحده- والمخاطب- إن اشترك معه في الكلام غير مخاطب؛ غُلّب المخاطب على غيره؛ كما لو خاطبت رجلاً اشترك معه آخر في شأن، والثاني: غائب؛ فإنك تقول للحاضر منهما: ما بالكما فعلتما كذا؟ والمخاطب واحد؛ وهذا ظاهر. والوجه الثاني: أنه خاطبهما معاً؛ وخص موسى بالنداء لمطابقة رؤوس الآي مع ظهور المراد؛ ونظير الآية قوله - تعالى- ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[2]. ويجاب عنه: بأن المرأة تبع لزوجها؛ وبأن شقاء الكد والعمل يتولاه الرجال أكثر من النساء؛ وبأن الخطاب لآدم وحده، والمرأة ذكرت فيما خوطب به آدم بدليل قوله ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾[3]. فهي ذكرت فيما خوطب به آدم؛ والمخاطب

---

(١) الآيتان (٤٩، ٥٠) من سورة طه.

(٢) من الآية (١١٧) من السورة السابقة.

(٣) نفس المصدر السورة والآية.

هو- وحده- ولذا قال: (فتشقى) لأن الخطاب لم يتوجه إليها هي"[1].

والجواب على الثاني: أنه قد ثبت وجود خلق وهداية؛ فلا بد من خالق وهادٍ[2].

***

قال الله- تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾[3].

وقال- عز وجل-: ﴿ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾[4].

في الآية الأولى؛ دلالة على أن فرعون قد أقيمت عليه الحجة بجميع الآيات التسع التي أيد الله بها موسى- عليه السلام- وفي الآية الثانية، ما يوهم أن فرعون ما رأى سوى الآية الكبرى، فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أن الآية الثانية، إنما تخبر عن أول لقاء، فقد رأى فرعون في هذا الملتقى: العصا واليد، وأطلق عليهما: الآية الكبرى، لاتحاد معناهما.

وقيل المراد بالآية الكبرى: العصا، لأنها كانت المقدمة والأصل، والأخرى كالتبع لها.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص٢١٠.

(٢) زاد المسير ٥/ ٢٩١.

(٣) الآية (٥٦) من سورة طه.

(٤) الآية (٢٠) من سورة النازعات.

وقيل الآية الكبرى: جميع ما جاء به من الآيات التسع، فإنها باعتبار دلالتها على أمر واحد- وهو أن موسى- عليه السلام- رسول رب العالمين- كانت كالآية الواحدة. والمعنى: فأظهر له موسى- مع هذه الدعوة الحق- حججاً قوية، ودلائل واضحة، تشهد على صدق دعوته، وأن ما جاء به من عند الله تعالى.

ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته، فإن ما عدا العصا واليد، من الآيات التسع، إنما ظهر على يده- عليه السلام- بعد ما غلب السحرة على مهل في سنين عدداً، كما تدل على ذلك قصة موسى- عليه السلام- في سورة الأعراف[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[2].

كيف قدم هارون على موسى- عليهما السلام- وموسى هو الأصل، وهارون، إنما كان تبعاً ووزيراً له؟

والجواب: أنه قدم هارون لكبر سنه، أو مراعاة لفواصل الآي، وعناية بتوافق رؤوسها.

---

(١) الآيات من ١٠٣-١٣٧ وراجع مسائل الرازي ٣٦٥ وتفسير ابن كثير ٧/ ٢٠٧ وفتح القدير ٥/ ٣٧٦ والفتوحات ٤/ ٤٨١.

(٢) الآيتان (٦٩، ٧٠) من سورة طه.

ورُدّ هذا، بأن كلام الله- عز وجل- منزه عن التكلف والصنعة.

وقيل: إنما قدمه، لأن فرعون ربى موسى في صغره، فلو اقتصر على موسى، أو قدم ذكره، فلربما توهم أن المراد: فرعون، وذكر هارون على الاستتباع [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ﴾ [٢].

كيف نسبوا الآيات لأنفسهم؛ وقد جاءت- عامة- لهم ولغيرهم؟

والجواب: أنهم لما كانوا بأبواب السحرة،وبمذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم: كانوا على جلية من العلم بالمعجز وغيره، وقد علموا أن ما جاء به موسى- عليه السلام- ليس بسحر، وكان ذلك في حق غيرهم أبين وأوضح؛ وكانوا هم لمعرفته أخص؛ إذ هم المنتفعون بها وغيرهم كالمقلد [٣].

وقيل: إنهم لما سجدوا: رأوا الجنة والنار؛ ورأوا منازلهم في الجنة؛[٤]

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٥٥.

(٢) من الآية (٧٢) من سورة طه.

(٣) زاد المسير ٥/ ٣٠٨، الفتوحات الإلهية ٣/ ١٠٢.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٢٥، تفسير الخازن ٣/ ٢٤٣.

وعليه يندفع التساؤل.

***

قال الله- تعالى- ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾(١).

كيف قالوا: (وما أكرهتنا عليه) وهو يتنافى مع تصديهم للمعارضة ورغبتهم فيها؛ ونشاطهم لها؟ فقد قالوا﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾(٢). وقالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(٣).

الجواب: أن فرعون كان يكره الناس على تعلم السحر؛ فالإكراه على السحر هو: الإكراه على تعلمه في أول مرة.

وقيل: إن السحرة لما شاهدوا موسى- بعد قولهم ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ ورأوا ذكره الله - تعالى- وسلوكه منهاج المتقين؛ جزعوا من ملاقاته بالسحر، وخافوا أن يغلبوا في ذلك الجمع، وحذروا أن يظهر عليهم فيطلع على ضعف صناعتهم، فتفسد معيشتهم عند الملوك والسُّوَق(٤). فلم

(١) الآية (٧٣) من سورة طه.

(٢) من الآية (٤١) من سورة الشعراء.

(٣) من الآية (٤٤) من السورة نفسها.

(٤) السُّوَق: جمع سوق، وهم بمنزلة الرعية التي تسوسها الملوك؛ ومن لم يكن ذا سلطان.

يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراه على السحر.

ولكن: يرد هذا قولهم: ﴿ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ فقد قالوا ذلك القول الذي يدل على قوة عزيمتهم بعد أن ألقوا حبالهم وعصيهم؛ وبعد أن قالوا: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾.

وقيل: إن فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم؛ والإتيان من المدائن القاصية، وكان سبب ذلك: السحر[1].

ولعل أولى هذه الأقوال: الأول والأخير.

***

يقول المولى- سبحانه وتعالى- ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[2].

الموت والحياة: صفتان من صفات الإنسان؛ وهما نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فكيف نفاهما عن المجرم؟

والجواب: أن المراد: لا يموت فيها موتاً متصلاً؛ ولا يحيا حياة متصلة؛ بل كلما مات من شدة العذاب؛ أعيد حياً ليذوق العذاب؛ هكذا

---

(١) زاد المسير ٥/ ٣٠٨، الفتوحات ٣/ ١٠٢.

(٢) الآية (٧٤) من سورة طه.

سبعين مرة في مقدار كل يوم من أيام الدنيا.

وقيل: لا يموت فيها موتاً يستريح به؛ ولا يحيا حياة تنفعه ويستلذ بها. والعرب تقول: فلان، لا حي؛ ولا ميت!! إذا كان غير منتفع بحياته[1].

***

وعن قصة موسى- عليه السلام- في القرآن ترد الأسئلة الآتية:

كيف اختلفت الحكاية عن قول موسى لأهله عند رؤيته النار في سورة طه والنمل والقصص؟ وكيف اختلفت الحكاية عن فرعون والسحرة بزيادة ونقصان في الألفاظ المنسوبة إليهم في هذه السورة؛ وفي سورة الأعراف والشعراء؛ وهذه الواقعة ما وقعت إلا مرة واحدة؟ ولمَ كرر الله- تعالى- ذكر قصة موسى- عليه السلام- أكثر من قصص غيره؟

والجواب: أنهم تكلموا بلغتهم لا بالعربية؛ وحكى الله- تعالى- ذلك عنهم بالعربية مراراً لتأكيد التحدي وإظهار الإعجاز[2]. كما أن المبارز إذا خرج من الصف قال: نزال، نزال، هل من مبارز؟ هل من مبارز؟ مكرراً ذلك. ولأن أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- كان

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٠، فتح القدير ٣/ ٣٧٦.

(٢) مسائل الرازي ٩٧، تفسير البيضاوي ١/ ٣٦٣.

بعضهم حاضرين؛ وبعضهم غائبين في الغزوات (والتجارات) وكانوا يحبون حضور مهبط الوحي، فكانوا إذا رجعوا من غزوهم: أكرمهم الله - تعالى- في بعض الأوقات بإعادة الوحي تشريفاً لهم وتفضيلاً؛ ومرة حكاه مطابقاً للفظهم في الترجمة رعاية للفظ؛ وأخرى حكاه بالمعنى جرياً على عادة العرب في التفنن في الكلام والمخالفة بين أساليبه لئلا يمل إذا تمحض تكراره.

وبمثل هذا- أيضاً- يقال عن كيفية اختلاف الحكاية عن قول موسى- عليه السلام- لأهله- عند رؤيته النار في هذه السورة؛ وفي سورة النمل والقصص مع أن هذا الأمر لم يقع إلا مرة واحدة.

أما عن تكرار الله- تعالى- في ذكره لقصة موسى- عليه السلام- أكثر من قصص غيره من الأنبياء- عليهم السلام-:

فالجواب: لأن أحواله كانت أشبه بأحوال النبي- صلى الله عليه وسلم- من أحوال غيره في: إقامة الحجج وإظهار المعجزات لأهل مصر وإصرارهم على تكذيبه والجفاء عليه، كما كان حال النبي- صلى الله عليه وسلم- مع أهل مكة [1].

***

(١) مسائل الرازي٩٧-٩٨، ٢٥٠-٢٥١.

قال الله- تعالى- ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾[١].

كيف جمع الخوف والخشية وهما واحد في اللغة؟

والجواب: أن المعنى: لا تخاف دركاً؛ أي: لحاقاً من فرعون، ولا تخشى غرقاً في البحر؛ كما تقول: لا تخافُ زيداً ولا تخشى عمراً؛ ولو قلت: ولا عمراً أصح؛ وكان أوجز؛ ولكن إذا أعدت الفعل كان آكد. أما في الآية: فلما لم يكن مفعول الخشية مذكوراً؛ ذكر الفعل ثانياً ليكون دليلاً عليه؛ وخولف بين اللفظين رعاية للبلاغة.

وقيل: المعنى: لا تخاف دركاً على نفسك، ولا تخشى دركاً على قومك، والأول عندي أرجح[٢].

***

يقول- جل ثناؤه- ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾[٣].

قوله (وأضل) يغني عنه قوله (وما هدى) وزيادة، فكيف ذكر معه؟

والجواب: أنه قال: (وما هدى) بعد قوله (وأضل) ليتبين أنه استمر

---

(١) الآية (٧٧) من سورة طه.

(٢) مسائل الرازي ٢٢٠-٢٢١.

(٣) الآية (٧٩) من سورة طه.

على ذلك وما زال يضلهم ولا يهديهم؛ فإن المضل قد يهدي بعد إضلاله[١].

وقيل: إن المعنى: وأضل قومه وما هدى نفسه.

وقيل: إن المعنى: وأضل فرعون قومه عن الدين؛ وما هداهم طريقاً في البحر.

وقيل: إن قوله: (وما هدى) تهكم به في قوله لقومه ﴿ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴾[٣].

كيف أضاف المواعدة إليهم؛ وهي إنما كانت لموسى- عليه السلام؟

والجواب: أن المواعدة- وإن كانت لموسى- عليه السلام- ولكنها لما كانت بسبب إنزال كتاب لبني إسرائيل- وفيه بيان شريعتهم وأحكامهم وصلاح معاشهم ومعادهم؛ أضيفت إليه المواعدة بسبب الملابسة والاتصال؛ وأيضاً؛ فإن الله أمر أن يأتي منهم سبعون مع موسى

---

(١) مسائل الرازي ٢٢١، مجمع البيان المجلد الرابع ١٦/ ١٢٨..

(٢) من الآية (٢٩) من سورة غافر، مسائل الرازي ٢٢١.

(٣) الآية (٨٠) من سورة طه.

إلى الطور لأخذ التوراة؛ فكانت المواعدة لهم بهذا الاعتبار[1].

***

يقول المولى- عز وجل- ﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴾[2].

عاتب الله- عز وجل- موسى وسأله عن سبب العجلة؛ وكان الجواب المطابق أن يقول: طلبت زيادة رضاك؛ أو: الشوق إلى لقائك وتنجيز وعدك؛ فكيف قدم ما لا يطابق السؤال؛ وهو قوله: ﴿ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي ﴾ ؟

والجواب: أن موسى- عليه السلام- لما واعده الله- تعالى- بإنزال التوراة عليه بجانب الطور الأيمن؛ وأراد الخروج إلى ميعاد ربه؛ اختار من قومه سبعين رجلاً يصحبونه إلى ذلك المكان؛ ثم سبقهم- شوقاً إلى ربه وأمرهم بلحاقه، فعوتب على ذلك بشيئين: إنكار العجلة في نفسها؛ والسؤال عن سببها؛ فكان الأنسب أن يبدأ موسى- عليه السلام- بالاعتذار عما أنكره- تعالى- عليه بأنه لم يوجد منه إلا تقدم يسير لا يعتد به في العادة؛ كما يتقدم المقدم جماعته وأتباعه، ثم يعقب العذر بجواب

---

(١) مسائل الرازي ٢٢١، الفتوحات ٣/ ١٠٥.

(٢) الآيتان (٨٣، ٨٤) من سورة طه.

السؤال عن السبب بقوله ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴾ [١] وفي الترتيب على هذا النحو منحى بلاغي.

***

يقول- جلت حكمته- ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ [٢].

كيف عرف السامري جبريل- عليه السلام- ورآه من بين سائر الناس؟

والجواب: أنه لما نزل جبريل إلى موسى- عليهما السلام- ليذهب به إلى الطور؛ رآه السامري من بين سائر الناس؛ فلما رآه قال: إن لهذا لشأناً؛ فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه؛ فلما سأله موسى قال: قبضت قبضة من أثر الرسول إليك يوم جاء للميعاد؛ وقيل: رآه يوم فلق البحر؛ فأخذ القبضة وجعلها في عمامته؛ لما يريد الله أن يظهره من الفتنة على يديه.

وقيل: إن أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون، فوضعته في كهف- حذراً عليه من القتل، فبعث الله إليه جبريل- عليه السلام-

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٢ بتصرف.

(٢) الآيتان (٩٥، ٩٦) من سورة طه.

ليربيه؛ لما قضى الله على يديه من الفتنة، ومفاد هذا الجواب بعيد عن مقتضى السؤال [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ [٢].

وقال- سبحانه- ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [٣].

وقال- عز وجل- ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴾ [٤].

كيف التوفيق بين هذه الآيات التي اختلف زعم الكفار فيها عن مدة لبثهم في الدنيا؟ وكيف يكون أمثلهم: أكثر خطأً؟

والجواب عن الأول: أن المجرمين أنواع، وقلوبهم شتى، يختلفون في تصوراتهم وإدراكاتهم بحسب أنواعهم والمؤثرات فيهم.

فمنهم من يزعم: أنه في ما لبث في الدنيا سوى عشرة أيام؛ ومنهم من يزعم أنه ما عاش سوى يوم واحد، وآخرون يظنون أن مدة حياتهم

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٢٤٦ بتصرف.

(٢) الآيتان (١٠٣، ١٠٤) من سورة طه.

(٣) الآية (٥٥) من سورة الروم.

(٤) الآية (١١٣) من سورة المؤمنون.

في الدنيا: لا تعدو أن تكون بعض يوم، بل منهم من يرى أن أجله ما كان سوى ساعة [١].

والجواب عن الثاني: أن المصائب تؤثر في ذوي العقول ما لا تؤثر في غيرهم، فلأجل ذلك: كان ذهوله أكثر [٢].

ويرد عليه: لأجل ماذا كان ذهوله أكثر؟ ألأجل أن قالوا عشراً؛ وقال: يوماً؟ هذا إن جاز على أن المراد عشرة أيام؛ فلا يجوز على القول بأن المراد: عشر ساعات؛ ولا على الفئة التي رأت أنها ما لبثت غير ساعة.

وأرى: أنه لكثرة أهوال القيامة وشدتها؛ تكلمت كل فئة بما يلوح لها؛ حتى إن أوفاهم عقلاً؛ وأصحهم رأياً؛ تكلم بما هو بعيد عن الصواب.

***

يقول- عز وجل- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ [٣].

كيف قال: (عِوجاً) بكسر العين؛ وقد قال علماء اللغة: العِوج

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ٢١٥ بتصرف.

(٢) فوائد في مشكل القرآن ص١٨٣.

(٣) الآيات من (١٠٥-١٠٧) من سورة طه.

بالكسر: في المعاني؛ وبالفتح في الأعيان؟

والجواب: أن هذا رأي لبعض العلماء؛ والبعض الآخر يرى أن كل ما ينتصب كالحائط والعود؛ قيل فيه: عَوج بالفتح؛ والعِوج بالكسر: ما كان في أرض؛ أو: دين؛ أو: معاش، وعلى هذا؛ فلا إشكال.

وقيل: إنه أراد به نفي الاعوجاج الذي يدرك بالقياس الهندسي، ولا يدرك بحاسة البصر؛ وذلك اعوجاج لاحق بالمعاني، فلذلك قال فيه: عِوج بالكسر؛ ومما يوضح هذا: أنك لو سويت قطعة أرض غاية التسوية بمقتضى نظر العين بموافقة جماعة من البصراء؛ واتفقتم على أنه لم يبق فيها عوج قط؛ ثم أمرت المهندس أن يعتبرها بالمقاييس الهندسية؛ وجد فيها عِوجاً في غير موضع، ولكنه عوج لا يدرك بحاسة البصر؛ فنفى الله - تعالى- ذلك العوج لما لطف ودق عن الإدراك؛ فكان لدقته وخفائه ملحقاً بالمعاني"[1].

وهو ملحظ دقيق؛ ولكن: لا ضرورة تدعو إلى هذا التكلف.

***

(١) مسائل الرازي ٢٢٢.

قال الله- سبحانه وتعالى- ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[1].

وقال- عز وجل- ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[2].

إذا كان آدم- عليه السلام- قد أكل من الشجرة؛ ونسي عهد الله ووصيته؛ وفعل ما فعل نسياناً؛ فكيف وصفه بالعصيان والغواية؟ وعاقبه بأعظم العقوبة وهو الإخراج من الجنة.

والجواب: أن نسي هنا: ليست من النسيان الذي هو ضد: الذكر- وهو السهو؛ لأنه قد جرى بينه وبين إبليس من المجادلة والمناظرة- في أكل الشجرة- فصول كثيرة منها قوله- تعالى- ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ .... ﴾ الآيات[3]. مما لا يبقى معه نسيان[4].

وإنما النسي هنا بمعنى الترك؛ كما في قوله- تعالى- ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾[5]. أي: تركناكم في العذاب. وقوله- تعالى-﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[6]. أي: تركوا ذكر الله في الدنيا،

(١) الآية (١١٥) من سورة طه.

(٢) الآية (١٢١) من سورة طه.

(٣) الآيات من (٢٠-٢٧) من سورة الأعراف.

(٤) مسائل الرازي ٢٢٣.

(٥) من الآية (١٤) من سورة السجدة.

(٦) من الآية (٦٧) من سورة التوبة.

فتركهم الله في العذاب في الآخرة. والعرب ربما أطلقت النسيان بمعنى الترك، وعلى هذا فالمعنى: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل؛ فترك عهد الله ووصيته؛ ولم نجد له صبراً عما نهي عنه؛ ولا حفظاً لما أمر به.

وقيل: إن نسي هنا من النسيان الذي هو ضد الذكر- وهو السهو- ومعنى (ولم نجد له عزماً) أي: على الذنب؛ أو: لم نجد له رأياً معزوماً على الذنب؛ لأنه أخطأ حيث أطاع عدوه إبليس- الذي حسده وأبى أن يسجد له- ولم يتعمد.

أو: إن معنى (ولم نجد له عزما) أي: لم نجد له عزماً على المقام على المعصية؛ فيكون إلى المدح أقرب، وعلى هذا القول؛ فالنسيان ليس عذراً لغير هذه الأمة [1].

وأرى: أن نسي هنا من النسيان- الذي هو ضد الذكر- وهو السهو- لأنها إن كانت بمعنى الترك- فستؤول إلى الترك سهواً- وهو عدم تعمد الفعل.

***

(١) مسائل الرازي ٢٣٣، مجمع البيان ١٦/ ١٤٨، تفسير الخازن ٣/ ٢٤٩، ودفع إيهام الاضطراب ٢٠٢.

يقول المولى- سبحانه-﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾[١].

الخطاب لآدم وحواء- عليهما السلام- فكيف قال (فتشقى) ولم يقل فتشقيا؟

والجواب: أن الرجل قيم أهله وأميرهم، فشقاؤه يتضمن شقاءهم؛ كما أن معاداته تتضمن معاداتهم، فاختصر الكلام بإسناد الشقاء إليه دونها لما كان متضمنا له.

وقيل: إنه إنما أسند إليه دونها للمحافظة على الفاصلة.

ويرد عليه أن المحافظة على رؤوس الآي، أو الفاصلة، لا يليق بكلام الله تعالى أن تكون هي المقصودة أولاً وبالذات.

وقيل: إنه أراد بالشقاء: الشقاء في طلب القوت وإصلاح المعاش؛ وذلك وظيفة الرجل دون المرأة؛ قال سعيد بن جبير: أهبط إلى آدم- عليه السلام- ثور أحمر فكان يحرث عليه؛ ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه[٢].

(١) الآية (١١٧) من سورة طه.

(٢) مسائل الرازي ٢٢٣.

وقيل: لم يقل فتشقيا؛ لأن الكلام من أول القصة مع آدم وحده[١].

* * *

يقول المولى- سبحانه- ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[٢].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: ما فائدة التعليق على الشرط؛ وكان يمكن القول بدونه فيقول: فإن يأتكم مني هدىً؟

الثاني: أن (إما) إنما يعلق عليها ما كان مشكوكاً فيه؛ والله- تعالى- عالم بإتيان الكتاب.

الثالث: أن الخطاب مع آدم وحواء- عليهما السلام- وهما اثنان؛ فكان القياس: فإما يأتينكما؛ فلمَ عدل عنه؟

والجواب عن الأول والثاني: أنها لا يعلق بها إلا غير المعلوم عند المخاطب، أما المتكلم فجائز أن يكون عالماً.

والجواب عن الثالث: أن هذا كقوله- عز وجل- (فإن كان له إخوة) والمراد: أخوان، فعبر بلفظ الجمع عن الاثنين؛ أو نقول: إنه على

---

(١) فتح القدير ٣/ ٣٨٩.

(٢) الآية (١٢٣) من سورة طه.

حذف المضاف؛ وتقديره: فإما يأتين ذريتكم؛ لأن آدم- عليه السلام- لم ينزل عليه كتاب، ويعضده قول ابن عباس رضي الله عنه: أن المراد بالهدي: القرآن[1].

ويمكن أن يكون إبليس داخلاً في هذا الخطاب؛ وعلى هذا: يكون ضمير الجمع على بابه؛ وهذا ممكن؛ لأن القرآن شمل ذريته وذرية آدم - لعموم دعوة النبي- صلى الله عليه وسلم-[2].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[3].

أوعد الله- عز وجل- المعرضين عن ذكر الله- تعالى- والإيمان به؛ بمعيشة ضنكاً؛ فكيف التوفيق بين ذلك؛ وبين ما نراهم فيه من أخصب معيشة وأرغدها؟

والجواب: أن المراد ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ العيش الضيق؛ وهو أن يقتر الله- عز وجل- عليه الرزق عقوبة له على إعراضه. فإن وسع عليه؛ فإنه يضيق عليه المعيشة بأن يمسك ولا ينفق على نفسه، وإن أنفق ابتلي

---

(١) هذا القول مروي عن الحسن-رحمه الله تعالى- تفسير القرآن العظيم ١/ ١٤٢.

(٢) فوائد في مشكل القرآن ١٤٨.

(٣) الآية (١٢٤) من سورة طه.

بالحرص الشديد وحب المزيد وعشق الجمع، وسلب الرضا والقناعة، فلا يشبع بعد ذلك أبداً، وهذا كله يضيق المعيشة عليه.

وقيل: معناه: أن يكون عيشه منغصاً؛ بأن ينفق إنفاق من لا يوقن بالخلف.

وقيل المراد به: العيش الضيق في الدنيا لقصرها؛ ولوجود ما يشوبها ويكدرها، وإنما العيش الرغد في الجنة.

وقيل: المراد بالمعيشة الضنك: عيشته في جهنم في الآخرة، وإن كان في رخاء ونعمة. وروي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- «أنها عذاب القبر» (١).

وقيل المراد بقوله ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ أي: عيشاً ضيقاً في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها؛ وإنما العيش الرغد في الجنة (٢).

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ (٣).

---

(١) رواه ابن أبي حاتم: تفسير ابن كثير ٤/ ٥٤٤.

(٢) مسائل الرازي ٢٢٤، تفسير الخازن ٣/ ٢٥٢، مجمع البيان: المجلد الرابع ١٦/ ١٥٢.

(٣) من الآية (١٢٩) من سورة طه.

أي كلمة منعت هذه الأمة من عذاب الاستئصال؟

والجواب: أن هذه الكلمة هي قوله- تعالى- (سبقت رحمتي غضبي)(١).

ويرد عليه: أنه لا اختصاص لهذه الأمة بهذه الكلمة.

وقيل: هي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة؛ في قوله - تعالى- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(٢). وقيل في قوله - تعالى- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٣). يعني: لعالمي أمته بتأخير العذاب عنهم.

وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى، وهو الأجل الذي قدر الله- تعالى- بقاء العالم وأهله إلى انقضائه؛ لكان العذاب لزاماً كما لزم الأمم التي قبلها(٤).

***

قال الله- تعالى- ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٠.

(٢) من الآية (٣٣) من سورة الأنفال.

(٣) الآية (١٠٧) من سورة الأنبياء.

(٤) مسائل الرازي ٢٢٤، ٢٢٥، وتفسير البيضاوي ٢/ ٦٤.

ٱهْتَدَىٰ ﴾[١].

أصحاب الصراط السوي والمهتدون واحد، فما فائدة التكرار؟

والجواب: أن المراد بأصحاب الصراط السويّ: السالكون الصراط المستقيم السائرون عليه؛ والمراد بالمهتدين: الواصلون إلى المنزل.

وقيل: أصحاب الصراط السوي: هم الذين مازالوا على الصراط المستقيم، والمهتدون هم الذين لم يكونوا على الطريق المستقيم ثم صاروا عليه.

وقيل: المراد بأصحاب الصراط السويّ: أهل دين الحق في الدنيا والمراد بمن اهتدى: المهتدون إلى طريق الجنة في العقبى، فكأنه قال: فستعلمون من المحق في الدنيا والفائز في الآخرة[٢].

***

(١) من الآية (١٣٥) من سورة طه.

(٢) مسائل الرازي ٢٢٥، وفتح الرحمن.

سورة الأنبياء

قال الله- تعالى- ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾(١).

كيف وصفت وقت الحساب بالقرب وقد مضى على هذا الإخبار: أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولم يوجد يوم الحساب بعد؟

والجواب: أن المعنى قريب عند الله؛ وإن كان بعيداً عند الناس؛ كما قال- تعالى- ﴿ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ﴾(٢). وقال - تعالى- ﴿ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾(٣).

وقيل: أنه قريب بالنسبة إلى ما مضى من الزمان؛ كما قال- صلى الله عليه وسلم- «**إن مثل ما بقي من الدنيا في جنب ما مضى كمثل ثوب خيط في ثوب**».

وقيل إن المراد به: قرب حساب كل واحد في قبره إذا مات؛ ويؤيده قوله- صلى الله عليه وسلم«**من مات فقد قامت قيامته**»(٤).

---

(١) الآية (١) من سورة الأنبياء.

(٢) الآيتان (٦، ٧) من سورة المعارج.

(٣) من الآية (٤٧) من سورة الحج.

(٤) إتحاف السادة المتقين ٩/ ١١ ط. تصوير بيروت.

وقيل: لما كان كل آت قريباً- وإن طالت أوقات استقباله وترقبه- قال ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ وإنما البعيد الذي وجد وانقرض؛ ولهذا يقول الناس إذا سافروا من بلد إلى بلد بعدما ولوا ظهورهم البلد الأول: البلد الثاني أقرب، وإن كان أبعد مسافة [١].

***

يقول الله- عز وجل- ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [٢].

كيف قال (مُحدث) والذكر الآتي من الله هو: القرآن؛ وهو غير محدث؟

والجواب: أن المراد محدث التنزيل: مبتدأ التلاوة؛ كنزول سورة بعد سورة؛ وآية بعد آية.

وقيل المراد به: ذكر يكون غير القرآن؛ من مواعظ الرسول- صلى الله عليه وسلم- ويؤيده قوله- تعالى- في سياق الآية ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [٣]. وعلى هذا يكون معنى قوله (إلا استمعوه) أي: إلا

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) الآية (٢) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (٣) من السورة السابقة.

استمعوا ذكره وموعظته [١].

***

قال الله- سبحانه وتعالى- ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ﴾ [٢].

كيف قال: ﴿ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ﴾ مع أن النجوى: المسارة؟

والجواب: أن المعنى: أنهم بالغوا في إخفاء المسارة بحيث لم يفطن أحد لتناجيهم ومسارتهم تفصيلاً ولا إجمالاً، فإن الإنسان قد يرى اثنين يتساران؛ فيعلم من حيث الإجمال أنهما يتساران، وإن لم يعلم تفصيل ما يتساران به؛ وقد يتساران في مكان لا يراهما أحد.

وقيل: (إن أسروا) هنا من الأضداد؛ فيحتمل أن يكون بمعنى: أخفوا كلامهم؛ ويحتمل أن يكون بمعنى: أظهروه وأعلنوه [٣]. وكأنهم تناجوا فيما بينهم ثم أظهروا ما أسروه.

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤].

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٦، مجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ٧.

(٢) من الآية (٣) من سورة الأنبياء.

(٣) مسائل الرازي ٢٢٦، فتح القدير ٣/ ٣٩٨، فتح الرحمن.

(٤) الآية (٧) من سورة الأنبياء.

كيف أمر مشركي مكة بأن يسألوا أهل الذكر عمن مضى من الرسل؛ هل كانوا بشراً أو: ملائكة؛ مع أنهم قالوا ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[١].

والجواب: أنه لا مانع من ذلك؛ إذ الإخبار بعدم الإيمان بشيء؛ لا يمنع أمره بالإتيان به؛ وإن سلم فهم وإن لم يؤمنوا بكتاب أهل الكتاب؛ لكن النقل المتواتر من أهل الكتاب في أمر يفيد العلم للكل. أي: لمن يؤمن بكتابهم ولمن لم يؤمن به، وإنما أحالهم على أولئك؛ لأنهم كان يشايعون المشركين في معاداة رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فلا يكذبونهم فيما هم فيه[٢].

وقيل المراد بأهل الذكر: أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم[٣]. وعلى هذا يندفع التساؤل.

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٤].

---

(١) من الآية (٣١) من سورة سبأ.

(٢) الفتوحات الإلهية ٣/ ١٢٠.

(٣) مجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ١٠.

(٤) الآيتان (١٩، ٢٠) من سورة الأنبياء.

الاستحسار: مبالغة في الحسور؛ وهو: الإعياء، فكان الأبلغ في وصفهم: أن ينفي عنهم أدنى الحسور أو مطلقه لا أقصاه؟

والجواب: أنه إنما جيء بالاستحسار الذي هو أبلغ من الحسور: تنبيهاً على أن عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بأن يستحسر منها؛ ولكنهم لا يستحسرون[1].

***

يقول- جل شأنه- ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾[2].

وصف الله- تعالى- لملائكته هذا؛ يدل على أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون؛ فكيف يخشون ويخافون؟

والجواب: أنهم لما رأوا ما جرى لإبليس، وهاروت وماروت، من القضاء والقدر: خافوا من مثل ذلك.

وقيل: إن زيادة معرفتهم بالله وقربهم في محل كرامته؛ يوجب مزيد خوفهم. ولهذا يقال: من كان بالله أعرف؛ كان من الله أخوف؛ ومن كان

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٧، والبيضاوي ٢/ ٦٩.

(٢) الآيات من (٢٦-٢٨) من سورة الأنبياء.

إلى الله أقرب؛ كان من الله أرهب، وقيل: يا عجباً من مطيع آمن؛ ومن عاصٍ خائف[١].

* * *

قال الله- تعالى- ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[٢].

كيف قال: (أولم ير..) وهم لم يروا ذلك؟

والجواب: أن المعنى: أولم يعلموا ذلك بإخبار من قبلهم؛ أو: بوروده في القرآن الذي هو معجزة في نفسه؟ ونظيره قوله- تعالى- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٣]. وقوله- تعالى- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ﴾ ونظائره كثيرة[٤].

* * *

يقول- جل شأنه- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥].

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٧.

(٢) من الآية (٣٠) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (٤١) من سورة النور.

(٤) من الآية (٤٣) من السورة السابقة.

(٥) من الآية (٣٠) من سورة الأنبياء.

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾[١].

كيف أخبر أن كل حي من الماء؛ وكل دابة منه؛ مع أن بعض الدواب ليس مخلوقاً من الماء؛ كآدم- عليه السلام- مخلوق من التراب؛ وناقة صالح- عليه السلام- مخلوقة من الحجر؛ والملائكة والجن أحياء وليسوا مخلوقين من الماء، بل من النور والنار؟

والجواب: أن المراد بهذا الماء: الماء الذي هو أصل جميع المخلوقات، وذلك لأن الله- تعالى- خلق الماء وجعل بعضه ناراً لخلق الجن منها؛ وبعض ريحاً فخلق منه الملائكة، وبعضه طيناً فخلق منه آدم، فأصل الحيوان كله: الماء، ويكون قد خص الدابة بالذكر؛ لأن القدرة فيها أظهر وأعجب.

وقيل: المراد بالماء: النطفة؛ وذلك لأن المخلَّق من غير نطفة: لا بد أن يتكون من شيء؛ وذلك الشيء أصله من الماء؛ فكان من الماء في الجملة.

وقيل: إن هذا من باب تنزيل الغالب منزلة الكل في حيوانات الأرض المشاهدة كما في قوله- تعالى- ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٢]. وقوله ﴿ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ ﴾[٣]. ونظائره كثيرة[٤].

---

(١) من الآية (٤٥) من سورة النور.

(٢) من الآية (٣٣) من سورة النمل.

(٣) من الآية (٢٢) من سورة يونس.

(٤) مسائل الرازي ٢٢٧، ٢٢٨، فتح الرحمن.

وقيل: إن المعنى: وجعلنا من الماء حياة كل ذي روح ونماء كل نامٍ؛ فيدخل فيه الحيوان والنبات والأشجار[١].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٢].

كيف أخبر بأن الإنسان خلق من عجل؛ ثم نهاه عن الاستعجال؛ وكأنه تكليف بما لا يطاق؟

والجواب: أن الله- تعالى- نهى الإنسان عما جُبلت عليه نفسه ليقعدها عن مرادها، وهذا كما ركب فيه الشهوة وأمره أن يغلبها؛ لأنه أعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة[٣].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾[٤].

---

(١) مجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ٢١، مسائل الرازي ٢٢٧، تفسير الخازن ٣/ ٣٣٦، الفتوحات ٣/ ٢٣٢، فتح القدير ٤/ ٤٢، ومجمع البيان المجلد الخامس ١٨/ ٥٩.

(٢) الآية (٣٧) من سورة الأنبياء.

(٣) مسائل الرازي ٢٢٨، وتفسير البيضاوي ٢/ ٧٢).

(٤) الآية (٤٥) من سورة الأنبياء.

كيف نفى عن الصم سماع الدعاء إذا ما ينذرون؛ وهم كذلك إذا ما يبشرون؟

والجواب: أنه ليس المراد بالصم من عطلت آلة سمعهم؛ بل المراد بهم من تصاموا عن سماع الحق؛ فاللام في (الصم) للعهد.

وقيل: اللام للجنس؛ ويدخل المخاطبون دخولاً أوليّاً، والتقييد به: لأن الكلام في الإنذار، أو: للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم [1]. والأول: أصوب.

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ [2].

وقال- جل جلاله- ﴿ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [3].

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: كيف نسب الفعل إلى الصنم الكبير؛ وهو الكاسر لهم؟

الثاني: أن الآية الأولى تدل على أنهم ما عرفوا أنه الكاسر لها، والثانية

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٨، الفتوحات ٣/ ١٣٠، وتفسير البيضاوي ٢/ ٧٤.

(٢) الآيتان (٦٢، ٦٣) من سورة الأنبياء.

(٣) الآيتان (٩٣، ٩٤) من سورة الصافات.

تدل على أنهم عرفوا أنه هو الكاسر لها؛ فكيف التوفيق بينهما؟

والجواب عن الأول: أنه قال ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم بهم، لا على طريق الجد[١].

وقيل: إن هذا الكلام مقيد بقوله (إن كانوا ينطقون) والتقدير: قد فعله كبيرهم إن نطقوا فاسألوه؛ فقد علق الكلام بشرط لا يوجد؛ فلا يكون كذباً؛ ويكون كقول القائل: فلان صادق فيما يقول؛ إن لم يكن فوقنا سماء.

وقيل: إنه كلام خرج مخرج الخبر وليس بخبر، إنما هو إلزام يدل عليه الحال؛ فكأنه قال: ما ينكرون أن يكون فعله كبيرهم هذا؛ والإلزام يأتي تارة بلفظ السؤال؛ وتارة بلفظ الأمر؛ وتارة بلفظ الخبر؛ وربما يكون أحد هذه الأمور أبلغ فيه؛ ووجه الإلزام: أن هذه الأصنام- إن كانت آلهة كما تزعمون- فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم؛ لأن غير الإله لا يقدر أن يكسر الآلهة.

وأما ما ذكر فيه أنه أراد به الخبر عن الكبير، وقال: إنه غضب من أن يعبد معه الصغار فكسرهن، وأسند الفعل إليه كما يسند إلى سببه وإلى الحامل عليه. وما روي في ذلك من أن إبراهيم- عليه السلام- كذب

---

(١) مسائل الرازي ٢٢٨.

ثلاث كذبات: قوله: (إني سقيم)[١]، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا)، وقوله في سارة- لما أراد الجبار أخذها- وكانت زوجته- إنها أختي» فمما لا يعول عليه؛ فقد دلت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل: على أن الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- لا يجوز عليهم الكذب؛ وإن لم يقصدوا به غرراً ولا ضرراً؛ كما لا يجوز عليهم التعمية في الأخبار؛ ولا التقية، لأن ذلك مما يؤدي إلى التشكيك في أخبارهم.

وكلام إبراهيم- عليه السلام- يجوز أن يكون من المعاريض؛ وفيها مندوحة عن الكذب؛ وقد أبيح مثل ذلك عند الضرورة[٢].

وقوله: (مما لا يعول عليه) مردود؛ فقد سماها النبي- صلى الله عليه وسلم- كذبات[٣]؛ بمعنى: أن صورتها صورة الكذب؛ إذ الكذب هو: مخالفة الخبر للواقع في اعتقاد المخبر؛ فقول المنافقين لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[٤] كذب؛ لأنه لم يطابق اعتقادهم، مع أنه رسول الله في الواقع. ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها، أشفق إبراهيم- عليه السلام- منها بمؤاخذته بها فقال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى

---

(١) من الآية (٨٩) من سورة الصافات.

(٢) مجمع البيان، المجلد الرابع ١٧/ ٢٣.

(٣) الحديث في الصحيحين عن أبي هريرة.

(٤) من الآية (١) من سورة المنافقون.

﴿خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[١].

والجواب عن الثاني: أنه يجوز أن يكون الذي عرفه وزفّ إليه بعضهم؛ والذي جهله وسأل عنه: بعض آخر، ويجوز أن يكون الكل جهلوه وسألوا عنه؛ فلما عرفوا أنه الكاسر لها زفوا إليه كلهم[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[٣].

كيف صح مخاطبة النار، والخطاب: إنما يكون لمن يعقل؟

والجواب: أن خطاب التحويل والتكوين لا يختص بمن يعقل؛ قال- سبحانه- ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[٤]. وقال- تعالى- ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾[٥].

وقال- عز شأنه- ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾[٦].

وقيل: إن هذا مثل لسرعة التحويل؛ والمراد: أنا جعلنا النار برداً

---

(١) الآية (٨٢) من سورة الشعراء.

(٢) مسائل الرازي ٢٩٤.

(٣) الآية (٦٩) من سورة الأنبياء.

(٤) من الآية (١٠) من سورة سبأ.

(٥) الآية (١١) من سورة فصلت.

(٦) من الآية (٤٤) من سورة هود، مسائل الرازي ٢٢٩.

عليه وسلامة؛ لا يصيبه من أذاها شيء. كما قال- سبحانه- ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ (١).

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ (٢).

كيف وصف الأنبياء بكونهم صالحين؛ مع أن أكثر المؤمنين صالحون؟

والجواب: أن المعنى من الصالحين للإدخال في الرحمة التي أريد بها النبوة والرسالة، أو الجنة، ويؤيد ذلك قول سليمان- عليه السلام- ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣). أي: الصالحين للعمل المرضي الذي سبق سؤاله.

وقيل: المعنى: حكمنا بكونهم صالحين؛ وهو غاية ما يوصف به من الثناء الجميل وقيل المعنى: وفقناهم للصلاح، وحملناهم عليه، فصاروا

---

(١) من الآيتين (٦٥، ١٦٦) من سورتي البقرة والأعراف، مجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ٤١.

(٢) الآية (٧٢) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (١٩) من سورة النمل.

كاملين [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ [٢].

وقال- عز وجل- ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [٣].

فكيف وصف الريح مرة بأنها عاصفة؛ وأخرى بأنها رخاء وهي واحدة؟

والجواب: أن الريح كانت تحت أمره؛ إن أراد أن تشتد اشتدت، وإن أراد أن تلين، لانت حسب إرادته.

وقيل: إنها كانت عاصفة بمعنى: شديدة الهبوب، من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة، كما قال- تعالى- ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ [٤]. وكانت رخاءً في نفسها طيبة [٥].

***

(١) مسائل الرازي ٢٢٩، مجمع البيان ١٧/ ١٤، البيضاوي ٢/ ٧٧، ولا يخفى ما في هذا القول من ضعف؛ لأن الحمل على الصلاح يتنافى مع حرية التكليف.

(٢) الآية (٨١) من سورة الأنبياء.

(٣) الآية (٣٦) من سورة ص.

(٤) من الآية (١٢) من سورة سبأ.

(٥) الخازن ٣/ ٢٦٨، البيضاوي ٢/ ٧٨..

قال الله- تعالى- ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[١].

وقال- جلت حكمته- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[٢].

الصبر: هو ترك الشكوى من ألم البلوى؛ وأيوب- عليه السلام- قد شكى، فكيف وُصف بالصبر؟

والجواب: أن الشكوى إلى الله- تعالى- لا تنافي الصبر، ولا تسمى جزعاً؛ لما فيها من إظهار الخضوع والعبودية لله- تعالى- والافتقار إليه. ويؤيده قول يعقوب- عليه السلام- ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[٣]. مع قوله ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ ﴾[٤] وقولهم: الصبر ترك الشكوى؛ يعني: إلى العباد.

وقيل: إنه- عليه السلام- إنما طلب الشفاء من الله- تعالى- بعد ما لم يبق منه إلا قلبه ولسانه؛ خيفة على قومه أن يفتنهم الشيطان بما كان يوسوس إليهم به ويقول: إنه لو كان أيوب نبيّاً لما ابتلي بما هو فيه؛ ولدعا

---

(١) الآية (٨٣) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية (٤٤) من سورة ص.

(٣) من الآية (٨١) من سورة يوسف.

(٤) من الآية (٨٦) من السورة السابقة.

الله- تعالى- بكشف ضره [١].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ [٢].

وقال- جل ثناؤه- ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ [٣].

كيف أنث الضمير في الأولى، وذكره في الثانية؛ والقصة واحدة؟

والجواب: أنه حيث أنث أراد النفخ في ذاتها، وإن كان مبدأ النفخ من الفرج الذي هو مخرج الولد؛ أو: أنه أراد جيب درعها لأنه فرجة؛ وكل فرجة بين شيئين تسمى فرجاً في اللغة؛ وحيث ذكر فظاهر [٤].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ۝٩٤ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٩، ولا يخفى ضعف هذا القول لأنه من الإسرائيليات التي تتعارض مع سلامة الأنبياء من كل ما ينفر المدعوين من مجالستهم ومخالطتهم... عليهم السلام.

(٢) من الآية (٩١) من سورة الأنبياء..

(٣) من الآية (١٢) من سورة التحريم.

(٤) مسائل الرازي ٢٢٩.

لَا يَرْجِعُونَ ﴾[١].

الآية تدل على أنه يجب أن يرجعوا؛ لأن كل ما حرم أن لا يوجد؛ وجب أن يوجد؛ فكيف معنى الآية؟ وكيف يصح أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله؛ ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟

والجواب: أن المعنى: وواجب على أهل قرية عزمنا على إهلاكهم؛ أو: قدرنا إهلاكهم أنهم لا يرجعون عن الكفر إلى الإيمان؛ أو: أنهم لا يرجعون بعد إهلاكهم إلى الدنيا؛ فالحرام هنا بمعنى: الواجب.

وقيل: لفظ الحرام على ظاهره؛ لا زائدة، والحرمة هنا بمعنى: المنع كما قال- تعالى- ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ ﴾[٢]. وقوله- تعالى- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ والمعنى: أنهم منعوا من ذلك كما يمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه- فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع[٣].

***

يقول المولى- عز وجل- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

(١) الآيتان (٩٤، ٩٥) من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية (١٢) من سورة القصص.

(٣) مسائل الرازي ٢٢٩-٢٣٠، وزاد المسير ٥/ ٣٨٧.

حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾[١].

وقال- جلت حكمته ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ -[٢].

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[٣].

وقال- سبحانه- ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[٤].

الآية الأولى تفيد أن جميع المعبودين من دون الله حصب جهنم.. والآيات التي تليها تفيد أن بعض المعبودين كالملائكة وعيسى وعزير- عليهم السلام- ناجون منها؛ فكيف الجمع بينها؟

والجواب: أن هذه الآية لم تتناول الملائكة ولا عيسى؛ لأن (ما) المستعملة في الآية لا تشمل العقلاء.. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حيث قال: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾[٥]. ولو كان

(١) الآية (٩٨) من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة سبأ.

(٣) الآية (٥٩) من سورة الزخرف.

(٤) من الآية (٥٧) من سورة الإسراء.

(٥) من الآية (٥٨) من سورة الزخرف.

المشركون منصفين لما ادعوا دخول العقلاء في لفظ لا يتناولهم لغة. كما أن الله- جل شأنه- نص على إخراجهم من هذا بقوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾[١] الآيات.

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

كيف كان- صلى الله عليه وسلم- رحمة للعالمين؛ ومنهم الكفار الذين ماتوا على كفرهم؛ فهو عليهم نقمة؛ لأنه لولا إرساله لما عذبوا بكفرهم لقوله- تعالى- ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[٣].

والجواب: أنه- صلى الله عليه وسلم- كان رحمة للكافرين- أيضاً- من حيث إن عذاب الاستئصال رُفع عنهم بسببه؛ كما عافاهم الله مما أصاب الأمم السابقة من السخط والمسخ.

وقيل: إنه كان رحمة عامة للكافرين من حيث إنه جاء بما يسعدهم - إن اتبعوه- ومن لم يتبعه فهو الذي قصر في حق نفسه؛ وضيع نصيبه من الرحمة. ومثله- صلوات الله وسلامه عليه- كمثل عين ماء عذبة فجّرها الله- تعالى- فسقى ناس زروعهم ومواشيهم منها فأفلحوا؛ وفرط ناس

---

(١) الآية (١٠١) من سورة الأنبياء.

(٢) الآية (١٠٧) من السورة السابقة.

(٣) من الآية (١٥) من سورة الإسراء.

في السقي منها فضيعوا؛ فالعين نفسها: نعمة من الله- تعالى- للفريقين ورحمة؛ وإن قصر البعض وفرطوا.

وقيل: المراد بالرحمة: الرحيم؛ وهو- صلى الله عليه وسلم- كان رحيماً بالفريقين، ألا ترى أنهم لما شجوه يوم أحد وكسروا رباعيته حتى خر مغشياً عليه؛ فلما أفاق قال: «**اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»[١]؟

***

قال الله- عز وجل- ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٢].

وقال- جلت حكمته- ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[٣].

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[٤].

وقال- عز شأنه- ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[٥].

عبّر في الآية الأولى بلفظة (إنما) وهي تدل على الحصر عند الجمهور؛

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٠-٢٣١، ومجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ٦٩، وفتح الرحمن.

(٢) من الآية (١٠٨) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (١) من سورة الجن.

(٤) من الآية (١٠٢) من سورة يوسف.

(٥) من الآية (٣) من السورة السابقة.

وعليه فهي تدل على حصر الوحي في توحيد الألوهية، وفي الآيات الأخرى دلالة على أنه أوحي إليه غير ذلك؛ فكيف التوفيق بينهما؟

والجواب: أنه حصر الوحي في توحيد الألوهية حصراً له في أصله الأعظم الذي يرجع إليه جميع الفروع؛ لأن شرائع كل الأنبياء داخلة في ضمن: لا إله إلا الله؛ لأن معناها خلع كل الأنداد سوى الله في جميع أنواع العبادات، وإفراد الله بجميع أنواع العبادات. فيدخل في ذلك جميع الأوامر والنواهي القولية والفعلية، والاعتقادية[1].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾[2].

كيف قال ﴿ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ ﴾ مع إخباره- تعالى- بقرب الساعة بقوله- تعالى- ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ ﴾[3]ونحوه؟

والجواب: أن المعنى: ما أدري أن العذاب الذي توعدونه وتهددون به ينزل بكم عاجلاً أو آجلاً؛ وليس المراد به: قيام الساعة.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص٢٠٤ بتصرف.

(٢) الآية (١٠٩) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (١) من سورة القمر.

ويرد على هذا الجواب: أنه قريب على كل تقدير؛ لأنه إن كان قبل قيام الساعة فظاهر؛ وإن كان بعد قيام الساعة فهو كالمتصل بها لسرعة زمن الحساب فيكون قريباً أيضاً[1].

ولكن يدفع هذا الإيراد: أن قرب الساعة إنما هو بالنسبة لأيام الله - عز وجل - أو: بالنسبة لما بقي من الدنيا.

***

يقول المولى - جل شأنه - ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾[2].

المؤمنون يعتقدون أن الله - تعالى - لا يحكم إلا بالحق؛ فما فائدة الأمر والإخبار المتعلق بهما؟ أو: هل يجوز على الله أن يحكم بغير الحق حتى قال ذلك؟

والجواب: أنه ليس المراد بالحق هنا: ما هو نقيض الباطل، بل المراد به: ما وعده الله - تعالى - به: من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين؛ ووعده لا يكون إلا حقاً؛ فكأنه قال: عجّل لنا وعدك وأنجزه؛ ونظيره: قوله - تعالى - ﴿ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴾[3].

---

(١) مسائل الرازي ٢٣١.

(٢) من الآية ١١٢) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (٨٩) من سورة الأعراف.

وقيل: إن الصفة هاهنا: أقيمت مقام الموصوف؛ والتقدير: رب احكم بحكمك الحق؛ ونظيره في عكسه من صفة الذم قوله: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[١].

وقيل: معنى (الحق) أي: بالعذاب؛ كأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر[٢].

وأما الفائدة في أمره بهذا الدعاء: فهو أن الدعاء بما لا يجوز خلافه قد يحسن؛ وعلى هذا الوجه: ندعو الله للأنبياء والرسل ونقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم. ونقول: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات؛ على هذا الوجه قال إبراهيم: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾[٣].

***

(١) من الآية (١١٢) من سورة آل عمران.

(٢) مسائل الرازي ٢٣١، الفتوحات ٣/ ١٥٠، زاد المسير ٥/ ٤٠٠، وتفسير الخازن ٣/ ٢٧٩.

(٣) الآية (٨٧) من سورة الشعراء، وانظر: تنزيه القرآن ٢٦٧.

سورة الحج

يقول الله- عز وجل- ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾[١].

كيف جمع في (ترونها) وأفرد في (وترى)؟

والجواب: أن الرؤية أولاً علقت بالزلزلة؛ فجعل الناس كلهم رائين لها؛ وعلقت آخراً بكون الناس على هيئة السكارى؛ فلا بد أن يجعل كل واحد منهم رائياً لسائرهم؛ بقطع النظر عن اتصافه بالسكر؛ إذ السكر هنا من شدة الخوف والفزع؛ وما هم بسكارى من الشراب؛ والأول فيه: نوع إفاقة، والثاني: ما له من فواق[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٣].

كيف علّل الله- سبحانه- جدال النضر بن الحارث بالضلال عن

---

(١) الآية (٢) من سورة الحج.

(٢) مسائل الرازي ٢٣٢، الفتوحات ٣/ ١٥٢، فتح القدير ٣/ ٤٣٥.

(٣) الآيتان (٨، ٩) من سورة الحج.

سبيل الله، وما كان غرضه ذلك؛ كما أنه لم يكن مهتدياً حتى يخرج بالجدال من الهدى إلى الضلال؟

والجواب: أن هذه اللام: ليست لام العلة؛ وإنما هي لام العاقبة والصيرورة، ولما كان الهدى معروضاً عليه فتركه وأعرض عنه؛ وأقبل على الجدال بالباطل؛ جعل كالخارج من الهدى إلى الضلال. فالمراد من قوله ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليستمر أو: ليزيد ضلاله؛ وإن ضلاله كالغرض له لكونه مآله [١].

***

يقول الله- عز وجل- ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ [٢].

كيف التوفيق بين الآيتين؛ والأولى: نفت النفع والضر عن الأصنام، والثانية أثبتت لها نفعاً ما؟

والجواب: أن المعنى: يعبد من دون الله ما لا يضره بنفسه إن لم يعبده؛ ولا ينفعه بنفسه إن عبده؛ ثم قال: يعبد من يضره الله بسبب

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٢، الفتوحات ٣/ ١٥٥.

(٢) الآيتان (١٢، ١٣) من سورة الحج.

عبادته. وإنما أضاف الضرر إليه لحصوله بسببه، ومعنى ﴿ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ﴾ أي: أقرب من النفع المنسوب إليه في زعمهم؛ وهو اعتقادهم أنه يشفع لهم [١].

وقيل: المعنى: أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده؛ ولكن العرب تقول لما لا يكون: هذا بعيد، ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون؛ فلما كان نفعه بعيداً؛ قيل لضره: إنه أقرب من نفعه؛ على معنى: أنه كائن [٢].

وقيل: إن الإتيان بصيغة التفضيل- مع عدم النفع بالمرة- للمبالغة في تقبيح حال ذلك الداعي؛ أو: ذلك من باب ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [٣].

وقيل: الآية في الرؤساء، وهم الذين كانوا يفزعون إليهم لأنه يصح منهم أن يضروا وينفعوا؛ وحجة هذا القول: أن الله- تعالى- بيّن في الآية الأولى: أن الأوثان لا تضر ولا تنفع؛ وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضاراً نافعاً، فلو كان المذكور في هذه: الأوثان، لزم التناقض، فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله ﴿ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾ أي: الناصر والمصاحب

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٢.

(٢) مجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ٨٦.

(٣) من الآية (٢٤) من سورة سبأ، فتح القدير ٣/ ٤٤٠.

المعاشر[1].

وهذا أولى الأقوال بالقبول وأقربها في التوفيق.

***

يقول الله- تعالى- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾[2].

ما المراد بالسجود في الآية؟ إن كان المراد منه: الانقياد؛ فكيف قال ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ وكل الخلق ساجدون لله بهذا المعنى؛ وإن كان المراد منه: سجود الطاعة والعبادة، فكيف ذكر هذه الأشياء؟

والجواب: أنه قيل: إن سجود هذه الأشياء: هو تحول ظلالها.

وقيل: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب؛ ثم لا ينصرف حتى يؤذن له، فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعه.

وقيل: معنى سجودها: الطاعة؛ فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله - تعالى- خاشع مسبح له؛ كما وصفهم بالخشية والتسبيح؛ وهذا مذهب

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٢٨٣.

(٢) من الآية (١٨) من سورة الحج.

أهل السنة. وهو: أن هذه الأجسام: لما كانت قابلة لجميع الأعراض التي خلقها الله- تعالى- فيها من غير امتناع البتة، أشبهت بمطاوعتها أفعال المكلف- وهو السجود- الذي كل خضوع دونه- ولا يقال: هذا التأويل يبطله قوله ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ فإن السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم؛ فإسناده إلى كثير من الناس يكون تخصيصاً من غير فائدة.

لأن المعنى الذي ذكر؛ وإن كان عاماً في حق الكل؛ إلا أن بعضهم تمرد وتكبر، وترك السجود في الظاهر، فهذا وإن كان ساجداً بذاته، لكنه متمرد بظاهره، وأما المؤمن فإنه ساجد بذاته وبظاهره- أيضاً- فلأجل الفرق: حصل التخصيص بالذكر.

وقيل: المراد بالسجود مما لا يعقل: الانقياد؛ وممن يعقل: الطاعة والعبادة، وعلى هذا يكون المعنى: ولله يسجد من في السموات ومن في الأرض، ويسجد له كثير من الناس؛ ويكون في تخصيص ذكر ﴿ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ مع دخوله في عموم قوله ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ دفع لإيهام أن كل الناس يسجدون؛ فبين أن كثيراً من الناس: يسجدون طوعاً دون بعضهم، وهم الذين قال فيهم: ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ وهم الكفار. أي: حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود؛ ومع

كفرهم وامتناعهم من السجود: تسجد ظلالهم لله- عز وجل-[١].

* * *

قال الله- تعالى- ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٢].

وعلى هذه الآية ترد أسئلة: كيف قال (أذن) ولم يبين لهم الشيء الذي أذن لهم فيه؟ وعلى قراءة (يقاتِلون) مبنية للفاعل؛ كيف قال: (أذن) مع أنهم ما كانوا يقاتلون قبل نزول هذه الآية؟

هذه الآية الكريمة تدل على أن قتال الكفار مأذون فيه لا واجب، وقد جاءت آيات أُخر تدل على وجوبه؛ كقوله ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٣]. وقوله ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[٤]. إلى غير ذلك.

والجواب: عن الأول: أن المعنى: أُذن للذين يقاتلون في القتال؛ وإنما حُذف لدلالة يقاتلون عليه؛ ولدلالة الحال أيضاً؛ فإن كفار مكة يؤذون المؤمنين بأنواع الأذى، وهم يستأذنون النبي- صلى الله عليه وسلم- في

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٢٨٤.

(٢) الآية (٣٩) من سورة الحج.

(٣) من الآية (٥) من سورة التوبة.

(٤) من الآية (٣٦) من السورة السابقة.

قتالهم فيقول: اصبروا فإني لم أؤمر بقتال؛ حتى هاجر إلى المدينة؛ فنزلت هذه الآية. فكان المأذون فيه ظاهراً لكونه مترقباً منتظراً.

والجواب عن الثاني: أن المعنى: أُذن للذين يريدون أن يقاتلوا؛ وسماهم مقاتلين مجازاً باعتبار ما يؤولون إليه [1].

والجواب عن الثالث: أنه أُذن فيه أولاً من غير إيجاب؛ ثم أوجبه بعد ذلك [2].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [3].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف صح الاستثناء؟ وما وجه الامتنان على المؤمنين في عدم هدم الصوامع والبيع. الثاني: كيف قال: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) دفع إيهام الاضطراب ٢٠٥.

(٣) الآية (٤٠) من سورة الحج.

وفي جملة المؤمنين من يغلب؟

والجواب عن الأول: أن الاستثناء منقطع؛ والتقدير: لكن أخرجوا بقولهم: ربنا الله.

وقيل: إنه من باب المدح بما يشبه الذم [١]. وأما وجه الامتنان على المؤمنين في حفظ الصوامع والبيع والكنائس؛ أن هذه الأشياء في حرم المسلمين وحراستهم وحفظهم؛ لأن أهلها أهل ذمة مع المسلمين.

وقيل: المراد لهدمت صوامع وبيع زمن عيسى- عليه السلام- وصلوات؛ أي: كنائس في زمن موسى- عليه السلام- ومساجد؛ في زمن النبي- صلى الله عليه وسلم- فالامتنان على أهل الأديان الثلاثة لا على المؤمنين خاصة [٢].

والجواب: عن الثاني: أن النصر على وجوه؛ فلا بد فيمن ينصر ربه بالطاعة والجهاد أن يكون الله- تعالى- ناصره ببعض الوجوه. هذا؛ والغلبة على المؤمن لا تخرجه عن أنه المنصور لأنه المحمود العاقبة [٣].

***

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق ٢٣٤.

(٣) تنزيه القرآن ٢٧٣.

قال الله- تعالى- ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ ﴾[١].

لم قال (وكُذب موسى) ولم يقل: وقوم موسى كما قال الله- تعالى- فيما قبله؟

والجواب عنه: لأن موسى- عليه السلام- ما كذبه قومه- بنو إسرائيل- وإنما كذبه غير قومه؛ وهم: القبط.

وقيل: لأن التنكير والإبهام: للتفخيم والتعظيم؛ كأنه قال- بعدما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم: وكُذب موسى- أيضاً- مع وضوح آياته وعظم معجزاته؛ فما ظنك بغيره؟![٢].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٣].

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾[٤].

وقال- جل وعلا- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ

(١) الآيات من (٤٢-٤٤) من سورة الحج.

(٢) مسائل الرازي ٢٣٤.

(٣) من الآية (٤٦) من سورة الحج.

(٤) من الآية (٤) من سورة الأحزاب.

أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾[1].

وقال- تباركت أسماؤه- ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾[2].

كيف التوفيق بين الآية الأولى، والتي يوهم ظاهرها، أن الأبصار لا تعمى، وبين الآيتين الأخيرتين اللتين تبينان، أن عمى الأبصار أمر جائز، وأن انسداد العقل وعدم القدرة على التمييز، أمر كائن وواقع؟

وما فائدة ذكر الصدور والجوف، والقلوب لا تكون إلا فيهما؟

والجواب عن الأول: أن التمييز بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وبين القبيح والحسن، لما كان كله بالبصائر لا بالأبصار، صار العمى الحقيقي هو: عمى البصائر لا عمى الأبصار. ألا ترى أن صحة العينين لا تفيد مع عدم العقل- كما هو ضروري- وقوله- ﴿ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ ، يعني: بصائرهم، أو: أعمى أبصارهم عن الحق وإن رأت غيره[3].

والجواب عن الثاني: أن فائدته: المبالغة في التأكيد؛ كما في قوله - تعالى- ﴿ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾[4] وقوله- عز وجل- ﴿ يَقُولُونَ

---

(١) من الآية (٢٣) من سورة محمد.

(٢) من الآية (١٧) من سورة الفتح.

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص٢٠٥.

(٤) من الآية (٣٨) من سورة الأنعام.

﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾(١). وما أشبه ذلك.

وقيل: إن القلب يستعمل بمعنى العقل؛ ومنه قوله- تعالى-﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢). أي: عقل، في أحد القولين، فكان التقييد احترازاً على قول من زعم أن العقل في الرأس.

وقيل: إنما ذكر ذلك لئلا يتوهم إلى غير معنى القلب؛ نحو: قلب النخلة، فيكون أنفى للبس بتجوز الاشتراك، وكذلك قوله-﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم﴾(٣) لأن القول قد يكون بغير الفم، والمعنى: أن الأبصار وإن كانت عمياء فلا تكون في الحقيقة كذلك إذا كان أصحابها عارفين بالحق، وإنما يكون العمى عمى القلب الذي يقع معه الجحود بوحدانية الله- سبحانه-(٤).

***

يقول الله- تعالى-﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ

(١) من الآية (١١) من سورة الفتح.

(٢) الآية (٣٧) من سورة ق.

(٣) من الآية (١٦٧) من سورة آل عمران.

(٤) مسائل الرازي ٢٣٤، مجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ١١٦.

يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[1].

وقال- سبحانه- ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾[2].

وقال- جل شأنه- ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾[3].

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى بيان مقدار اليوم عند الله- سبحانه-؟ الثاني: كيف التوفيق بين ألف سنة؛ وخمسين ألف سنة؟

والجواب عن الأول: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا؛ فقيل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإن يوماً من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا؛ فكيف تستعجلون بالعذاب؟ فقد تضمنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة.

وقيل المعنى: وإن يوماً عند الله وألف سنة سواء في قدرته على

(١) الآية (٤٧) من سورة الحج.

(٢) الآية (٥) من سورة السجدة.

(٣) الآية (٤) من سورة المعارج.

عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيره في القدرة، إلا أن الله تفضل عليهم بالإمهال[1].

والجواب عن الثاني: أن المراد بالألف سنة: مسافة عروج الملائكة من الأرض إلى السطح الأعلى من سماء الدنيا؛ وذلك ألف سنة؛ خمسمائة سنة مسافة ما بين الأرض والسماء؛ وخمسمائة سنة مسافة سمك السماء الدنيا. وهذه بالنسبة لغير الملك. والمراد بالثاني: مسافة عروج الملائكة من الأرض إلى العرش.

وقيل المراد باليوم في الآيتين: يوم القيامة؛ ومقداره: ألف سنة من حساب أهل الدنيا؛ لقوله- تعالى-. ومعنى قوله: (خمسين ألف سنة) أي: لو تولى فيه حساب الخلق غير الله- تعالى-.

وقيل: إنه كألف سنة في حق خواص المؤمنين وخمسين ألف سنة في حق عوامهم.

وقيل: إنه كألف سنة في حق عوام المؤمنين، والخمسين ألف سنة في حق الكافرين لشدة ما يكابدون فيه من الأهوال والمحن. وكساعة من أيام الدنيا في حق خواص المؤمنين ويؤيده ما روي: أنه قيل يا رسول الله؛ «يوم مقداره خمسون ألف سنة ما أطوله! فقال: والذي نفسي بيده ليخفف على

(1) زاد المسير 5/ 439..

المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»[١] وروي أن ابن عباس- رضي الله عنهما- سئل عن هاتين الآيتين فقال: «يومان ذكرهما الله- تعالى- في كتابه؛ وإني أكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم»[٢].

وقيل: إن يوم القيامة فيه أيام، فمنه ما مقداره ألف سنة، ومنه ما مقداره خمسون ألف سنة.

وقيل: هو أوقات مختلفة؛ فيعذب الكافر بجنس العذاب: ألف سنة، ثم ينقل إلى جنس آخر من العذاب مدته خمسون ألف سنة.

وقيل: مواقف القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف سنة، فمعنى ﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ . أي: مقدار وقت أو: موقف من يوم القيامة.

وقيل: اليوم في اللغة بمعنى الوقت، فالمعنى: تعرج الملائكة والروح إليه في وقت كان مقداره ألف سنة؛ وفي وقت كان مقداره: خمسين ألف سنة[٣].

وقيل: إن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر؛ وذلك لأن من نفذ أمره

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ١١٣.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٤-٢٧٥.

(٣) الفتوحات الإلهية ٣/ ٤١٣.

غاية النفاذ في يوم أو يومين وانقطع، لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنين متطاولة فقوله ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ يعني: يسير الأمر في زمان يوم منه ألف سنة، فكم يكون الشهر منه؟ وكم تكون السنة منه؟ وعلى هذا فلا فرق بين ألف سنة وبين خمسين ألف سنة.

وقيل: إن الألف سنة للنزول والعروج؛ والخمسين ألف سنة لمدة القيامة [١].

وقد أجاد الشيخ الشنقيطي- رحمه الله تعالى- حيث قال: وللجمع بينها وجهان:

الأول: عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: من أن يوم الألف- في سورة الحج- هو أحد الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض، ويوم الألف في سورة السجدة: هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه- تعالى- ويوم الخمسين ألفاً هو: يوم القيامة.

الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر. ويدل لهذا قوله- تعالى- ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ [٢]. ذكر هذين الوجهين صاحب الإتقان [٣].

* * *

(١) مجمع البيان، المجلد الخامس ٢١/ ٧٤، وفتح القدير ٤/ ٢٤٩.

(٢) الآيتان (٩، ١٠) من سورة المدثر.

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص٢٠٧.

يقول الله- عز وجل- ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

والمغفرة تكون لمن عمل السيئات؛ فكيف وعد من يعمل الصالحات بالمغفرة؟

والجواب: أن المراد بالعمل الصالح هنا: هو الإخلاص في الإيمان. قال الكلبي: كل موضع جاء في القرآن (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فالمراد به: الإخلاص في الإيمان؛ فيصير المعنى: فالذين آمنوا عن إخلاص تغفر لهم سيئاتهم[2].

وقيل: معنى (لهم مغفرة) أي: لما بدر منهم، أو: مغفرة لما سلف من سيئاتهم[3].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ

(١) الآية (٥٠) من سورة الحج.

(٢) مسائل الرازي ٢٣٤.

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ٩٥.

أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[١].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان: الأول: ما الفرق بين الرسول والنبي حتى جمع بينهما؟ الثاني: قيل: إن النبي- صلى الله عليه وسلم- سهى في سورة (النجم) حتى ألقى الشيطان في تلاوته (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) فكيف ذلك- وهو معصوم- وقد قال الله- تعالى- ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[٢].

والجواب عن الأول: أن الرسول هو: من جمع له بين المعجزة وإنزال الكتاب عليه، والنبي: من لم ينزل عليه كتاب؛ وإنما أمر أن يدعو قومه إلى شريعة من قبله؛ كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى - عليهم السلام- ولذلك شبه الرسول- صلى الله عليه وسلم- علماء أمته بهم[٣]. فالنبي أعم من الرسول؛ ويدل عليه أنه- صلى الله عليه وسلم- سئل عن الأنبياء فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً فقيل: كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً»[٤].

---

(١) الآيات من (٥٢-٥٤) من سورة الحج.

(٢) من الآية (٦٥) من سورة الإسراء.

(٣) إتحاف السادة المتقين ١/ ٧١، كنز العمال ٢٨٦٧٩.

(٤) فتح البيان ٨/ ٣٠٤ مطبعة العاصمة.

وقيل: الرسول: من كانت له معجزة، والنبي: من يُوحى إليه في منامه.

وقيل: الرسول: من كانت له معجزة، والنبي: من لم تكن له معجزة، وفي هذا نظر؛ لأنه لا بدّ لهما- جميعاً- من المعجزة الظاهرة.

وقيل: الرسول: من كان مبعوثاً إلى أمة؛ والنبي- فقط- من لم يكن مبعوثاً إلى أحد مع كونه نبيّاً. والآية على هذا فيها إضمار والتقدير: وما أرسلنا من رسول ولا نبأنا من نبي، أو: ولا كان من نبي.

وقيل: الرسول: هو الذي أرسله الله- تعالى- أعم من أن يكون ملكاً أو بشراً، والنبي: هو الذي له الرفعة والدرجة العظيمة بالإرسال؛ لأن الله- سبحانه- خاطب نبينا- صلى الله عليه وسلم- مرة بالنبي؛ ومرة بالرسول فقال: (يا أيها الرسول)، وقال: (يا أيها النبي) فالرسول والنبي: واحد لأن الرسول يعم الملائكة والبشر، والنبي يختص بالبشر؛ فجمع بينهما هنا في قوله﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[1].

والجواب عن الثاني: أن أصل هذه القصة- كما رويت عن ابن عباس وغيره- أنه لما رأى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تولى قومه

---

(١) من الآيتين (٥١، ٥٤) من سورة مريم، وانظر: مسائل الرازي ٢٣٥، مجمع البيان، المجلد الرابع ١٧/ ١١٩، فتح القدير ٣/ ٤٦١.

عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به من الله- تعالى- تمنى- في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم، فكان يوماً في مجلس قريش، فأنزل الله- عز وجل- سورة النجم؛ فقرأها رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾ (١). ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى) فلما سمعت قريش بذلك فرحوا به، ومضى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في قراءته، فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها، وسجد المسلمون بسجوده، وسجد جميع من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد، غير الوليد بن المغيرة، وأبي أُحيحة سعيد بن العاص، فإنهما أخذا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتيهما وسجدا عليها؛ لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود. وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده؛ فإن جعل لها محمد نصيباً فنحن معه.

فلما أمسى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أتاه جبريل فقال: يا

---

(١) الآيتان (١٩، ٢٠) من سورة النجم.

محمد، ما صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله- تعالى-. فحزن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حزناً شديداً؛ وخاف من الله- تعالى- خوفاً كبيراً، فأنزل الله- تعالى- هذه الآيات يعزيه، وكان به رحيماً. وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- وبلغهم سجود قريش، وقيل: قد أسلمت قريش وأهل مكة، فرجع أكثرهم إلى عشائرهم، وقالوا: هم أحب إلينا.

حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي حدثوا به من إسلام قريش وأهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو كان مستخفياً، فلما نزلت الآية: قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك. وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد وقعا في فم كل مشرك، فازدادوا شركاً إلى ما كانوا عليه، وشدة على من أسلم"[1].

ولقد أجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه- صلى الله عليه وسلم- معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به، لا قصداً ولا عمداً، ولا سهواً ولا غلطاً. قال الله- تعالى- ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[2]

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٥٦.

(٢) الآية (٣) من سورة النجم.

وقال- تعالى- ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [1]. ولذلك ذهب بعض العلماء إلى توهين أصل هذه القصة وقالوا: إنه لم يروها أحد من أهل الصحة، ولا أسندها ثقة بسند صحيح، أو سليم متصل؛ وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، الملفقون من الصحف كل صحيح وسقيم.

والذي يدل على ضعف هذه القصة: اضطراب رواتها؛ وانقطاع سندها، واختلاف ألفاظها، فمن قائل يقول: إن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان في الصلاة؛ وآخر يقول: قرأها وهو في نادي قومه، وثالث يقول: قرأها وقد أصابته سنة، ورابع يقول: بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه، وخامس يقول: إن الشيطان قالها على لسان النبي- صلى الله عليه وسلم- وأنه- صلوات الله وسلامه عليه- لما عرضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك، إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها. والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قرأ (والنجم) فسجد فيها؛ وسجد من كان معه، غير أن شيخاً من قريش أخذ كفاً من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته، قال عبد الله: فلقد رأيته بعد قتل كافراً» [2] أخرجه الشيخان. وصح من حديث

---

(١) الآية (٤٢) من سورة فصلت.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٦٥٦.

ابن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس» رواه البخاري[١].

فهذا الذي جاء في الصحيح: لم يذكر فيها أن النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر تلك الألفاظ ولا قرأها، والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه القصة قد رواه الكلبي وهو ضعيف جداً[٢].

وقال بعض العلماء: هذه القصة باطلة موضوعة، لا يجوز القول بها، فالحجة قد قامت بالدليل الصحيح، وإجماع الأمة على عصمة النبي- صلى الله عليه وسلم- ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة؛ وهو تمنيه أن ينزل عليه مدح غير الله، أو يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن، حتى يجعل فيه ما ليس منه، وحتى ينبهه جبريل إلى ذلك. فهذا كله ممتنع في حقه- صلى الله عليه وسلم- قال الله- تعالى- ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[٣]. وقال- عز وجل- ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾[٤] . وقال- سبحانه- ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾[٥].

---

(١) المرجع السابق ٦/ ٤٦٥، ٤٦٦.

(٢) أسباب النزول ص٢٣٢ ط. المتنبي.

(٣) الآيات من (٤٤-٤٦) من سورة الحاقة.

(٤) الآية (٣) من سورة النجم.

(٥) من الآية (٦٥) من سورة الإسراء.

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[١].

وقال البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، ثم بين أن رواة هذه القصة مطعون فيهم، ثم قال: ولا شك أن من جوّز على الرسول - صلى الله عليه وسلم - تعظيم الأوثان فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان، ولو جوزنا ذلك ارتفع الأمان عن شرعه، وجوزنا في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك؛ أي: مما ألقاه الشطان على لسانه؛ ويبطل قوله- تعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٢].فإنه لا فرق- في العقل- بين النقصان من الوحي وبين الزيادة فيه، فبهذه الوجوه النقلية والعقلية عرفنا- على سبيل الإجمال- أن هذه القصة موضوعة، وقد قيل: إن هذه القصة من وضع الزنادقة، ولا أصل لها[٣].

ولكن قوله: لا أصل لها، ليس كما قال، بل لها أصل فقد نبه ابن كثير وغيره على طرق إخراجها؛ ولكن كما قال: إن طرقها كلها مرسلة، وأنه لم

---

(١) من الآية (٧٤) من السورة السابقة.

(٢) من الآية (٦٧) من سورة المائدة.

(٣) فتح القدير ٣/ ٤٦٢ ط. دار الفكر.

يروها مسندة من وجه صحيح، وهذا متعقب بإخراج جماعة لها عن ابن عباس، وكذا نبه على ثبوت أصلها: شيخ الإسلام بن تيمية، وذكر جماعة ممن أخرجوها، ثم قال: وكل من طرقها سوى سعيد ابن جبير؛ إما ضعيف وإما منقطع، لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا، مع أن لها طريقين آخرين مرسلين، رجالهما على شرط الصحيح، وذكر الطريقين، ثم قال: وقال الحافظ ابن حجر- أيضاً- وقد تجرأ ابن العربي- كعادته- فقال: ذكر الطبري في ذلك روايات كثيرة لا أصل لها، وهو إطلاق مردود عليه، وكذا قول القاضي عياض: هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده... ثم قال: ثم رده من طريق النظر بأن ذلك لو وقع: لارتد كثير ممن أسلم، ولم ينقل ذلك[1].

قال الحافظ ابن حجر: وجميع ذلك لا يتمشى على قواعد المحدثين؛ فإن الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها، دل ذلك على أن لها أصلاً، وقد ذكرنا أن ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح، وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل؛ وكذا من لا يحتج به، لاعتضاض بعضها ببعض. وإذا تقرر ذلك لا يجوز حمله على ظاهره؛ لأنه يستحيل عليه-

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٧٤١ ط. الحلبي.

صلى الله عليه وسلم- أن يزيد في القرآن عمداً ما ليس فيه، وكذا سهواً إذا كان مغايراً لما جاء به من التوحيد؛ لمكان عصمته، وقد سلك العلماء في ذلك مسالك:

فقيل: جرى ذلك على لسانه حين أصابته سنة من النوم وهو لا يشعر؛ فلما أعلمه الله بذلك أحكم آياته. وهذا أخرجه الطبري عن قتادة[1]. ورده القاضي عياض بأنه لا يصح؛ لكونه لا يجوز على النبي ذلك، ولا ولاية للشيطان عليه في النوم[2].

وقيل: إن الشيطان ألجأه إلى أن قال ذلك بغير اختياره؛ ورده ابن العربي بقوله- تعالى- حكاية عن الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ الآية[3]. قال: فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة على طاعة[4].

وقيل: إن المشركين كانوا إذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك؛ فعلق ذلك بحفظه فجرى على لسانه سهواً؛ ورد ذلك الشوكاني: بأن السهو

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٧٥٢.

(٢) الشفا ٢/ ٧٥٨.

(٣) من الآية (٢٢) من سورة إبراهيم

(٤) فتح القدير ٣/ ٤٦٢.

والنسيان فيما طريقه البلاغ غير جائز كما هو مقرر في مواطنه"[١].

وقيل: لعله قال ذلك توبيخاً للكفار؛ قال القاضي عياض: وهذا جائز إذا كان هناك قرينة تدل على المراد؛ ولا سيما؛ وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزاً"[٢].

وقيل: إنه لما وصل إلى قوله ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾[٣] خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به كعادته إذا ذكرها. فبادروا إلى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي- صلى الله عليه وسلم- على عادتهم في قولهم ﴿لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[٤].أي: أظهروا اللغو برفع الأصوات تخليطاً وتشويشاً عليه؛ ونسب ذلك للشيطان لكونه الحامل لهم عليه، أو المراد بالشيطان شيطان الإنس.

وقيل: إن التمني يكون بمعنى حديث النفس؛ وبمعنى التلاوة؛ فعلى الأولى: يكون معنى (إلا إذا تمنى) أي: خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الأمور. ولا يبعد أنه إذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الأفعال الظاهرة. وهو ما وقع للنبي- صلى الله عليه وسلم- من السهو

---

(١) فتح القدير ٣/ ٤٦٢.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الآية (٢٠) من سورة النجم.

(٤) الآية (٣٦) من سورة فصلت.

في إسقاط آية أو آيات؛ أو: كلمة أو نحو ذلك. ولكنه لا يُقَر على السهو ، بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين؛ كما صح في الحديث: «لقد أذكرني آية كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا»[1]. وحاصل هذا أن الغرض من هذه الآية: أن الأنبياء والرسل- وإن عصمهم الله عن الخطأ في العلم؛ فلم يعصمهم من جواز السهو عليهم، بل حالهم في ذلك كسائر البشر.

وهذا مردود: لأن إلقاء الشيطان كان بألفاظ مسموعة وقعت بها الفتنة، ولأن السهو والنسيان- فيما طريقه البلاغ- غير جائز كما هو مقرر في مواطنه.

وقيل: المراد بالغرانيق العلى الملائكة؛ وقد جاء ذلك في بعض الحديث [2]، وكان الكفار يقولون: الملائكة بنات الله، ويعبدونها، فنسق ذكر الكل ليرد عليهم بقوله ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾ [3] فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع؛ وقالوا: قد عظّم آلهتنا، ورضوا بذلك. فنسخ هاتين الكلمتين وهما قوله (تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى) وأحكم آياته، أي: أن ذلك كان قرآناً منزلاً في وصف الملائكة؛ فلما ظن المشركون أن المراد به آلهتهم نسخت تلاوته.

---

(١) إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤٩٣، كنز العمال ٢٧٩٣.

(٢) فتح القدير ٣/ ٤٦٢.

(٣) الآية (٢١) من سورة النجم.

وقد رد هذا بقول الله- تعالى- ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[1] أي: يبطله، وشفاعة الملائكة غير باطلة.

وقيل: كان النبي- صلى الله عليه وسلم- يرتل القرآن ترتيلاً؛ ويفصل الآي تفصيلاً، كما صح عنه في قراءته[2]، فترصده الشيطان في سكتة من السكتات، ونطق بتلك الكلمات حاكياً صوت النبي- صلى الله عليه وسلم- بحيث سمعه من دنا إليه؛ فظنها من قول النبي وأشاعها. ولذلك سجد المشركون معه لسجوده- صلى الله عليه وسلم- أما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي- صلى الله عليه وسلم- من ذم الأوثان وعيبها، وأنهم كانوا يحفظون السورة كما أنزلها الله- عز وجل-.

قال القاضي عياض: وهذا أحسن الوجوه، وهو الذي يظهر ترجيحه؛ ويؤيده ما روي عن ابن عباس في تفسير (تمنى): بتلا. وكذا استحسن ابن العربي هذا التأويل، وقال: معنى قوله (في أمنيته) أي: في تلاوته؛ فأخبر- تعالى- في هذه الآية أن سنة الله في رسله إذا قالوا قولاً زاد الشيطان فيه من قبل نفسه. فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول- النبي- صلى الله عليه وسلم- لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قاله؛ لأنه

---

(١) من الآية (٥٢) من سورة الحج.

(٢). مشكاة المصابيح ح٢١٩١ ط. المكتب الإسلامي.

معصوم وقد سبق إلى ذلك الطبري مع جلالة قدره، وسعة علمه، وشدة ساعده في النظر، فصوب هذا المعنى[1].

وحاصل معنى الآية: أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك دون أن يتكلم به رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ولا جرى على لسانه. فتكون هذه الآية تسلية لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- أي: لا يهولنك ذلك ولا يحزنك؛ فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء[2].

***

قال الله- تعالى- ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ﴾[3].

كيف قال: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ أي: الملك يوم القيامة لله، وهو في كل حال له- عز وجل-؟

والجواب: أنه في الدنيا ملك كثيراً من الناس الأمور، ولو في الظاهر، أما في الآخرة؛ فلا حاكم سواه البتة ولذلك يحكم بينهم[4].

***

(١) تفسير الخازن ٣/ ٢٩٣، الفتوحات الإلهية ٣/ ١٧٣، فتح القدير ٣/ ٤٦٢، ومجمع البيان المجلد الرابع ١٧/ ١٢١.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) من الآية (٥٦) من سورة الحج.

(٤) تنزيه القرآن ٢٨٤.

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[1].

كيف قال ﴿ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ ولا رازق للخلق سواه؟

والجواب: أن أفعل التفضيل على بابه، وأنه كان الرزاق في الحقيقة هو الله- تعالى- إلا أن غيره قد سمي رزاقاً على المجاز؛ كقولك رزق السلطان الجند أي: أعطاهم أرزاقهم. وغير الله- عز وجل- يدفع الرزق من يده ليد غيره؛ لا أنه يفعل الرزق، ويُرزق لانتفاعه من الناس، فهو طالب للعوض في ذلك كله؛ أما الله- سبحانه- فيرزق ما لا يقدر عليه غيره لمحض الإحسان[2].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾[3].

كيف قال: (ضرب مثل) والمذكور بعد: ليس مثلاً؟

والجواب: أن الصفة والقصة الغريبة أو: المستحسنة تسمى مثلاً،

---

(١) من الآية (٥٨) من سورة الحج.

(٢) تفسير الخازن، والفتوحات الإلهية ٣/ ١٧٦.

(٣) الآية (٧٣) من سورة الحج.

ومنه قوله- تعالى- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[١]. والمعنى: أثبت حديث يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار؛ من قولك: ضربت خيمة أي: نصبتها وأثبتها وهذا الحديث: هو أن الكفار يعبدون الأصنام مع عجزها عن خلق ذبابة واستنقاذ ما تسلبه.

وقيل: هي إشارة إلى قوله- تعالى- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾[٢] وإنما أبهمه هنا لأنهم كان لا يصغون إلى سماع القرآن، ولهذا قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٣] وكانوا يحبون الأمثال؛ فذكر لفظ المثل استدراجاً لهم إلى سماع القرآن والإصغاء إليه.

وقيل: ليس هاهنا مثل؛ والمعنى: ضرب له مثل: أي شبه في الأوثان، ثم قال: (فاستمعوا) لهذا المثل الذي جعلوه مثلي.

وقيل: المعنى: جعل ذلك كالشيء اللازم الثابت، من قولك: ضرب السلطان الجزية على أهل الذمة.

وقيل: هاهنا مثل؛ لأن ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذباباً، أي بيّن الله لكم شبهاً ولمعبودكم. وتأويل

---

(١) من الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٤١) من سورة العنكبوت.

(٣) الآية (٣٦) من سورة فصلت.

الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا ﴾ [٢].

وقال- عز وجل- ﴿ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾ [٣].

كيف التوفيق بين الآيتين، والأولى تدل على أن بعض الملائكة رسل، والثانية تدل على أنهم كلهم رسل؟

والجواب: أن بعضاً منهم يكون رسلاً إلى الأنبياء دون الكل، ولئن كان جميعهم من الرسل؛ فلا تناقض في ذلك [٤]. ولعل في الآية الثانية إطلاق الكل وإرادة البعض، أي: جاعل بعض الملائكة رسلاً.

***

قال الله- عز وجل- ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ [٥].

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٥، مجمع البيان، المجلد الرابع ١٧/ ١٢٩، وزاد المسير ٥/ ٤٥١.

(٢) من الآية (٧٥) من سورة الحج.

(٣) من الآية (١) من سورة فاطر.

(٤) تنزيه القرآن ٢٧٥.

(٥) من الآية (٧٨) من سورة الحج.

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأولى: كيف نفى الحرج في الدين؛ مع أن قطع السارق بسبب سرقة عشرة دراهم، ورجم المحصن بسبب الوطء مرة واحدة، ووجوب صوم شهرين متتابعين بسبب إفطار يوم واحد من رمضان بوطء، والمخاطرة بالنفس والمال في الحج والعمرة، كل ذلك حرج بين.

الثاني: كيف قال ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وإبراهيم- عليه السلام- لم يكن أباً للأمة كلها؟

الثالث: متى سمانا إبراهيم- عليه السلام- المسلمين؟

والجواب عن الأول: أن المراد بالدين: كلمة التوحيد؛ فإنها تكفر شرك سبعين سنة، ولا يتوقف تأثيرها على الإيمان والإخلاص: سبعين سنة، ولا على أن يكون الإثبات بها [1] في بيت الله- تعالى- أو في زمان أو مكان معين.

وقيل: معنى (من حرج) أي: من ضيق لا مخرج منه ولا مخلص من عقابه، بل جعل التوبة والكفارات، ورد المظالم مخلصاً من الذنوب، فليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به، فلا عذر لأحد في ترك الاستعداد للقيامة.

---

(١) أي: الانتفاع بثمار هذه الكلمة المباركة.

وقيل المعنى: إن الله- سبحانه- لم يضيق عليكم أمر الدين فلم يكلفكم ما لا تطيقون، بل كل دون الوسع، فلا عذر لكم في تركه.

وقيل: إنه يعني: الرخص عند الضرورات كالقصر والتيمم وأكل الميتة.

وقيل: المراد به نفي الحرج الذي كان على بني إسرائيل من الإصر والتشديد.

والظاهر: أن الآية أعم من هذا كله، فقد حط- سبحانه- ما فيه مشقة من التكاليف على عباده، إما بإسقاطها من الأصل وعدم التكليف بها كما كلف بها غيرهم، أو بالتخفيف وتجويز العدول إلى بدل لا مشقة فيه، أو بمشروعية التخلص من الذنب بالوجه الذي شرعه الله [1].

والجواب عن الثاني: أن إبراهيم- عليه السلام- هو أبو رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فكان أباً لأمته، لأن أمة الرسول بمنزلة أولاده من جهة العطف والشفقة، وهي داخلة فيما خوطب به رسولها. وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «أنا لكم كالوالد» [2]، أي: أن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد، كما قال- تعالى- ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ

(١) فتح القدير ٣/ ٤٧١، مجمع البيان، المجلد الرابع ١٧/ ١٣١، ومسائل الرازي ٢٣٦.

(٢) مسانيد الجامع الكبير ٢/ ٦٩٠ ط. الهيئة المصرية.

﴿ ... بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [١]. هذا إن كان الخطاب لعامة المسلمين، وإن كان للعرب خاصة، فالعرب قاطبة من ولد إسماعيل، وأكثر العجم من ولد إسحاق، وهما ابنا إبراهيم؛ فالغالب على المسلمين أنهم أولاده [٢].

والجواب عن الثالث: أنه كان وقت دعائه عند الكعبة حيث قال: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [٣]. فكل مسلم من هذه الأمة فهو ببركة دعوة إبراهيم- عليه السلام-، أو أنه سماهم مسلمين من قبل في الكتب المتقدمة.

وقيل: الضمير في قوله ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ لله- سبحانه- ويدل عليه قراءة: الله سماكم [٤].

(١) من الآية (٦) من سورة الأحزاب.

(٢) مسائل الرازي ٢٣٦، مجمع البيان، المجلد الرابع ١٧/ ١٣٢.

(٣) من الآية (١٢٨) من سورة البقرة.

(٤) مسائل الرازي ٢٣٦، الفتوحات الإلهية ٣/ ١٨٣، مجمع البيان، المجلد الرابع ١٧/ ١٣٢.

سورة المؤمنون

قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾[١].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: حفظ الفرج إنما يعدى بعن، فكيف عداه بعلى؟

الثاني: كيف عبّر بما في ملك اليمين؛ والمراد: من يعقل؟

والجواب عن الأول: أن (على) هنا بمعنى: مِن، أي: إلا من أزواجهم؛ كما جاءت (مِن) بمعنى: على في قوله- تعالى-﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾[٢]. بدليل الحديث: «احفظ عورتك إلا من زوجتك»[٣].

وقيل: (على أزواجهم) متعلق بـ(حافظون) على تضمين معنى: ممسكين؛ أو: قاصرين؛ وكلاهما يتعدى بعلى؛ قال- تعالى-﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾[٤].

والجواب عن الثاني: أنه عبّر عنهن بما التي لغير العقلاء؛ لأنه اجتمع

---

(١) الآيتان (٥، ٦) من سورة المؤمنون.

(٢) من الآية (٧٧) من سورة الأنبياء.

(٣) فتح الباري ١/ ٨٦، سنن أبي داود ح ٤٠١٧.

(٤) من الآية (٣٧) من سورة الأحزاب.

فيهن الأنوثة المنبئة عن قصور العقل؛ وجواز البيع والشراء فيهن كسائر السلع؛ فأجراهن بهذين الأمرين مجرى غير العقلاء[١].

ولكن ما تستعمل مع العقلاء كما في هذه الآية، وقوله: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾[٢]. وتستعمل لغير العاقل، كما في قوله- عز وجل- ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ .وتستعمل من للعقلاء ولغيرهم، كما في قوله تعالى: ﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ ﴾[٣]. فمن وما يتعاقبان.

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾[٤].

كيف كرر ذكر الصلاة؟ فقد قال- قبل- ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[٥].

والجواب: أنه وصفهم أولاً بالخشوع في الصلاة؛ ووصفهم هنا بالمحافظة عليها؛ فهما ذكران مختلفان؛ فلا تكرار. وفي إعادة ذكر الصلاة:

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٧، فتح القدير ٣/ ٤٧٤.

(٢) من الآية (٣) من سورة النساء.

(٣) من الآية (٤٥) من سورة النور.

(٤) الآية (٩) من سورة المؤمنون.

(٥) الآية (٢) من السورة السابقة.

تنبيه على عظم قدرها وعلو رتبتها عند الله- تعالى-[1].

* * *

يقول الله- عز وجل- ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴾[2].

وقال- جلت حكمته- ﴿ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ ﴾[3].

وقال- سبحانه- ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ ﴾[4].

كيف الجمع بين هذه الآيات؟

والجواب: أن الخلق يكون بمعنى: الإيجاد؛ ولا موجد سوى الله؛ ويكون بمعنى: التقدير، وهو المراد هاهنا، أي: أن بني آدم قد يصورون ويقدرون ويصنعون الشيء؛ فالله خير المصوّرين والمقدرين.

وقيل: إن ذلك يصح من حيث اللغة، فوصف كل من تدبر فعله، وأتى به على وجه الصواب أنه خالق، وذلك مشهور في اللغة. كما أن عيسى- عليه السلام- خلق طيراً، وسمى نفسه خالقاً بقوله ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ﴾[5]. فقال: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ

(١) مجمع البيان، المجلد الرابع ١٨/ ١٣٧، تفسير الخازن ٣/ ٣٠١.

(٢) الآية (١٤) من سورة المؤمنون.

(٣) من الآية (٣) من سورة فاطر.

(٤) من الآية (٦٢) من سورة الزمر.

(٥) من الآية (٤٩) من سورة آل عمران.

ﱡﭐ الْخَالِقِينَ ﱠ[1].

***

يقول المولى- جل شأنه- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[2].

كيف خصّ الإخبار عن الموت الذي لم ينكره الكفار: بلام التأكيد، دون الإخبار عن البعث الذي أنكروه؛ والظاهر يقتضي عكس ذلك؟

والجواب: أنه لما كان العطف يقتضي الاشتراك في الحكم؛ استغنى عن إعادة لفظ اللام الموجبة لزيادة التأكيد؛ فإنها ثابتة معنى بقضية العطف، ولا يلزم على هذا عدم إعادة إن؛ لأنها الأصل في التأكيد، ولأنها أقوى والحاجة إليها أمّس[3].

وقال في فتح الرحمن:-قوله- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ فإن قلت: لم أكده باللام، دون قوله- بعده- ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ مع أن المذكورين ينكرون البعث دون الموت؟ قلت: لما كان العطف بثم المحتاج إليه هنا يقتضي الاشتراك في الحكم؛ اغتنى به عن التأكيد باللام[4].

* * *

(١) تفسير الخازن ٣/ ٣٠٢، زاد المسير ٥/ ٤٦٣، تنزيه القرآن ٢٧٨.

(٢) الآيتان (١٥، ١٦) من سورة المؤمنون.

(٣) مسائل الرازي ٢٣٧.

(٤) فتح الرحمن ٦/ ٤٠٠.

قال الله- تعالى- ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾[١].

المراد بالشجرة هنا: شجرة الزيتون، فلم خص هذه الشجرة من الشجر؟ ولم خصّ هذا المكان مع وجودها في غيره؟

والجواب: أنه خصها من بين الشجر؛ لأنها أكرم الشجر وأكثره بركة؛ ولكثرة منافعها فإن الزيت يسرج به، وهو إدام ودهان ودباغ، ويوقد بحطبه وثفله[٢]. ويغسل برماده الإبرسيم، ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى اعتصار، ولا يكادون يتعاهدونها بالسقي، وهي تنبت بالماء الذي هو ضد النار، وفي ثمرتها حياة للنار ومادة لها، وقيل: إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان، وتبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة، وقد روي عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «الزيت شجرة مباركة، فأتدموا به وادهنوا»[٣]. وفي رواية: «كلوا الزيت وائتدموا به، فإنه يخرج من شجرة مباركة»[٤]. ولهذا أقسم الله بها في القرآن[٥].

---

(١) الآية (٢٠) من سورة المؤمنون.

(٢) الثفل بالضم: ما استقر تحت الشيء من كُدرة، مختار القاموس (ثفل).

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥/ ١٦.

(٤) أخرجه الإمام أحمد كما في تفسير ابن كثير ٥/ ١٦.

(٥) زاد المسير ٥/ ٤٦٥، تفسير الخازن ٣/ ٣٠٣.

وإنما خصّ هذا المكان مع وجودها في غيره؛ لأن أصل شجرة الزيتون: نبتت من طور سيناء، ثم نقلت إلى سائر المواضع.

وقيل: لأن منبت هذه الشجرة: منزل الأنبياء، بارك فيها سبعون نبياً منهم- إبراهيم- عليه السلام- فلذلك سميت مباركة[١].

***

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[٢].

كيف قال (وأكثرهم) مع أن كلهم للحق- وهو التوحيد- أو: القرآن كارهون؟ بدليل قولهم (به جنة)؟

والجواب: أنه كان فيهم من ترك الإيمان به أنفة واستنكافاً مع توبيخ قومه لئلا يقولوا ترك دين آبائه، لا كراهة للحق، كما يحكى عن أبي طالب وغيره، أو لقلة فطنته وعدم فكرته[٣].

***

قال الله- تعالى- ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾[٤].

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٧-٢٣٨، زاد المسير ٥/ ٤٦٥، الخازن ٣/ ٣٠٣.

(٢) الآية (٧٠) من سورة المؤمنون.

(٣) مسائل الرازي ٢٣٨، البيضاوي ٢/ ١١١.

(٤) الآية (٩٩) من سورة المؤمنون.

كيف قال (ارجعون) ولم يقل: ارجعني، والمخاطب واحد، وهو الله- جل وعلا-؟

والجواب: أنه جمع التفخيم والتعظيم؛ على عادة العرب في تعظيم المخاطب، كقوله- تعالى-﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾[1]. وكما قال ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾[2]. وأشباهه.

وقيل: إنهم استغاثوا بالله أولاً؛ ثم رجعوا إلى مساءلة الملائكة فقالوا لهم: (ارجعون)، أي: ردوني إلى الدنيا. ويستأنس لهذا الوجه بما ذكره ابن جرير عن ابن جريج قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لعائشة: إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك إلى دار الدنيا؟ فيقول إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بل قدموني إلى الله. وأما الكافر فيقولون له: نرجعك؛ فيقول:﴿ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾[3].

وقيل: هو على معنى تكرير الفعل؛ أي ارجعني، ارجعني، ارجعني، ومثل قوله- تعالى-﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[4]. قال المازني: معناه: ألقِ، ألقِ، ولا يخلو من بعد؛ لصرف اللفظ عن ظاهره بلا داع يدعو إلى

---

(١) من الآية (١٢) من سورة يس.

(٢) من الآية (٩) من سورة القصص.

(٣) دفع إيهام الاضطراب ص٢١٣.

(٤) من الآية (٢٤) من سورة ق.

ذلك [١].

***

يقول- رب العزة- ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [٢].

وقال- جل ثناؤه- ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾ [٣].

وقال- جلت حكمته- ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ [٤].

كيف نفى الأنساب في الآية الأولى وهي ثابتة في الآيات الأخرى- وقال- تبارك وتعالى-﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾ [٥].

وكيف التوفيق بين الآيتين: فقد نفت الأولى التساؤل بينهم، والثالثة أثبتته؟

---

(١) أنظر مسائل الرازي ٢٣٨، مجمع البيان، المجلد الرابع ١٨/ ١٧٥، فتح القدير ٣/ ٤٩٨، دفع إيهام الاضطراب ص٢١٤.

(٢) الآية (١٠١) من سورة المؤمنون.

(٣) الآيات (٣٤-٣٦) من سورة عبس.

(٤) الآية (٥٠) من سورة الصافات.

(٥) الآيات من (١١-١٢) من سورة المعارج.

والجواب عن الأول: أن المراد بنفي الأنساب: انقطاع فوائدها وآثارها التي كانت مترتبة عليها في الدنيا من العواطف والنفع والصلات؛ والتفاخر بالآباء، لا نفي حقيقتها؛ وإلا فالنسب الذي قد ثبت وتقضى: لا يزول. ولذلك قال- تعالى-﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾[1]. وإنما سينتفع بذلك: أهل الصلاح، فلذلك قال- تعالى-﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[2]. فعند ذلك: يعظم السرور بالاجتماع[3]. وكأن في الكلام محذوفاً تقديره: لا أنساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها؛ أو يتقاطعون بها.

والجواب الثاني: أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة؛ ففيه أحوال مختلفة، ففي بعضها يتساءلون، وفي بعضها لا ينطقون لشدة الهول والفزع، فالإثبات باعتبار بعضها، والنفي باعتبار البعض الآخر.

يقول الشيخ الشنقيطي- رحمه الله تعالى- والجواب عن الثاني من ثلاثة أوجه: الأول: أن نفي السؤال بعد النفخة الأولى، وقبل الثانية، وإثباته بعدهما معاً. الثاني: أن نفي السؤال عند انشغالهم بالصعق

---

(١) الآيات (٣٤-٣٧) من سورة عبس.

(٢) من الآية (٢٣) من سورة الرعد.

(٣) تنزيه القرآن ٢٨٠، دفع إيهام الاضطراب ص٢١٤.

والمحاسبة والجواز على الصراط، وإثباته فيما عدا ذلك. الثالث: أن السؤال المنفي سؤال خاص. وهو سؤال بعضهم العفو من بعض فيما بينهم من الحقوق؛ لقنوطهم من الإعطاء ولو كان المسؤول أباً أو ابناً أو أمّاً أو زوجة[1].

وقيل: إنما يتساءلون عند دخول الجنة؛ وإنما يسأل بعض أهل الجنة بعضاً، فإنهم لا يفزعون من أهل القيامة. وهذا على أن ذلك سيكون بعد النفخة الثانية، وبعث الناس للحساب والجزاء.

وقيل: إن نفي المسألة إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ، وإثباتها إنما هو بعد الثانية. فقد روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله- تعالى- ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ ﴾ أنها: النفخة الأولى، نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض؛ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون لموتهم حينئذ. ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون[2].

ومعنى (ولا يتساءلون) أي: لا يتساءلون بالأنساب أن يترك بعضهم لبعض حقه؛ أو لا يسأل بعضهم بعضاً عن حاله وشأنه كما كانوا

---

(١) المرجع السابق ص٢١٤.

(٢) مسائل الرازي ٢٣٨، تفسير الخازن ٣/ ٣١١، الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٠٣.

يسألون في الدنيا لانشغال كل واحد بنفسه، أو لا يسأل بعضهم بعضاً: من أي قبيل أنت؟ كما تفعل العرب لتعرف النسب، فتعرف قدر الرجل، أو: لا يسأل بعضهم بعضاً أن يحمل عنه ذنبه"[1].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾[2].

كيف أسند الإنساء إلى الأنبياء وهم ما بعثوا إلا للتذكير والتنبيه؟

والجواب: أن المراد حتى أنساكم الاستهزاء بهم ذكري. ولكنه نسب الإنساء إلى الأنبياء، أو إلى عباده المؤمنين- وإن لم يفعلوا- لما كانوا السبب في ذلك، إذ دعوهم فلم تنجع فيهم دعوتهم، ولم تردهم عن معاصيهم. وفي هذا المعنى قوله- حكاية عن نوح- عليه السلام- ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾[3]. وقول إبراهيم- عليه السلام- عن الأصنام ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[4].

***

(١) مجمع البيان المجلد الرابع ١٨/ ١٧٨، وزاد المسير ٥/ ٤٩٠.

(٢) الآية (١١٠) من سورة المؤمنون.

(٣) الآية (٦) من سورة نوح.

(٤) من الآية (٣٦) من سورة إبراهيم.

سورة النور

قال الله - تعالى - ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

وعلى هاتين الآيتين ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: كيف قدمت المرأة في آية حد الزنا، وقدم الرجل في حد السرقة؟

الثاني: كيف قدمت المرأة في الآية الأولى، وقدم الرجل في الآية الثانية؟

الثالث: كيف قال: ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ ونحن نرى الزاني ينكح العفيفة المسلمة، والزانية ينكحها العفيف المسلم؟!!

والجواب عن الأول: أن الزنا إنما يتولد من شهوة الوقاع؛ وشهوة المرأة أقوى وأكثر. والسرقة إنما تتولد من الجسارة والجرأة والقوة؛ وذلك

---

(١) الآيتان (٢، ٣) من سورة النور.

في الرجل أكثر وأقوى.

والجواب عن الثاني: أنه قدم المرأة في الآية الأولى؛ لأنها هي الأصل في تلك الجناية، والزنا منها: أشنع وأعير، وهو لأجل الحَبَل أضر، والزنا - في الأغلب- يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه، ولو لا تمكينه منها ما ويقع [١]. وأما الآية الثانية فسيقت لذكر النكاح، والرجل هو الأصل فيه عرفاً، لأنه هو الغالب والخاطب والبادئ بالطلب [٢].

وقيل: قدم الزاني، لأن الآية نزلت في بغايا موسرات كن بمكة، وكانت بيوتهن في الجاهلية تسمى المرضية، وكان لا يدخل عليهن إلا زان من أهل القبيلة، أو مشرك من أهل الأوثان، فأراد جماعة من فقراء المهاجرين أن ينكحوهن ليكرين أنفسهن وينفقن عليهم من أكسابهن على عادة الجاهلية، فنزلت هذه الآية زجراً لهم عن ذلك، ومبينة لهم أن الزاني هو الذي يرغب في نكاح الزانية، ولذلك ترك المقابلة التي كان من حقها أن يقال: والزانية لا تنكح إلا من زان أو مشرك [٣].

يقول الشيخ الشنقيطي- رحمه الله تعالى- عند عرضه لقوله-تعالى-: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ

(١) مسائل الرازي ٢٣٩، البيضاوي ٢/ ١١٧، والفتوحات الإلهية ٣/ ٢٠٦.

(٢) مسائل الرازي ٢٣٨.

(٣) البيضاوي ٢/ ١١٧، والفتوحات الإلهية ٣/ ٢٠٦.

﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ هذه الآية الكريمة تدل على تحريم نكاح الزواني والزناة على الأعفاء والعفائف، ويدل لذلك قوله ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾[1]. وقوله ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾[2]. وقد جاءت آيات أخر تدل بعمومها على خلاف ذلك كقوله- تعالى- الآية ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾[3] وقوله ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ الآية[4].

والجواب عن هذا مختلف فيه اختلافاً مبنيّاً على الاختلاف في حكم تزويج العفيف للزانية، أو العفيفة للزاني، فمن يقول: هو حرام، يقول: هذه الآية مخصصة لعموم قوله ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ وعموم قوله ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ والذين يقولون بعدم المنع- وهم الأكثر- أجابوا أجوبة: منها أنها منسوخة بقوله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾، ومنها: أن النكاح في هذه الآية: الوطء، وعليه: فالمراد بالآية: أن الزاني لا يطاوعه على فعله ويشاركه في مراده إلا زانية مثله، أو مشركة لا ترى حرمة الزنا، ومنها: أن هذا خاص، لأنه كان في نسوة بغايا، كان الرجل يتزوج إحداهن على أن تنفق عليه مما كسبته من الزنا؛ لأن ذلك هو سبب نزول

---

(١) من الآية (٥) من سورة المائدة.

(٢) من الآية (٢٥) من سورة النساء.

(٣) من الآية (٣٢) من سورة النور.

(٤) من الآية (٢٤) من سورة النساء.

الآية، فزعم بعضهم أنها مختصة بذلك السبب، بدليل قوله ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ الآية. وقوله ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الآية، وهذا أضعفها[١].

وقال الزرقاني- رحمه الله تعالى- (الزاني لا ينكح) منسوخة بقوله ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ لأن الآية خبر بمعنى النهي، بدليل قراءة (لا ينكح) بالجزم، والقراءات يفسر بعضها بعضاً. وقيل بعدم النسخ، تفسير للآية الأولى بأن الزاني المعروف بالزنا لا يستطيع أن ينكح إلا زانية أو مشركة لنفور المحصنات المؤمنات من زواجه. وكذلك المرأة المعروفة بالزنا لا يرغب في نكاحها إلا زان أو مشرك؛ لنفور المؤمنين الصالحين من زواجها. والحق: أن الآية منسوخة؛ لأنها خبر بمعنى النهي كما سبق، ولأن الأمر بالنسبة للمشرك والمشركة لا يستقيم إلا مع القول بالنسخ[٢].

والجواب عن الثالث: أنه ليس المراد من الآية: الإخبار؛ وإنما المراد: النهي- كما في مناسبة النزول- أو بيان الحكم الواقع والغالب، وهو أن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء، وإنما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله، أو مشركة، والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص٢١٦.

(٢) مناهل العرفان ٢/ ٢٦٦.

الصلحاء من الرجال، وإنما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها أو مشرك. فإن المشاكلة علة الألفة والتضامن، والمخالفة سبب للنفرة والافتراق، ومعنى: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: صرف الرغبة بالكلية إلى نكاح الزواني؛ وترك الرغبة في الصالحات العفائف محرم على المؤمنين. ولا يلزم من هذا حرمة التزوج من الزانية. والمراد من النكاح هنا: الجماع؛ والمعنى، أنهما اشتركا في الزنا؛ فهي مثله؛ فيكون نظير قوله: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [1]، في أنه خرج مخرج الأعم الأغلب.

وقيل: إن هذا الحكم كان في كل زانٍ وزانية؛ ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ ...﴾ الآية؛ لدخولهما في هذا العموم.

وقيل: المراد من النكاح هنا: العقد؛ وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة؛ فإنه لا يجوز له أن يتزوج بها [2].

***

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ...﴾ [3].

كيف قال (منكم) وفيهم: عبد الله بن أبي بن سلول، وهو رأس المنافقين؟

---

(١) من الآية (٢٦ من سورة النور.

(٢) مجمع البيان: المجلد الخامس ١٨/ ١٠، تفسير الخازن ٣/ ٣١٥، وتفسير البيضاوي ٢/ ١١٨.

(٣) من الآية (١١) من سورة النور.

والجواب: لأنه كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر.

وقيل: قوله: (منكم)؛ خرج مخرج الأغلب؛ فإن حساناً بن ثابت، ومسطحاً بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، كانوا من المؤمنين المخلصين.

وقيل: الخطاب للقاذفين من المؤمنين؛ والمعنى: لا تحسبوا أيها القاذفون هذا التأديب شرّاً لكم بل هو خير لكم؛ فإنه يدعوكم إلى التوبة ويمنعكم من المعاودة إلى مثله [١].

***

يقول الله – عز وجل – : ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ [٢].

كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء؛ ومن كذب فهو عند الله كاذب؛ سواء أتى بالشهداء أم لم يأت؟

والجواب: أن هذا في حق الذين رموا عائشة – رضي الله عنها – خاصة؛ والمعنى فأولئك هم الكاذبون في غيبي وعلمي.

وقيل: المعنى: فأولئك عند الله في حكم الكاذبين؛ فإن الكاذب يجب زجره عند الكذب؛ والقاذف إذا لم يأت بالشهود يجب زجره.

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٣٢٢، ومجمع البيان ١٨/ ٢٢.

(٢) من الآية (١٣) من سورة النور.

وقيل: إن قوله: ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ من جملة المقول تقريراً لكونه كذباً؛ فإن ما لا حجة عليه كذب عند الله؛ أي: في حكمه لا في علمه؛ لئلا يلزم المحال. كما تقول: هذا عند الشافعي حلال؛ ولا شك أنهم لو أتوا بالبينة المعتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون في الظاهر. ففيه إيذان بأن مدار الحكم على الشهادة والأمر الظاهر لا على السرائر؛ ولكون ما لا حجة عليه كذبا في حكم الله – تعالى – رتب الحد على انتفاء الحجة في قوله: ﴿ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ... ﴾ [1]. وهذا هو الظاهر.

* * *

قال الله تعالى: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [2].

وقال – عز وجل –: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [3].

(١) الفتوحات ٣/ ٢١٢، البيضاوي ٢/ ١٢٠، وتفسير الخازن ٣/ ٣٢٢.

(٢) الآية (٢٦) من سورة النور.

(٣) الآية (١٠) من سورة التحريم.

وقال – تبارك وتعالى –: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾[١].

الآية الأولى: نزلت في براءة أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – مما رميت به. كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من أن معناها: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء. أي: فلو كانت عائشة – رضي الله عنها – غير طيبة، لما جعلها الله زوجة لأطيب الطيبين – صلى الله عليه وسلم –.

والآية الثانية: تدل على خبث الزوجتين الكافرتين، مع أن زوجيهما من أطيب الطيبين – وهما نوح ولوط – عليهما السلام.

والآية الثالثة، تدل على طيب امرأة فرعون، مع أن زوجها من أخبث رجال العالمين. فما سبيل الجمع بين هذه الآيات؟

والجواب: أن في معنى الآية وجهين للعلماء: الأول: أن معناها: الخبيثات من القول: للخبيثين من الرجال؛ والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. والطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. أي: فما نسبه أهل النفاق إلى عائشة من

(١) من الآية (١١) من السورة السابقة.

كلام خبيث: هم أولى به؛ وهي أولى بالبراءة والنزاهة منهم. ولذا قال – تعالى –: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ... ﴾ وعلى هذا؛ فلا تعارض أصلاً بين الآيات.

الوجه الثاني: هو ما قدمنا (قبل هذا الوجه) وعليه فالآية من العام المخصوص؛ بدليل امرأة نوح ولوط وامرأة فرعون، وعليه: فالغالب: تقييض كل من الطيبات والطيبين والخبيثات والخبيثين لجنسه وشكله الملائم له في الخبث أو الطيب، مع أنه – تعالى – ربما قيض خبيثة لطيب كامرأة نوح ولوط. أو طيبة لخبيث كامرأة فرعون لحكمة بالغة كما دل عليه قوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾، ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ... ﴾ مع قوله: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[1].

***

يقول المولى – جل شأنه – : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾[2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

---

(١) الآية (٤٣) من سورة العنكبوت، وراجع دفع إيهام الاضطراب ص ٢١٧.

(٢) الآية (٣٠) من سورة النور.

الأول: كيف أدخل (مِنْ) على غض البصر دون حفظ الفرج؟

الثاني: كيف قدّم غض البصر على حفظ الفرج؟

والجواب عن الأول: أنه أدخل (مِنْ) على غض البصر للدلالة على أن أمر النظر أوسع؛ ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وثديهن وأعضائهن وأقدامهن؛ وكذلك الجواري المعروضات للبيع؛ والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفيها للحاجة إلى ذلك. وأما أمر الفرج فضيق. وكفاك أن أُبيح النظر إلا ما استثنى منه، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه. وعلى هذا: فمن للتبعيض؛ والمعنى: يغضوا من نظرهم إلى ما حرم.

وقيل: وجه التبعيض: أنه يُعفى عن الناظر في أول نظرة تقع من غير قصد.

وقيل: وجه التبعيض: أن غض البصر كله كالمتعذر؛ بخلاف حفظ الفرج؛ فإنه ممكن على الإطلاق.

وقيل: إنّ (مِنْ) زائدة؛ والتقدير: يغضوا أبصارهم عن عورات النساء؛ وأنكر سيبويه كون (مِنْ) زائدة.

وقيل: إنها لابتداء الغاية.

وقيل: إنها لبيان الجنس؛ واعْتُرض عليه بأنه لم يتقدم مبهم يكون

مفسراً بمن.

ومعنى غضّ البصر: إطباق الجفن على العين بحيث تمتنع الرؤية؛ وقيل: الغض: النقصان؛ يقال: غض فلان من فلان: أي: وضع منه. فالبصر إذا لم يمكن من عمله فهو مغضوض منه ومنقوص؛ فتكون (من) صلة للغض، وليست لمعنى من المعاني الأربعة المتقدمة [1].

والجواب عن الثاني: أنه قدم غض البصر على حفظ الفرج؛ لأن النظر بريد الزنا؛ ورائد الفجور؛ والبلوى فيه أشد؛ ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه [2].

***

يقول الله – تعالى – : ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ... ﴾ [3].

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٩، مجمع البيان: المجلد الخامس ١٨/ ٣٦، وفتح القدير ٤/ ٢٢.

(٢) تفسير الخازن ٣/ ٣٢٧.

(٣) من الآية (٣١) من سورة النور.

لِمَ لمْ يذكر الأعمام والأخوال، وهم من المحارم؛ وحكمهم حكم من استثني في الآية؟

والجواب: أن الشعبي سئُل عن ذلك فقال: لئلا يصفها العم عند ابنه؛ وهو ليس بمحرم لها؛ وكذا الخال، فيفضي إلى الفتنة؛ والمعنى فيه: أن كل من استثني يشترك هو وابنه في المحرمية، إلا العم والخال؛ وهنا من الدلالة البليغة على وجوب الاحتياط في سترهن.

واعترض على هذا: بأن المفسدة محتملة في آباء بعولتهن، لاحتمال أن يصفها أبو البعل عند ابنه الآخر؛ وهو ليس بمحرم لها، وأبو البعل – أيضاً – نقض على قولهم: إن كل من استثني يشترك هو وابنه في المحرمية [1].

كما اعترض عليه بأن وصف المرأة لمن تحل له ممكن من غيرها ممن يجوز له النظر إليها؛ لا سيما أبناء الإخوة وأبناء الأخوات، واللازم باطل؛ فالملزوم مثله؛ وهكذا يستلزم أن لا يجوز للنساء الأجنبيات أن ينظروا إليها؛ لأنهن يصفنها؛ واللازم باطل؛ فالملزوم مثله؛ فلا وجه لهذا القول [2].

والأولى أن يقال: إنه لم يذكر العم والخال لأنهما بمنزلة الوالدين؛

---

(١) مسائل الرازي ٢٣٩ – ٢٤٠.

(٢) انظر: فتح القدير ٤/ ٢٩٨.

ولذلك سمي العم أبا في قوله: ﴿ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ (١).

***

قال الله – عز وجل – : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (٢).

كيف جعل التعفف شرطاً للإكراه؛ مع أن إكراهن على الزنا حرام في كل حال ولِمَ آثر (إنْ) على (إذَا)؟ وما وجه تعليل ذلك بطلب عرض الحياة الدنيا؟

والجواب: أن سبب نزول هذه الآية؛ أن أهل الجاهلية كانوا يكرهون إماءهم على الزنا مع إرادتهن التحصن؛ فورد النهي على السبب وإنْ لم يكن شرطاً فيه: أي أن الشرط ملغى.

وقيل: إنه – تعالى – إنما شرط إرادة التحصن؛ لأن الإكراه لا يتصور إلا عند إرادة التحصن؛ لأن الأمة إذا لم ترد التحصن فإنها تزني بالطبع؛ لأن إرادة الجماع مستمرة في جميع الأحوال – طبعاً – ولا بد له من أحد الطريقين.

---

(١) من الآية (١٣٣) من سورة البقرة، البيضاوي ٢/ ٢٥١ ويشبه ذلك عدم ذكر بيوت الأولاد في البيوت التي نفى الحرج عن الأكل منها، لأن ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه.

(٢) من الآية (٣٣) من سورة النور.

وقيل: إن (إن) بمعنى إذْ؛ كما في قوله – تعالى – ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [1]. وقوله – تعالى – ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [2].

وقيل: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إنِ أردن تحصناً؛ ويبقى قوله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) مطلقاً غير معلق.

وقيل: إن هذا الشرط خرج مخرج الغالب؛ لأن الغالب أن الإكراه لا يكون إلا عند إرادة التحصن؛ فلا يلزم منه جواز الإكراه عند عدم إرادة التحصن؛ لجواز أن يكون ارتفاع النهي بامتناع المنهي عنه. فإن الأمة قد تكون غير مريدة للحلال ولا للحرام؛ كمن لا رغبة لها في النكاح؛ والصغيرة – التي لا تشتهي – فتوصف بأنها مكرهة على الزنا مع عدم إرادتها للتحصن، فلا يتم ما قيل من أنه لا يتصور الإكراه إلا عند إرادة التحصن؛ إلا أن يقال: إن المراد بالتحصن هنا: مجرد التعفف؛ وأنه لا يصدق على من كانت تريد الزواج أنها مريدة للتحصن؛ وهو بعيد، فقد قال الحبر ابن عباس رضي الله عنهما: إن المراد بالتحصن: التعفف

(١) من الآية (٢٧٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٣٩) من سورة آل عمران.

والتزوج.

وآثر (إنْ) على (إذا)، لأن إرادة التحصن من الإماء كالشاذ النادر.

والتعليل في قوله – تعالى – ﴿لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ خارج مخرج الغالب؛ والمعنى: أن هذا العرض هو الذي كان يحملهم على إكراه الإماء على البغاء في الغالب. لأن إكراه الرجل لأمته على البغاء لا فائدة له أصلاً؛ ولا يصدر مثله عن العقلاء. فلا يدل هذا التعليل على أنه يجوز له أن يكرهها إذا لم يكن مبتغياً بإكراهها عرض الحياة الدنيا[1].

***

يقول المولى – سبحانه وتعالى – ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾[2].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: كيف مثل نوره بنور المصباح؛ ولم يمثله بنور الشمس؛ مع أن

---

(١) فتح القدير ٤/ ٢٩، البيضاوي ٢/ ١٢٦، ومسائل الرازي ٢٤٠.

(٢) الآيتان (٣٥، ٣٦) من سورة النور.

نورها أتم وأكمل؟ ولِمَ لمْ يمثله بنور الشمع؟ وهو أتم وأكمل وأشرق من نور المصباح؟

الثاني: كيف وحد المصباح والمشكاة؛ وجمع البيوت؛ ولا تكون المشكاة الواحدة، ولا المصباح الواحد إلا في بيت واحد.

والجواب عن الأول: أن المراد تمثيل معرفة الله وهداه في القلب؛ والقلب في الصدر؛ والصدر في البدن: بالمصباح؛ وهو الفتيلة في الزجاجة؛ والزجاجة في الكوة التي لا منفذ لها. وهذا التمثيل: لا يستقيم مع الشمس.

وقيل: إن نور المعرفة له الآتي يتوقف على اجتماعها كالذهن والفهم والعقل واليقظة وانشراح القلب؛ وغير ذلك من الخصال الحميدة؛ كما أن نور القنديل يتوقف على اجتماع القنديل والزيت والفتيلة وغير ذلك.

وقيل: لأن نور الشمس يشرق متوجهاً إلى العالم السفلى؛ لا إلى العالم العلوي؛ ونور المصباح يشرق متوجهاً إلى العالم العلوي؛ ونور المعرفة يتوجه إلى العالم العلوي؛ فكان تشبيه نور المعرفة بنور المصباح أولى.

وقيل: لأن نور الشمس لا يشرق إلا بالنهار؛ ونور المصباح يشرق بالليل والنهار؛ ونور المعرفة كذلك، فالتشبيه به أتم.

وقيل: لأن نور الشمس يعم جميع الخلائق؛ ونور المصباح لا يصل

إلا لبعضهم؛ ونور المعرفة كذلك؛ فالتشبيه به أدق.

وإنما لم يمثله بنور الشمع؛ لأن في الشمع غشاً لا محالة، وللإنسان فيه دخل، بخلاف الزيت الموصوف. ولو مثله - تعالى - بنور الشمع؛ لتطاول المنافق المغشوش إلى استحقاق نصيب في المعرفة.

وقيل: إنه لم يمثله بنور الشمع؛ لأنه مخصوص بالأغنياء؛ بخلاف نور المصباح فإنه في الفقراء أغلب؛ كما أن نور المعرفة كذلك[١].

والجواب عن الثاني: أنه من الخطاب المتلون الذي يُفتح بالتوحيد ويُختم بالجمع، كقوله - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[٢].

وقيل: إنه راجع إلى كل واحد من البيوت؛ فالمعنى: في كل بيت مشكاة.

وقيل: لا ينافي جمع البيوت وحدة المشكاة؛ إذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة[٣].

* * *

---

(١) مسائل الرازي ٢٤٠ - ٢٤١.

(٢) من الآية (١) من سورة الطلاق.

(٣) زاد المسير ٦/ ٤٦، والبيضاوي ٢/ ١٢٨.

قال الله – تعالى – ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(١).

التجارة هي: البيع؛ فكيف عطف البيع عليها؟

والجواب: أن التجارة هي الشراء والبيع يكون صناعة للإنسان مقصوداً به الربح؛ وهو حرفة الشخص الذي يسمى تاجراً؛ والبيع أعم من ذلك. إذ المراد منه: مطلق المعاوضة؛ فيكون في ذكره مبالغة بالتعميم بعد التخصيص.

وقيل: المراد بالتجارة هنا مبادلة الآخرة بالدنيا؛ كما في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾(٢). والمراد بالبيع: مبادلة الدين بالدنيا؛ كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾(٣).

وقيل: إنما عطف البيع على التجارة؛ لأنه أراد بالتجارة الشراء إطلاقاً لاسم الجنس على النوع.

وقيل: إنما عطف البيع على التجارة للتخصيص والتمييز وبيان ما هو الأهم من قسمي التجارة، من حيث أنه أبلغ في الإلهاء؛ لأن البيع الرابح يعقبه حصول الربح، بخلاف الشراء الرابح؛ فإن الربح فيه مظنون؛ مع كونه مترقباً منتظراً.

---

(١) من الآية (٣٧) من سورة النور.

(٢) من الآية (١٦) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٩) من سورة الجمعة.

وقيل: التجارة مخصوصة بأهل الجلب؛ بخلاف البيع؛ لأنه للمقيمين[1].

* * *

يقول المولى- جل شأنه- ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[2].

في قوله (جَآءَهُۥ) يدل على شيء يُسعى إليه؛ وفي قوله ﴿لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ يدل على نفيه. فما التوفيق بينهما؟ والجواب عن هذا من وجهين ذكرهما ابن جرير في تفسيره هذه الآية، قال: فإن قال قائل: وكيف قيل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا ﴾ فإن لم يكن السراب شيئاً؛ فعلام دخلت الهاء، في قوله (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ).

قيل: إنه شيء يرى من بعيد؛ كالضباب الذي يرى كثيفاً من بعيد؛ ولا هباء إذا قرب منه، دق وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئاً؛ فاكتفى بذكر السراب

---

(١) مسائل الرازي ٢٤١.

(٢) من الآية (٣٩) من سورة النور.

عن ذكر موضعه. انتهى منه بلفظه. والوجه الأول أظهر [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ . . .﴾ [٢].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: كيف سمى السائر على بطنه ماشياً؛ وإنما المشي لمن له قوائم؟

الثاني: كيف قدم ما يمشي على بطنه على غيره من المخلوقات؟

الثالث: كيف اقتصر على ذكر الأربع؛ وفي الحيوانات ما يمشي على أكثر من أربع؛ كالعناكب، والعقارب، والرتيلا، وما له أربع وأربعون رجلاً ونحو ذلك؟

والجواب عن الأول: أنه سمى السائر على بطنه ماشياً مجازاً بطريق المشابهة؛ لأن كل سائر ومستمر يقال له: ماشٍ، وإن لم يكن حيواناً. يقال: مشى هذا الأمر؛ وفلان لا يتمشى له أمر، وفلان ماشي الحال.

وقيل: سميت هذه الحركة مشياً مع أنها زحف للمشاكلة؛ إذ خلط ماله قوائم بما لا قوائم له؛ فجاز ذلك، تقول: أكلت خبزاً ولبناً، ولا

---

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب ص٢١٩، ٢٢٠.

(٢) الآية (٤٥) من سورة النور.

تقول: أكلت لبناً [١].

والجواب عن الثاني: أنه قدم الأعجب والأعرف في القدرة؛ وهو: الماشي بغير آلة المشي- وهي الأرجل والقوائم- ثم ذكر ما يمشي على رجلين، ثم ما يمشي على أربع [٢].

والجواب عن الثالث: أن هذا القسم كالنادر، فكان ملحقاً بالأغلب.

وقيل: إن هذه الحيوانات اعتمادها على أربع في المشي؛ والباقي تبع لها.

وقيل: لم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع؛ لأنه كالذي يمشي على أربع في العين، فترك ذكره لأن العبرة تكفي بذكر الأربع.

وقيل: لم يذكر ما يمشي على أكثر من أربع لدخوله في قوله- تعالى- ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾.

وقيل: لم يذكره لعدم الاعتداد به؛ ولا وجه لهذا؛ فإن المراد: التنبيه على بديع الصنع وكمال القدرة.

وقيل: إن في مصحف أبي (ومنهم من يمشي على أكثر) فعم بهذه

---

(١) مسائل الرازي ٢٤٢، زاد المسير ٦/ ٥٣، والفتوحات ٣/ ٢٣٢.

(٢) تفسير الخازن ٣/ ٣٣٦.

الزيادة جميع ما يمشي على أكثر من أربع [١].

***

يقول الله- عز وجل- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ﴾ [٢].

كيف أمر الله- تعالى- بالاستئذان للأطفال الذين لم يبلغوا الحلم من الأحرار؟ وهم ليسوا محلاً للأمر؟

والجواب: أنه في المعنى: أمر للآباء والأمهات بتأديب الأطفال وتهذيبهم لا للأطفال [٣].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَٱلۡقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرۡجُونَ نِكَاحٗا فَلَيۡسَ عَلَيۡهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعۡنَ ثِيَابَهُنَّ غَيۡرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٖۖ وَأَن يَسۡتَعۡفِفۡنَ خَيۡرٞ لَّهُنَّۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ [٤].

كيف أباح الله- تعالى- للقواعد من النساء- وهن العجائز- التجرد من الثياب بحضرة الرجال؟

---

(١) فتح القدير ٤/ ٤٣، الفتوحات ٣/ ٢٣٢، مجمع البيان: المجلد الخامس ١/ ٦٠، وتفسير الخازن ٣/ ٣٣٦.

(٢) من الآية (٥٨) من سورة النور.

(٣) مسائل الرازي ٢٤٢.

(٤) الآية (٦٠) من سورة النور.

والجواب: أن المراد بالثياب هنا: الجلباب والرداء والقناع الذي فوق الخمار؛ لا جميع الثياب. وقوله- تعالى- ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ﴾ أي: غير قاصدات بوضع الثياب الظاهرة: إظهار زينتهن ومحاسنهن، بل التخفيف، ثم أعقبه بأن التعفف بترك الوضع خير لهن[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾[2].

كيف أخبر عن انتفاء الحرج عن أكل الإنسان في بيته؛ وهذا معلوم لا شك فيه ولا شبهة.

والجواب: أن المراد بقوله- تعالى- (مِنۢ بُيُوتِكُمْ) أي: من بيوت أولادكم، لأن ولد الرجل بعضه؛ فلهذا عبر عنه به. وفي الحديث: «إن أطيب ما يأكل الرجل من كسبه؛ وإن ولده من كسبه»[3] وأيضاً «أنت ومالك لأبيك»[4] ويؤيد ذلك: أنه ذكر بيوت جميع الأقارب؛ ولم يذكر بيوت الأولاد.

قال النحاس: وعارض بعضهم هذا فقال: هذا تحكم على كتاب

---

(١) مسائل الرازي ٢٤٣.

(٢) من الآية (٦١) من سورة النور.

(٣) مشكاة المصابيح ح ٢٧٧٠، كنز العمال ٩٢٢٣.

(٤) سنن أبي داود ح ٣٥٣٠، سنن البيهقي ح ٢٢٩١.

الله- سبحانه- بل الأولى في الظاهر أن يكون الابن مخالفاً لهؤلاء؛ ويجاب عن هذه المعارضة: بأن رتبة الأولاد بالنسبة إلى الآباء: لا تنقص عن رتبة الآباء بالنسبة إلى الأولاد، بل للآباء مزيد خصوصية في أموال الأولاد؛ للحديثين السابقين. ثم ذكر الله- سبحانه- ها هنا بيوت الإخوة والأخوات، بل بيوت الأعمام والعمات، بل بيوت الأخوال والخالات، فكيف ينفي- سبحانه- الحرج عن الأكل في بيوت هؤلاء؛ ولا ينفيه عن بيوت الأولاد؟

وقيل: المراد بقوله- تعالى- ﴿أَن تَأْكُلُوا مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ أي: من مال أولادكم وأزواجكم الذين هم في بيوتكم ومن جملة عيالكم.

وقيل المراد بقوله- تعالى- ﴿مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ البيوت التي يسكنونها وهم فيها عيال لغيرهم، كبيت ولد الرجل، وزوجته وخادمه ونحو ذلك[١].

***

يقول المولى- جل شأنه- ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[٢].

السلام هو: السلامة والأمن؛ فإذا قال الرجل لغيره: السلام

(١) مسائل الرازي ٢٤٣، وفتح القدير ٤/ ٥٣.

(٢) من الآية (٦١) من سورة النور.

عليكم، كان معناه: سلمت مني وأمنت؛ فكيف السلام على النفس؟

والجواب: أن المراد به فإذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلكم وعيالكم، فهو سلامكم على أنفسكم.

وقيل معناه: إذا دخلتم المساجد؛ أو بيوتاً ليس فيها أحد؛ فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، يعني: من ربنا.

وقيل معنى ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي: ليسلم بعضكم على بعض، فيكون كقوله تعالى﴿ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾[1].

قال ابن جرير الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتاً من بيوت المسلمين؛ فليسلم بعضكم على بعض، قال: وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله- جل ثناؤه- قال: ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا ﴾ ولم يخصص من ذلك بيتاً دون بيت، وقال: ﴿ فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ يعني: بعضكم على بعض؛ فكان معلوماً إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معني به جميعها، مساجدها وغير مساجدها[2].

***

(١) من الآية (٦٦) من سورة النساء.

(٢) مسائل الرازي ٢٤٣، مجمع البيان المجلد الخامس ١٨/ ٧٩، وزاد المسير ٦/ ٦٧.

قال الله- تعالى- ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾[1].

كيف قال: ﴿عَنْ أَمْرِهِۦٓ ﴾ وإنما يقال: خالف أمره؟

والجواب: أن (عن) زائدة؛ وقيل: فيه إضمار تقديره: فليحذر الذين يخالفون الله- تعالى- ويعرضون عن أمره، أو: ضمن المخالفة معنى الإعراض فعدي تعديته[2].

(١) من الآية (٦٣) من سورة النور.

(٢) مسائل الرازي ٢٤٤..

سورة الفرقان

قال الله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (١).

الخلق متأخر عن التقدير؛ إذ التقدير أزلي؛ والخلق حادث؛ فكيف قدم الخلق على التقدير؟ وإذا كان الخلق بمعنى التقدير؛ فكيف عطف عليه؟ والجواب: أن الخلق بمعنى التقدير ومنه قوله- تعالى- ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ ﴾ (٢). أي: تقدر، ولكن الخلق من الله- تعالى- بمعنى: الإيجاد والإحداث والإخراج من العدم؛ والتقدير هنا: بمعنى: التسوية؛ وتسوية الشيء بعد إيجاده؛ فحصلت المغايرة، وصح العطف. قال- تعالى- ﴿ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ (٣) والمعنى: خلق كل شيء فجعله مستوياً لا اعوجاج فيه؛ ولا زائداً على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة، ولا ناقصاً عن ذلك، في بابي الدين والدنيا. ولا ضرورة لقول من قال: إن في الآية قلباً لأجل رعاية الفاصلة.

وقيل: إن المعنى: خلق كل شيء؛ وقدر له ما يقيمه ويصلحه؛ أو:

---

(١) من الآية (٢) من سورة الفرقان.

(٢) من الآية (١١٠) من سورة المائدة.

(٣) من الآية (٣٨) من سورة القيامة.

قدَّر له رزقاً وأجلاً وأحوالاً تجرى عليه[١].

وقيل: أريد بالخلق هنا: مجرد الإحداث والإيجاد مجازاً من غير ملاحظة معنى: التقدير، وإن لم يخل عنه في نفس الأمر، فيكون المعنى: أوجد كل شيء فقدره، لئلا يلزم التكرار[٢]. والقول الأول أولى وأقرب.

***

يقول المولى- جل شأنه-﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾[٣].

كيف تتصور الرؤية من النار؟ وكيف يسمع التغيظ؟

والجواب: أنه لما لم تكن الحياة مشروطة بالبنية الحيوانية؛ أمكن أن يخلق الله فيها الحياة فترى وتتغيظ وتزفر؛ فهي ترى رؤية حقيقية بعينيها؛ كما جاء في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: «يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران؛ وأذنان تسمعان، ولسان ينطق؛ يقول: إني وكلت بثلاث بكل جبار عنيد؛ وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر؛ وبالمصورين»[٤].

---

(١) مسائل الرازي ٢٤٤، الفتوحات ٣/ ٢٤٤، وفتح القدير ٤/ ٦١.

(٢) فتح القدير ٤/ ٦١.

(٣) الآية (١٢) من سورة الفرقان.

(٤) أخرجه أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

وقيل: إن المعنى: إذا كانت بمرأى منهم؛ وهذا التأويل بناءً على أن الرؤية مشروطة بالحياة.

وقيل: المعنى رأتهم زبانيتها. والتغيظ: إظهار الغيظ الذي هو الغضب الكامن في القلب. وتغيظها: تقطعها عند شدة اضطرابها؛ وزفيرها: صوتها عند شدة التهابها؛ كالتهاب الرجل المغتاظ، ولما كان التغيظ لا يسمع، وإنما يعلم بدلالة الحال عليه؛ كان المراد منه ما يدل عليه وهو: الغليان- وهو يسمع- والمراد بالسماع: الرؤية والعلم؛ والتغيظ: يرى ويعلم.

وقيل: إن في الكلام حذف مضاف؛ أي: صوت تغيظها وغليانها.

وقيل: إنه على حذف تقديره: سمعوا ورأوا تغيظاً وزفيراً؛ فيرجع كل واحد إلى ما يليق به؛ أي: رأوا تغيظاً وسمعوا زفيراً[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴾[2].

وعلى هذه الآية: ترد ثلاثة أسئلة:

---

(١) تفسير الخازن ٣/ ٣٤٥، الفتوحات ٣/ ٢٤٧، ومجمع البيان: المجلد الخامس ١٨/ ٩٣.

(٢) الآية (١٥) من سورة الفرقان.

الأول: كيف قال: (أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ) ولا خير في النار؟

الثاني: الجنة اسم لدار مخلدة، فأي فائدة في قوله-(جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ)؟

الثالث: كيف قال: (كَانَتۡ لَهُمۡ) وهي: ما كانت بعد؛ وإنما ستكون؟

والجواب عن الأول: أن هذا تنبيه على تفاوت ما بين المنزلتين؛ لا على أن في السعير خيراً.

وقيل: إن المجيء بلفظ (خير) هنا؛ مع أنه لا خير في النار أصلاً؛ لأن العرب قد تقول ذلك. ومنه: ما حكاه سيبويه عنهم أنهم يقولون: السعادة أحب إليك أم الشقاوة؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه.

وقيل: قد وقع التساوي بين الجنة والنار في أنهما منزلان؛ فلذلك وقع التفضيل بينهما. وهذا على أن الإشارة إلى العذاب، والاستفهام للتقريع مع التهكم؛ وهو حسن في هذا المعرض.

وقيل: الإشارة إلى الكنز والجنة؛ والراجع إلى الموصول محذوف؛ أي: وعدها (١).

والجواب عن الثاني: أن الإضافة قد تكون للتبيين، وقد تكون لبيان صفات الكمال، كقوله- تعالى- ﴿ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ﴾ (٢). وهذا من هذا

---

(١) زاد المسير ٦/ ٧٦، فتح القدير ٤/ ٦٤، الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٤٨، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٤٠.

(٢) من الآية (٢٤) من سورة الحشر.

الباب[1].

وقيل: إضافة الجنة إلى الخلد للمدح؛ أو للدلالة على خلودها؛ أو: للتمييز عن جنات الدنيا[2].

والجواب عن الثالث: أنه إنما قال: (كانت) لأن ما وعده الله- تعالى- فهو في تحققه كأنه قد كان ووقع.

وقيل: معناه كانت في علم الله مكتوبة في اللوح المحفوظ: أنها جزاؤهم ومصيرهم[3].

***

يقول المولى- سبحانه وتعالى-﴿ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ﴾[4].

كيف عمم الموصول، وقد يشتهي الإنسان رتبة فوق رتبته؛ أو يشتهي الشفاعة لأحد من أهل النار؟

والجواب: أن المراد: لهم ما يشاؤون مما يليق برتبتهم؛ وأنه- تعالى- لا يُلقي في خواطرهم أن ينالوا رتبة من هو أشرف منهم؛ ولا يلتفتوا إلى

---

(١) الفتوحات ٣/ ٢٤٨.

(٢) تفسير البيضاوي ٢/ ١٤٠.

(٣) مسائل الرازي ٢٤٤.

(٤) من الآية (١٦) من سورة الفرقان.

حال غيرهم؛ وكل واحد منهم مشتغل بما هو فيه من اللذات(١).

يقول الله- عز وجل- ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾(٢).

الأصل أن يقال: اتخذ الهوى إلهاً؛ كما تقول: اتخذ الصنم معبوداً؛ فلم خالف الظاهر؟

والجواب: أنه قدم المفعول على الأول للعناية؛ كما تقول: علمت منطلقاً زيد، أي: أطاع هواه طاعة كطاعة الإله، أي: انظر يا محمد وتعجب منه(٣).

***

يقول الله- تعالى- ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(٤). وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لِمَ خصص الحكم بالأكثر؟

الثاني: كيف شبههم بالأنعام في الضلال؛ والأنعام تعرف الله وتسبحه؛ كما قال- تعالى- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن

(١) الفتوحات ٣/ ٢٤٨، وتفسير الخازن ٣/ ٣٤٥..

(٢) من الآية (٤٣) من سورة الفرقان.

(٣) مسائل الرازي ٢٤٤، وفتح القدير ٤/ ٧٧.

(٤) الآية (٤٤) من سورة الفرقان.

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ... ﴾[١]؟ وكقوله ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[٢].

والثالث: إن كانوا كالأنعام في الضلال؛ فكيف قال- تعالى- ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ ؟ وإن كانوا أضل من الأنعام؛ فكيف قال- تعالى- ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾ ؟ وإن كانوا كالأنعام في الضلال- وأضل منها- أيضاً- فكيف يجتمع الوصفان؟

والجواب عن الأول: أن تخصيص الأكثر: لأنه كان منهم من آمن؛ ومنهم من عقل الحق وكابر استكباراً؛ أو خوفاً على الرياسة[٣].

والجواب عن الثاني: أن المراد تشبيههم بالأنعام في الضلال عن فهم الحق ومعرفة الله- تعالى- بواسطة دعوة الرسل.

وقيل المراد: تشبيههم في الضلال والعمى عن أمر الدين: بالأنعام في ضلالهم وعماها عن أمر الدين.

وقيل المراد: ما هم إلا كالبهائم التي تسمع النداء ولا تعقل.

وقيل المعنى: ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾ في عدم انتفاعهم بقرع الآيات

---

(١) من الآية (٤٤) من سورة الإسراء.

(٢) من الآية (١) من سورة الجمعة والتغابن.

(٣) تفسير البيضاوي ٢/ ١٤٦.

آذانهم، وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات [١].

والجواب عن الثالث: أن المراد بقوله- تعالى- ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ﴾ التشبيه في أصل الضلال لا مقداره، والثاني: بيان لمقداره.

وقيل المراد بالأول: التشبيه في المقدار- أيضاً- ولكن المراد بالأول: طائفة، وبالثاني: طائفة أخرى؛ ووجه كونهم أضل من الأنعام: أن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلفها وتتعهدها؛ وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها؛ وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها. وهؤلاء لا ينقادون لربهم، ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان، الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العذاب الذي هو أشد المضار والمهالك. ولأنها إن لم تعتقد حقّاً ولم تكتسب خيراً؛ لم تعتقد باطلاً، ولم تكتسب شراً؛ بخلاف هؤلاء. ولأن جهالتها لا تضر بأحد، وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هياج الفتن؛ وصد الناس عن الحق، ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال؛ فلا تقصير منها ولاذم، وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم. ولأن الأنعام تسجد وتسبح، والكفار لا يفعلون ذلك [٢].

***

(١) مسائل الرازي ٢٤٥، مجمع البيان: المجلد الخامس ١٩/ ١١١، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٤٦.

(٢) تفسير الرازي ٢٤٥، تفسير البيضاوي ٢/ ١٤٦، وتفسير الخازن ٣/ ٣٥١.

قال الله- تعالى- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴾[1].

وعلى هاتين الآيتين ترد أسئلة خمسة:

الأول: كيف وصف الماء بالطهورية، وهي تشعر بأنها شرط في حصول تلك المصالح، كما تقول: حملني الأمير على فرس سابق لأصيد عليه الوحش، وليس كذلك؟

الثاني: كيف ذكر الصفة والموصوف مؤنث، ولم يؤنثها كما أنثها في قوله تعالى ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾[2]؟

الثالث: كيف خص الأنعام بذكر السقي دون غيرها من الحيوان الصامت؟

الرابع: كيف قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؟

الخامس: كيف نكّر الأنعام والأناسي، وكل منهما يُسقى الماء؟

والجواب عن الأول: أن الوصف يكون شرطاً إذا لم يتحقق الغرض إلا به كما في النظير. أما في الآية: فالغرض يتحقق بدون الوصف، والمراد:

---

(١) الآيتان (٤٨، ٤٩) من سورة الفرقان.

(٢) من الآية (٣٣) من سورة يس.

المنة والنعمة عليهم بتلك المنافع والمصالح. فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه مما يزيل طهوريته»[١].

والجواب عن الثاني: أنه نكّرها نظراً إلى معنى البلدة؛ وهو: البلد والمكان والموضع، وليس بالنظر إلى لفظها، ولأنه غير جارٍ على الفعل كسائر أبنية المبالغة، فأجري مجرى الجامد»[٢].

والجواب عن الثالث: أن الوحش والطير تبعد في طلب الماء، ولا يعوزها الشرب بخلاف الأنعام.

وقيل: إن الأنعام قنية الأناسي، وعامة منافعهم متعلقة بها؛ فكأن الإنعام بسقي الأنعام كالإنعام بسقي الأناسي، فلذلك خصها بالذكر»[٣].

والجواب عن الرابع: أنه قدم إحياء الأرض وسقي الأنعام على سقي الأناسي؛ لأن حياة الأناسي بحياة أرضهم وأنعامهم؛ فقدم ما هو سبب حياتهم ومعاشهم. ولذلك قدم إحياء الأرض على سقي الأنعام؛ فإنه سبب لحياتها وتعيشها. وأيضاً: سقي الأرض بماء المطر، سابق في الوجود على سقي الأناسي»[٤].

---

(١) مسائل الرازي ٢٤٦، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٤٧.

(٢) مسائل الرازي ٢٤٦، زاد المسير ٦/ ٩٤، البيضاوي ٢/ ١٤٧.

(٣) مسائل الرازي ٢٤٦، البيضاوي ٢/ ١٤٧.

(٤) مسائل الرازي ٢٤٦، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٤٧.

والجواب عن الخامس: أنه أراد أهل البوادي الذين يعيشون بالحياض، وتخصيصهم: لأن أهل المدن والقرى المقيمون بقرب الأنهار والمنابع، فهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا السماء [١].

***

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [٢].

يقول الله- تعالى- ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [٣].

وقال- جل شأنه- ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [٤].

وقال- سبحانه- ﴿ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ [٥].

وقال- جلت حكمته- ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [٦].

كيف التوفيق بين الآيات ومنها ما ينافي طلب الأجر على التبليغ وما

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ١٤٧.

(٢) من الآية (٥٧) من سورة الفرقان.

(٣) من الآية (٤٧) من سورة سبأ.

(٤) من الآية (٨٦) من سورة ص.

(٥) من الآية (٤٠) من سورة الطور.

(٦) من الآية (٢٣) من سورة الشورى.

يوهم خلاف ذلك؟ وكيف قال: (إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ)، ولم يقل: (إلا مودة القربى) أو (إلا المودة للقربى)؟

والجواب عن الأول: أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- ما سألهم أجراً ألبتة؛ شأنه في ذلك شأن المرسلين قبله؛ إذ قال كل من نوح وهود وصالح ولوط وشعيب- عليهم السلام- ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. والكلام هنا: كناية عن أنه لم يسأل أصلاً، لأن ما يسأله السائل يكون له، فجعله للمسؤول منه كناية عن عدم السؤال بالكلية، ومعنى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾: لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا فتتهموني، فما طلبته منكم من أجر على أداء الرسالة وبيان الشريعة فهو لكم. وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه: ما أعطيتني من أجر فخذه، مع علمه بأنه لم يعطه شيئاً، وكما يقول: مالي في هذا فقد وهبته لك، يريد: ليس لي فيه شيء، ويؤيده قوله تعالى- ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ وعلى هذا يكون المراد بقوله ﴿إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾. وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ كل ما يجب بالإسلام من العمل الصالح الذي يقرب إلى الله تعالى.

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أي: إلا أن تتوددوا إلى الله

---

(١) الآية (١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠) من سورة الشعراء.

وتتقربوا إليه بالطاعة. وعليه- فلا إشكال؛ لأن التقرب إلى الله ليس أجراً على التبليغ، أو أن المراد بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ إلا أن تودوني في قرابتي التي بيني وبينكم فتكفوا عني أذاكم، وتمنعوني من أذى الناس، كما تمنعون كل من بينكم وبينه مثل قرابتي منكم. وكان- صلى الله عليه وسلم- له في كل بطن من قريش رحم. يعني: إن لم تودوني لأجل التوبة، فودوني لأجل القرابة. فهذا الذي سألهم، ليس بأجر على التبليغ، لأنه مبذول لكل أحد، لأن كل أحد يوده أهل قرابته، وينتصرون له من أذى الناس. وقد فعل له ذلك أبو طالب، ولم يكن أجراً على التبليغ؛ لأنه لم يؤمن، وإذا كان لا يسأل أجراً إلا هذا الذي ليس بأجر، تحقق أنه لا يسأل أجراً.

ويؤيد هذا، ما روي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن قريشاً لما كذبت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأبت أن تبايعه قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني، فاحفظوا قرابتي فيكم، ولا يكون غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم. وعلى هذا المعنى قيل: إن هذه الآية منسوخة، إذ أنها نزلت بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأمرهم الله بمودته، فلما هاجر آوته الأنصار ونصروه، فأنزل الله عليه ﴿ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾. وأنزل عليه

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾[١].

ولا حاجة تدعو إلى القول بالنسخ.

وقيل إن معنى ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾: لا تؤذوا قرابتي وعترتي، واحفظوني فيهم، وعليه- فلا إشكال أيضاً- لأن الموادة بين المسلمين واجبة فيما بينهم.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[٢].

وفي الحديث: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذ اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٣].

وقال- صلى الله عليه وسلم-: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٤].

وقرابة النبي- صلى الله عليه وسلم- أحرى وأولى.

وإذا كان نفس الدين يوجب هذا بين المسلمين، تبين أنه غير عوض عن التبليغ.

وقيل: إن معنى ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: إلا أن تتوددوا إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٩٧ـ أسباب النزول ٢٨٠.

(٢) الآية (٧١) من سورة التوبة.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الإيمان، تفسير القرآن العظيم ٦/ ٣٧٧.

(٤) صحيح البخاري ١/ ١٠، سنن الترمذي ح٢٥١٥.

قراباتكم وتصلوا أرحامكم. وعليه- أيضاً- فلا إشكال، لأن صلة الإنسان رحمه، ليست أجراً على التبليغ.

ويحتمل أنه- صلى الله عليه وسلم- سألهم شيئاً نفعه عائد عليهم، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾. وقوله: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾. فاتخاذ سبيلهم ينفعهم وقربى رسول الله قرباهم.

وهذا الاحتمال يعود في الحقيقة إلى الوجه الأول، لأن هذا النفع مما يجب بالإسلام، وهو عائد إليهم، فلم يسألهم أجراً على تبليغ الرسالة.

ولا وجه لمن يزعم أن المعنى: إلا أن تودوا قرابتي وعترتي، إذ كيف يمنع قرابته من الميراث بقوله: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1]. ثم يطلب مودة الناس لهم.

والاستثناء يجوز أن يكون منقطعاً، أي: لكن أذكركم المودة في القربى، ويجوز أن يكون متصلاً، والمعنى: لا أسألكم عليه أجراً إلا هذا، فقد رضيت به أجراً، كما أنك تسأل غيرك حاجة، فيعرض المسؤول عليك براً، فتقول له: اجعل بري قضاء حاجتي، ويكون المعنى: لا أسألكم عليه

---

(١) فتح الباري ١٢/ ٨.

أجراً إلا هذا؛ ونفعه عائد عليكم، فكأني لم أسألكم أجراً[١].

والجواب عن الثاني: أنه جعلهم محلاً للمودة ومقراً لها: للمبالغة، كأنه قال: إلا المودة الثابتة المستقرة في القربى، كما يقال: في آل فلان مودة، ولي فيهم هوى وحب شديد[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾[٣].

وقال- جل ثناؤه- ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[٤].

وقال- سبحانه- ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾[٥].

كيف التوفيق بين هذه الآيات، والأولى تدل على أن مدة خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والآيات الأخر تدل على أن

---

(١) فتح القدير ٤/ ٥٣٤، ٤/ ٣٣٤، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٥/ ٤٩، ٢٢/ ٢١٩، والفتوحات الإلهية ٣/ ٤٨٠.

(٢) مسائل الرازي ٣٠٩-٣١٠.

(٣) الآية (٥٩) من سورة الفرقان.

(٤) الآيتان (٩-١٠) من سورة فصلت.

(٥) من الآية (١٢) من السورة السابقة.

مدة خلقها ثمانية أيام؟

والجواب: أن معنى (فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ) في تتمة أربعة أيام، لأن اليومين اللذين خلق فيهما الأرض: من جملة الأربعة، أو معناه: كل ذلك في أربعة أيام. يعني: خلق الأرض وما ذكر بعدها، فصار المجموع ستة؛ وهذا لا اختلاف فيه بين المفسرين [(١)].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [(٢)].

كيف قال: (إِمَامًا) ولم يقل: أئمة؟

والجواب: أنه قال: (إِمَامًا) ولم يقل: أئمة؛ لأنه أراد به الجنس؛ كقوله- تعالى- ﴿ ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾ [(٣)].

وقيل: إنه من الواحد الذي أريد به الجمع؛ كما قال للاثنين ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [(٤)].

وقيل: أرادوا اجعل كل واحد منا إماماً.

وقيل: أرادوا اجعل لنا إماماً واحداً لاتحاد كلمتنا.

---

(١)مسائل الرازي ٣٠٧.

(٢) من الآية (٧٤) من سورة الفرقان.

(٣) من الآية (٥) من سورة الحج وفي سورة غافر (يخرجكم طفلاً) بالياء (٦٧).

(٤) من الآية (١٦) من سورة الشعراء.

وقيل: إنه من الكلام المقلوب والمعنى: واجعل المتقين لنا إماماً.

وقيل: إن هذا الدعاء صادر عنهم بطريق الانفراد؛ وأن عبارة كل واحد منهم عند الدعاء: واجعلني للمتقين إماما؛ ولكنها حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير لقصد الإيجاز؛ كقوله- تعالى-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾[1]. وفي هذا: إبقاء إماماً على حاله.

وقيل: إن الإمام إذا ذهب به مذهب الاسم وُحّد؛ كأنه قيل: اجعلنا حجة للمتقين؛ ومثله: البينة؛ يقال: هؤلاء بينة فلان.

وقيل: وُحّد لأنه مصدر في أصله.

وقيل: إنه جمع آئم، كصائم وصيام، ومعناه: قاصدين لهم مقتدين بهم.

وقيل: قال إماماً؛ ولم يقل أئمة مراعاة لفواصل الآيات[2].

***

قال الله- تعالى-﴿ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾[3].

كيف الجمع بين التحية والسلام؛ وهما بمعنى واحد؟ ويؤيده قوله-

---

(١) من الآية (٥١) من سورة المؤمنون.

(٢) مسائل الرازي ٢٤٧، فتح القدير ٤/ ٨٩، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٥٢.

(٣) من الآية (٧٥) من سورة الفرقان.

تعالى- ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ﴾ وقوله- صلى الله عليه وسلم- «تحية أهل الجنة في الجنة سلام»[١].

والجواب: أن المراد بالتحية: سلام بعضهم على بعض، أو سلام الملائكة عليهم، والمراد بالسلام: أن الله- تعالى- سلمهم مما يخافون، وسلم إليهم أمرهم.

وقيل: التحية بالسلام من الملائكة، أو من أهل الجنة، والسلام من الله- تعالى- عليهم، لقوله- تعالى- ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾[٢].

وقيل: التحية من الله- تعالى- لهم بالهدايا والتحف، والسلام بالقول.

وقيل: التحية الدعاء بالتعمير، والسلام: الدعاء بالسلامة، فمعناه: أنهم يلقون ذلك من الملائكة، أو بعضهم من بعض؛ أو يلقون ذلك من الله- تعالى- فيعطون البقاء والخلود مع السلامة من كل آفة.

ولو سُلِّم أنهما بمعنى واحد؛ لساغ الجمع بينهما لاختلاف لفظهما[٣].

***

(١) فتح الرحمن ٧/ ٣٧٩.

(٢) الآية (٥٨) من سورة يس.

(٣) مسائل الرازي ٢٤٧، والفتوحات الإلهية ٣/ ٢٧٠.

سورة الشعراء

قال الله- تعالى- ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾[١].

كيف صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق؟

والجواب: أنه صح مجيء خاضعين خبراً عن الأعناق؛ لأنها موضع الخضوع، والإخبار عن الرقاب: إخبار عن أصحابها، ولأن الأعناق إذا خضعت: فأربابها خاضعون؛ فإذا أذلت رقابهم ذلوا. ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذي هو من صفات العقلاء، جمعت جمع العقلاء؛ كقوله- تعالى- ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾[٢].

وقيل: إن (خَٰضِعِينَ) وخاضعة هنا: سواء.

وقيل: إن أصلها خاضعة، وقيل: (خَٰضِعِينَ) لمراعاة الفواصل.

ويجوز أن يكون (خَٰضِعِينَ) خبراً عن الرجال؛ ويكون قد جعل الفعل الأول للأعناق، ثم جعل (خَٰضِعِينَ) للرجال، وذلك لأن الخضوع لما لم يكن إلا بخضوع الأعناق، جاز أن يخبر عن المضاف إليه، ويسوغ في كلام العرب أن يُترك الخبر عن الأول، ويخبر عن الثاني، ويكون أصل

---

(١) من الآية (٤) من سورة الشعراء.

(٢) من الآية (٤) من سورة يوسف.

الكلام: فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لزيادة التقرير والتصوير.

وقيل: الأعناق رؤساء الناس ومقدموهم، شبهوا بالأعناق، كما قيل: لهم الرؤوس والنواصي والوجوه.

وقيل: الأعناق الجماعات، يقال: جاءني عنق من الناس، أي: جماعة[1].

***

يقول الله- عز وجل- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[2].

كيف قال موسى- عليه السلام- ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ والنبي لا يكون ضالاً؟

والجواب: أن المراد من قوله ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله؛ لأن فعل الوكزة على وجه التأديب والتعزير، لا على وجه القتل.

وقيل: أراد من المخطئين؛ لأنه ما تعمد قتله؛ كما يقال: ضل عن الطريق، إذا عدل عن الصواب إلى الخطأ.

وقيل: أراد من الناسين، كقوله- تعالى- ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ

(١) مسائل الرازي ٢٤٨، زاد المسير ٦/ ١١٦، وتفسير الخازن ٣/ ٣٥٨.

(٢) الآية (٢٠) من سورة الشعراء.

إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[1].

وقيل: أراد من الضالين عن النبوة، أي: لم يُوح إليّ تحريم قتله [2].

***

قال الله- تعالى-﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

كيف قال فرعون ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ولم يقل (ومن رب العالمين)؟

والجواب: أن فرعون كان أعمى القلب عن معرفة الله- سبحانه وتعالى- منكراً لوجوده، فكيف يُنكر عليه العدول عن (من) إلى (ما)؟[4]

وفي هذا الجواب نظر؛ فقد قال فرعون ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴾[5].

والصحيح أن يقال: إن (مَنْ) و(ما) يتعاقبان؛ كما قال- تعالى- ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ . . . ﴾[6]. وقال- عز وجل-﴿ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ ﴾[7]. وقال- عز من قائل-﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[8].

***

---

(١) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٢) مسائل الرازي ٢٤٩، تفسير الخازن ٣/ ٣٦٠، مجمع البيان: المجلد الخامس ١٩/ ١٤٤.

(٣) الآية (٢٣) من سورة الشعراء.

(٤) مسائل الرازي ٢٤٩.

(٥) الآية (٤٩) من سورة طه.

(٦) من الآية (٣) من سورة النساء.

(٧) من الآية (٤٥) من سورة النور.

(٨) الآيتان (٣، ٤) من سورة الكافرون.

يقول المولى- جل وعلا-﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[١].

كيف صح تعليق كونه- سبحانه- رب السموات والأرض وما بينهما على كون فرعون وقومه موقنين، والشرط منتف والربوبية ثابتة؟

والجواب: أن المعنى: إن كنتم موقنين أن السموات والأرض وما بينهما موجودات، وهذا الشرط موجود.

وقيل: إنَّ (إنْ) نافية لا شرطية[٢].

***

قال الله- تعالى-﴿ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ۝٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾[٣].

كيف سأل فرعون قومه، ويجيب موسى- عليه السلام-؟

والجواب: أن فرعون أراد ألا تستمعون قول موسى؟ فرد موسى لأنه المراد بالجواب[٤].

***

(١) الآية (٢٤) من سورة الشعراء.

(٢) مسائل الرازي ٢٤٩.

(٣) الآيتان (٢٥، ٢٦) من سورة الشعراء.

(٤) زاد المسير ٦/ ١٢٢.

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: أن ذكر السموات والأرض وما بينهما يستوعب ذكر المخلوقات كلها، فكيف ذكر بعده- قوله- ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[2]. وقوله ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[3]؟

والثاني: كيف التوفيق بين هذه الآيات ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وبين قوله ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾[4]، وقوله ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[5]. وقوله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾[6]؟

الثالث: لماذا قال أولاً: (إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) ثم قال آخراً (إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)؟

والجواب عن الأول: أنه أعاد ذكرها تخصيصاً لها وتمييزاً، وتأييداً لما قبلها وتوكيداً؛ فإن فرعون كان يدعي الربوبية على أهل عصره دون من قبله، فبين أن المستحق للربوبية: هو رب أهل كل عصر؛ ومالك تدبيرهم،

---

(١) الآية (٢٨) من سورة الشعراء.

(٢) الآية (٨) من سورة الدخان.

(٣) من الآية (٩) من سورة المزمل.

(٤) من الآية (٥) من سورة الصافات.

(٥) الآية (١٧) من سورة الرحمن.

(٦) من الآية (٤٠) من سورة المعارج.

فجاء بدليل يفهمونه؛ وهو قريب منهم يشاهدونه ويعاينونه؛ لأنهم يعلمون أنهم قد كان لهم آباء؛ وأنهم قد دفنوا؛ وأنه لا بد لهم من مفنٍ؛ وأنهم كانوا بعد أن لم يكونوا، وأنهم لا بد لهم من مكون. ثم خص المشرق والمغرب؛ لأن طلوع الشمس من أحدهما، وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستوٍ؛ من أظهر ما يستدل به على وجود الصانع؛ فبين أن هذا الرب ليس ملكه كملكك؛ لأنك إنما تملك بلداً واحداً لا يجري أمرك في غيره، ويموت فيه من لا تحب أن يموت؛ والذي أرسلني يملك المشرق والمغرب وما بينهما"[1].

والجواب عن الثاني: أن القرآن نزل بلغة العرب على المعهود من أساليب كلامهم وفنونه؛ ومن أساليب كلامهم وفنونه: الإجمال والتفصيل؛ والبسط والإيجاز، فأجمل تارة بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ أراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما على الإجمال.

وقيل: أراد أقصى مطلع تطلع منه الشمس في الأيام الطوال؛ وأقصر يوم في الأيام القصار؛ وكذلك في المغربين.

وقيل: أراد مشرقي الصيف والشتاء: للشمس والقمر، وكذلك

---

(١) مسائل الرازي ٢٤٩، ٢٥٠، الفتوحات الإلهية ٣/ ٢٧٦، ومجمع البيان: المجلد الخامس ١٩/ ١٤٥.

المغربين. والتعبير بالتثنية موافقة للتثنية في ﴿يَسْجُدَانِ﴾[1]. وفي ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2]. وذكر المقابلين موافقة لبسط صفاته- تعالى- وإنعامه.

وفصَّل تارة بقوله- تعالى- ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ أراد: جميع مشارق السنة ومغاربها؛ وهي: تزيد على سبعمائة.

وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق؛ وكل موضع غربت عليه فهو مغرب.

وقيل: أراد مشارق الكواكب.

وخص ما هنا بالجمع: موافقة للجموع في السورة قبل وبعد؛ وبذكر المقابلين: موافقة لكثرة التأكيد في القسم وجوابه.

وأوجز واختصر مرة بقوله: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ لدلالة المذكور وهي المشارق على المحذوف وهو المغارب، ويجوز الحذف إذا كان المثبت دالاً عليه وخص ما هنا بالحذف مناسبة للزينة، إذ هي إنما تكون غالباً بالضياء والنور، وهما ينشآن من المشرق لا من المغرب، أو: يكون الشروق سابقاً في الوجود على الغروب.

---

(١) من الآية (١٧) من سورة الرحمن.

(٢) ذكرت هذه الآية من أول الآية (١٣) إلى آخر سورة الرحمن: إحدى وثلاثين مرة.

وأفرد في قوله﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ لإرادة جهة المشرق وجهة المغرب، أو جنس المشارق والمغارب، وخصه بالإفراد: موافقة لما قبله وما بعده من الإفراد. ويذكر المقابلين: موافقة للحصر في قوله﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ولبسط أوامر الله- تعالى- لنبيه[1].

والجواب عن الثالث: أنه دعاهم أولاً بالحكمة والموعظة الحسنة: فلاينهم في القول، ولاطفهم في الخطاب فقال: (إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ) ولما رأى عنادهم وإصرارهم وخشونة فرعون وقوله: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[2]. قابلهم بما يستحقون فقال(إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)[3].

***

قال الله- تعالى- ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[4].

ولو قال: لأسجننك؛ لكان أخصر وأوجز؛ فكيف عدل عنه؟

والجواب: أنه أراد تعريف العهد؛ فكأنه قال: لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجني؛ وكان إذا سجن إنساناً طرحه في هوة عميقة جدّاً مظلمة- وحده- لا يبصر فيها ولا يسمع- فكان ذلك أوجع من القتل

---

(١) مسائل الرازي ٢٩١، الفتوحات ٣/ ٥٢٩، فتح القدير ٤/ ٣٨٦، الخازن ٤/ ١٤، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤١٧.

(٢) من الآية (٢٧) من سورة الشعراء.

(٣) مسائل الرازي ٢٥٠.

(٤) الآية (٢٩) من سورة الشعراء.

وأشد نكاية [١].

ولعله قال ذلك مراعاة لفواصل الآي، إذ لو قال له: لأسجننك لفهم موسى- عليه السلام- أنه سيكون من جملة المسجونين.

***

يقول المولى- عز وجل- ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [٢].

الترائي: تفاعل من الرؤية؛ فيقتضي وجود رؤية كل جمع الجمع الآخر؛ والمنقول أنهم لم ير بعضهم بعضاً؛ فإن الله- تعالى- أرسل غيماً أبيض فحال بين العسكرين حتى منع رؤية بعضهم بعضاً، فلِمَ قال: (تَرَٰٓءَا)؟

والجواب: أن الترائي يستعمل بمعنى التداني والتقابل- أيضاً- كما قال- صلى الله عليه وسلم- «المؤمن والكافر لا يتراءيان» [٣]. أي: يتدانيان؛ ويقال: دورنا تتراءى: أي: تتقارب وتتقابل.

وقيل: إن معنى (تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ) أي: تقابلا بحيث يرى كل فريق

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٠.

(٢) الآية (٦١) من سورة الشعراء.

(٣) سبق تخريجه (في سورة المائدة).

صاحبه ويؤيد هذا المعنى: قراءة (تراءت الفئتان) وإن صححت قصة الغيم، فتحمل على ما بعد الترائي؛ وقول أصحاب موسى إنا لمدركون.

***

قال الله- تعالى-﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴾[1].

كيف سألهم عن معبودهم؛ فأجابوا عنه وعن أفعالهم؟ إذ كان القياس أن يقولوا: أصناماً؛ كما قال الله- تعالى-﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَ ﴾[2]. وكما قال- سبحانه-﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗا ﴾[3].

والجواب: أن هؤلاء قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة كالمبتهجين والمفتخرين بها؛ فاشتملت على جواب إبراهيم وما قصدوه من إظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار[4].

***

---

(١) الآيات من (٦٩-٧١) من سورة الشعراء.

(٢) من الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٣٠) من سورة النحل.

(٤) الفتوحات ٣/ ٢٨١.

يقـول المـولى- جـل شـأنه- ﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

كيف قال: (فَإِنَّهُمْ) والظاهر: فإنها؟ وكيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل؟

والجواب: أن المعنى: فإنهم عدو لي يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا؛ فجعل الأصنام كالعدو في الضرر في جهة عبادتها.

وقيل: إن الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء، أطلق إبراهيم- عليه السلام- لفظة العداوة عليها.

وقيل: إنه من المقلوب؛ أراد: فإني عدو لهم، لأن من عاديته فقد عاداك.

وقيل: يجوز أن يكون قال: (فَإِنَّهُمْ) لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام؛ فغلب ما يعقل؛ ولذلك: استثنى من جميع المعبودين[2].

***

(١) الآيات من (٧٥، ٧٧) من سورة الشعراء.

(٢) الخازن ٣/ ٣٦٥، مجمع البيان المجلد الخامس ١٩/ ١٥٩.

قال الله- سبحانه وتعالى- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[١].

لِمَ لَمْ ينسب المرض إلى الله- تعالى- كما نسب إليه الخلق والهداية وهو مضاف إليه كذلك؟

والجواب: أنه كان في معرض الثناء على الله- تعالى- وتعديد نعمه؛ فأضاف إليه الخير المحض حفظاً للأدب، ولأنه لو قال: أمرضني؛ لعد قومه ذلك عيباً؛ وإن كان الكل مضافاً إليه. ونظيره قول العبد الصالح- عليه السلام- ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾[٢].

وقوله ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾[٣].

ولا يقال: إن هذا الجواب مردود بقوله (وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى) ويقول العبد الصالح- عليه السلام- ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا ﴾[٤]. حيث نسب الإماتة إليه- سبحانه- لأن القوم ما كانوا ينكرون الموت؛ وإنما يجعلون له سبباً سوى تقدير الله- عز وجل- فأضافه إلى الله قطعاً لهذا السبب. كما أن

---

(١) الآيات من (٧٨-٨١) من سورة الشعراء.

(٢) من الآية (٧٩) من سورة الكهف.

(٣) من الآية (٨٢) من سورة الكهف.

(٤) من الآية (٨١) من السورة السابقة.

الموت لا ضرر فيه؛ وإنما الضرر في مقدماته وهي: المرض. ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي تستحقر دونه الحياة الدنيوية، وخلاص من أنواع المحن والبلية. ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه، وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر. والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهراً، وذلك بقدرة الله العزيز العليم"[1].

***

يقول المولى- تبارك وتعالى- ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[2].

كيف نفى نفع المال والولد- في ذلك اليوم-؟ وقد قال- صلى الله عليه وسلم- «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»[3]. كما ثبتت شفاعة الأولاد الذين يموتون صغاراً لوالديهم.

والجواب: أن المراد بالآية: أنهما لا ينفعان غير المؤمن؛ فإنه هو الذي يأتي بقلب سليم من الكفر. أو المراد: مال لم ينفق في طاعة الله- تعالى-

---

(١) زاد المسير ٦/ ١٢٩، البيضاوي ٢/ ١٦٠.

(٢) الآيتان (٨٨-٨٩) من سورة الشعراء.

(٣) سنن الترمذي ح١٣٧٦، نصب الراية ٣/ ١٥٩ ط المكتبة الإسلامية.

وولد بالغ غير صالح؛ ويؤيده قوله- تعالى- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[2].

كيف تقترب الجنة من المتقين؟ وهي لا تنقل من مكانها؟

والجواب: أن الجنة كانت محجوبة عنهم؛ فلما رُفعت الحجب بينهم وبينها: كان ذلك تقريباً لها؛ ويؤيد ذلك قوله- بعد- (وَبُرِّزَتِ).

وقيل: إن في الكلام قلباً؛ والمعنى: وأزلفت المتقون إلى الجنة كما يقول الحجاج إذا دنوا من مكة: قربت مكة منا. والمراد: فراغ المتقين من الحساب؛ وبيان علامات الفوز ودخول الجنة، أي: قرب دخولهم إياها[3].

***

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾[4].

لِمَ جمع الشافع؛ ووحد الصديق؟

والجواب: أنه جمع الشافع ووحّد الصديق؛ لكثرة الشفعاء في العادة

---

(١) من الآية (١٠) من سورة آل عمران، وانظر مسائل الرازي ٢٥٢.

(٢) الآيتان (٩٠-٩١) من سورة الشعراء.

(٣) مسائل الرازي ٢٥٢.

(٤) الآيتان (١٠٠-١٠١) من سورة الشعراء.

وقلة الصديق، ولهذا روي أن بعض الحكماء سئل عن الصديق فقال: هو اسم لا معنى له؛ أراد بذلك عزة وجوده، ولأن الصديق الواحد: يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء.

أو: لأن لفظ الصديق يجوز إطلاقه على الجمع كالعدو؛ لأنه في الأصل: مصدر [1].

***

يقول المولى- جل وعلا-﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[2].

كيف قرن بين الأنعام والبنين؟

والجواب: أن الأنعام كانت من أعز أموالهم عندهم؛ وكان بنوهم هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام عليها؛ فلهذا قرن بينهما [3]. ولعله قرن بينهما إذ كل منهما نعمة من الله- تعالى- يدل عليه ما بعده؛ وقد قال- تعالى-﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[4].

وتقديم الأنعام والمال: لأن المنفعة منهما عاجلة؛ ومنفعة البنين آجلة.

***

(١) مسائل الرازي ٢٥٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٦٢.

(٢) الآيتان (١٠٠، ١٠١) من سورة الشعراء.

(٣) مسائل الرازي ٢٥٢.

(٤) من الآية (٤٦) من سورة الكهف.

قال الله- عز وجل- ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾[١].

لو قالوا: سواء علينا أوعظت أم لم تعظ؛ لكان أخصر، فكيف عدلوا عنه؟

والجواب: أن مرادهم: سواء علينا أفعلت هذا الفعل أم لم تكن من أهله أصلاً؛ وهذا أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولهم: أم لم تعظ[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[٣].

وقال- جلت قدرته- ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾[٤].

ما الفرق بين حذف الواو في قصة صالح؛ وإثباتها في قصة شعيب- عليهما السلام-؟

والجواب: أنه عند إثبات الواو: المقصود معنيان كلاهما منافٍ

---

(١) الآية (١٣٦) من سورة الشعراء.

(٢) مسائل الرازي ٢٥٢.

(٣) من الآيتين (١٥٣، ١٥٤) من سورة الشعراء.

(٤) من الآيتين (١٨٥، ١٨٦) من السورة السابقة.

للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وعند حذف الواو: المقصود معنى واحد منافٍ لها وهو كونه مسحّراً، ثم قرروا التسحير بالبشرية [١].

***

يقول- سبحانه- ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ﴾[٢].

كيف أخذهم بالعذاب بعدما ندموا على جنايتهم؛ وقد قال- صلى الله عليه وسلم- «الندم توبة»[٣]؟

والجواب: أنهم ندموا حين رأوا العذاب؛ وهذا وقت لا ينفع فيه الندم، كما قال الله- تعالى- ﴿ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ﴾[٤].

وقيل: كان ندمهم ندم خوف من العذاب العاجل؛ لا ندم توبة؛ فلذلك لم ينفعهم.

وقيل: إن مجرد الندم ليس توبة [٥].

***

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٤.

(٢) من الآيتين (١٥٧، ١٥٨) من سورة الشعراء.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ١٦.

(٤) من الآية (١٨) من سورة النساء.

(٥) مسائل الرازي ٢٥٣، والفتوحات ٣/ ٢٨٩.

يقول الله- تعالى- ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

كيف طلب لوط- عليه السلام- النجاة من اللواطة- وهي كبيرة- والأنبياء معصومون من الكبائر؟

والجواب: أن مراده: رب نجني وأهلي من عقوبة عملهم؛ أو من شؤمه، والدليل على ذلك: ضمه أهله إليه في الدعاء، واستثناء الله- تعالى- امرأته من قبول الدعوة.

وقيل: المراد النجاة من نفس عملهم الخبيث، وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك، كما قال إبراهيم- عليه السلام- ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[٢].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٣].

أليس هذا الإخبار: يدل على أنه نفسه-: أي القرآن- في زبر الأولين؟ وهو ليس كذلك؟

والجواب: أنه ذكره ووصفه في زبر الأولين؛ يدل عليه قوله- تعالى-

---

(١) الآية (١٦٩) من سورة الشعراء.

(٢) من الآية (٣٥) من سورة إبراهيم، وانظر مسائل الرازي ٢٥٣، ومجمع البيان المجلد الخامس ١٩/ ١٧٦.

(٣) الآية (١٩٦) من سورة الشعراء.

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(١).

***

قال- جل وعلا-﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢).

ما معنى التبعيض هنا؟

والجواب: أن المعنى: لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم وألسنتهم، دون المؤمنين بألسنتهم وهم المنافقون(٣).

***

قال الله- تعالى-﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾(٤).

وصف الكهنة والمتنبئة: كشق وسطيح ومسيلمة بالإفك والإثم [والأفاك: الكذاب، والأثيم: الفاجر] ويلزم من هذا: أن يكونوا كلهم كذابين؛ فكيف وصفهم بأن أكثرهم كاذبون؟

---

(١) الآية (٨٩) من سورة البقرة، وراجع تنزيه القرآن ٢٩٨.

(٢) الآية (٢١٥) من سورة الشعراء.

(٣) تفسير الخازن ٣/ ٢٧٣.

(٤) الآيات من (٢٢١-٢٢٣) من سورة الشعراء.

والجواب: أن الضمير في قوله: (وَأَكۡثَرُهُمۡ) عائد إلى الشياطين؛ لا على كل أفاك، أي: وأكثر الشياطين كاذبون؛ والمراد بهم من كان يسترق السمع من الملائكة؛ ويلقونه على الكهنة، وكان ذلك- قبل مبعث النبي- صلى الله عليه وسلم- أما بعد ذلك: ﴿فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا﴾[1].

وقيل: الضمير عائد إلى الكهنة؛ أي: وأكثر الكهنة كاذبون. أي قَلَّ مَنْ يصدق منهم فيما يحكي عن الشياطين. إذ المراد بالأفاك: الذي يكثر الكذب، لا الذي لا ينطق إلا بالكذب[2].

***

(١) من الآية (٩) من سورة الجن.

(٢) مجمع البيان المجلد الخامس ١٩/ ١٩١، وفتح القدير ٤/ ١٢٠.

سورة النمل

قال الله- تعالى- ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾(١).

وعلى هذه الآية: يرد سؤالان:

الأول: ما فائدة تنكير الكتاب؟

الثاني: العطف يقتضي المغايرة؛ فكيف عطف الكتاب على القرآن؟

والجواب: عن الأول: أن فائدته التفخيم والتعظيم؛ كقوله- تعالى- ﴿ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴾(٢).

والجواب عن الثاني: أن المعطوف لما كان فيه صفة زائدة على مفهوم المعطوف عليه؛ كان مفيداً بهذا الاعتبار.

وقيل: إن العطف يقتضي المغايرة مطلقاً: إما لفظاً؛ وإما معنى، والمغايرة لفظاً ثابتة؛ كقولهم: جاءني الفقيه والظريف. فعطفه على القرآن: كعطف إحدى الصفتين على الأخرى مع اتحاد المدلول.

وقرئ (كتابُ مبينٌ) برفعها؛ وهذه القراءة على تقدير مضاف محذوف، وإقامة المضاف إليه مقامه، أي: وآيات كتاب مبين؛ فقد وصف

---

(١) الآية (١) من سورة النمل.

(٢) الآية (٥٥) من سورة القمر.

الآيات بالوصفين: القرآنية الدالة على كونه مقروءاً؛ مع الإشارة إلى كونه قرآناً عربياً معجزاً، والكتابة الدالة على كونه مكتوباً مع الإشارة إلى كونه متصفاً بصفة الكتب المنزلة. فأل يكون على هذا من باب عطف صفة على صفة مع اتحاد المدلول.

وقيل المراد بالكتاب: اللوح المحفوظ؛ وإبانته: أنه خط فيه ما هو كائن، فهو يبينه للناظرين فيه. وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به؛ وعليه فلا يرد السؤال[١].

***

يقول المولى- جل وعلا-﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾[٢].

وقال- تبارك وتعالى-﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴾[٣].

كيف التوفيق بين الآيتين؟ والأولى تسند التزيين إلى الله- سبحانه- والأخرى تسنده إلى الشيطان؟

والجواب: أن تزيين الله- تعالى- لهم الأعمال؛ بخلقه الشهوة والهوى

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٤، الفتوحات ٣/ ٢٩٨، تفسير البيضاوي ٢/ ١٦٩، وفتح القدير ٤/ ١٢٥.

(٢) من الآية (٤) من سورة النمل.

(٣) من الآية (٢٤) من السورة السابقة.

وتركيبها فيهم.

وقيل: هو أن يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع واللذات، ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات.

وقيل: هو أن يزين لهم أعمالهم القبيحة بأن يجعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس.

وقيل: المعنى: حَسَّنَّا لهم ما هم فيه؛ ومددنا لهم في غيهم فهم يتيهون في ضلالهم.

وقيل: زين الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها بترتيب المثوبات عليها.

أما تزيين الشيطان: فبالإغواء والغرور؛ (فصحت الإضافتان)[1].

***

قال- تبارك وتعالى-﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قال:﴿ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴾ مع أنه لم يكن فيها أحد؟

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٤، البيضاوي ٢/ ١٧٠، الخازن ٣/ ٣٧٦، وتفسير ابن كثير ٢/ ٦٦٥.

(٢) الآية (٨) من سورة النمل.

الثاني: يقال: بارك الله على كذا؛ ولا يقال: بارك الله كذا؛ فكيف قال: ﴿أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾؟

والجواب عن الأول: أن المعنى: قدس من ناداه من النار وهو الله- عز وجل- لا على معنى: أن الله- تعالى- يحل في شيء؛ بل على معنى أنه أسمعه النداء من النار في زعمه.

وقيل: (مَنْ) زائدة؛ والتقدير: بورك في النار؛ وفيمن حولها، وهو موسى- عليه السلام- والملائكة.

وقيل المعنى: بورك مَنْ في طلب النار، وهو موسى- عليه السلام-.

والجواب عن الثاني: أن العرب تقول: باركه الله، وبارك فيه، وبارك عليه، بمعنى واحد. ومنه قوله- تعالى-[1]. ولفظ التحيات: وبارك على محمد وعلى آل محمد...الخ»[2].

***

يقول الله- عز وجل-﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[3].

(١) من الآية (١١٣) من سورة الصافات.

(٢) مسائل الرازي ٢٥٥.

(٣) الآيتان (١٠، ١١) من سورة النمل.

ما وجه صحة الاستثناء مع أن الأنبياء معصومون من المعاصي؟ وكيف خص المرسلين، مع أن الأنبياء كذلك؟

والجواب: أنه استثناء متصل؛ والمعنى: إلا من ظلم منهم بترك الأفضل أو ارتكاب الصغيرة كآدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف وموسى وغيرهم- عليهم السلام- فإنه يخاف مما فعل مع علمه أني غفور رحيم؛ فيكون تقدير الكلام: إلا من ظلم منهم فإنه يخاف، فمن ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم، ولهذا قال بعضهم: إن هنا وقفاً على قوله (إِلَّا مَن ظَلَمَ) وابتداء الكلام الثاني محذوف كما قدرنا.

وقيل: الاستثناء منقطع. أي: لكن من ظلم من غير الأنبياء فإنه يخاف، فإن تاب وبدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم.

وقيل: إن (إلا) بمعنى: ولا؛ كما في قوله- تعالى- ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[1]. أي: ولا الذين ظلموا منهم.

وقيل: إن تقديره: إني لا يخاف لدي المرسلون ولا غير المرسلين إلا من ظلم[2].

وإنما خص المرسلين بالذكر؛ لأن الكلام في قصة موسى- وكان من

(١) من الآية (١٥٠) من سورة البقرة.

(٢) مسائل الرازي ٢٥٥، ٢٥٦.

المرسلين- وإلا فسائر الأنبياء كذلك؛ وإن لم يكن بعضهم مرسلاً [١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [٢].

كيف أتى سليمان- عليه السلام- بنون العظمة؛ وهو من كلام المتكبرين؟

والجواب: أنه كان ملكاً- مع كونه نبيّاً- فراعى سياسة الملك وتكلم بكلام الملوك.

وقيل: إنه أراد بيان حاله من كونه مطاعاً لا يخالف؛ لا تكبراً وتعظيماً لنفسه [٣]. وهذا هو اللائق بحال الأنبياء.

***

يقول المولى- عز وجل- ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٤].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

---

(١) فتح البيان ٧/ ٦٩ ط. العاصمة بالقاهرة.

(٢) الآية (١٦) من سورة النمل.

(٣) مسائل الرازي ٢٥٦، وفتح القدير ٤/ ١٣٠.

(٤) الآية (١٨) من سورة النمل.

الأول: كيف عرفت النملة سليمان- عليه السلام- وجنوده حتى قالت ما قالت؟

الثاني: كيف يتصور الحطم من سليمان- عليه السلام- وجنوده، وهو فوق البساط على متن الريح؟

والجواب عن الأول: أنها إذا كانت مأمورة بطاعته؛ فلا بد أن يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته، ولا يمتنع أن يكون لها من الفهم ما تستدرك به ذلك؛ وقد علمنا أنها تشق ما تجمع من الحبوب نصفين مخافة أن يصيبها الندى فتنبت إلا الكزبرة؛ فإنها تكسرها أربع قطع؛ لأنها تنبت إذا شقت نصفين؛ فمن هداها إلى هذا؟ فإنه جل جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها.

وقيل: إن ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان- عليه السلام-[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾[2].

ما كان سبب ضحك سليمان- عليه السلام-؟

---

(١) مجمع البيان: مجلد الخامس ١٩/ ٢٠٧.

(٢) من الآية (١٩) من سورة النمل.

والجواب: أن سبب ضحكه: ما دل من قولها على ظهور عدله ورحمة جنوده وشفقتهم، وبلوغ ذلك مبلغاً عرفه النمل، وذلك قولها: (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) يعني: أنهم لو شعروا ما يفعلون.

وقيل سبب ضحكه: ما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من إدراك سمعه ما قالته النملة.

وقيل: إن الإنسان إذا رأى أو سمع ما لا عهد له به تعجب وضحك.

وقيل: إن الريح أطارت كلامها إليه من ثلاثة أميال، حتى سمع ذلك فانتهى إليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسم من حذرها [1].

***

يقول الله- جل جلاله- ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [2].

كيف أباح لنفسه توعد الهدهد بالعذاب؟

والجواب: أنه أبيح له خاصة؛ كما خُص بفهم منطق الطير وتسخيره له وغير ذلك.

---

(١) الخازن ٣/ ٣٨٠، مجمع البيان المجلد الخامس ١٩/ ٢٠٨.

(٢) الآية (٢١) من سورة النمل.

وقيل: إنه لما كان مأموراً بطاعته استحق العقاب على غيبته فجازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير(١).

***

قال- جل وعلا- ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةً تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: قال سليمان- عليه السلام- ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ فكيف سَوَّى الهدهد بينها وبين سليمان بقوله﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ ؟

الثاني: كيف استعظم الهدهد عرشها مع علمه بعظم عرش سليمان- عليه السلام-؟

والجواب عن الأول: أنه ما سَوَّى بينهما؛ وإنما أراد: وأوتيت من كل شيء من أسباب الدنيا؛ لأنه عطف على الملك؛ وسليمان أراد به: وأوتينا من كل شيء من أسباب الدين والدنيا؛ ويؤيد ذلك عطفه على المعجزة؛ وهي: منطق الطير.

والجواب عن الثاني: أنه استصغر حالها بالنسبة إلى حال سليمان،

(١) مسائل الرازي ٢٥٦، مجمع البيان المجلد الخامس ١٩/ ٢١٣.

(٢) الآية (٢٣) من السورة السابقة.

فاستعظم لها ذلك العرش.

وقيل: يجوز أن لا يكون لسليمان مثله؛ وإن عظمت مملكته في كل شيء؛ كما يكون لبعض الأمراء شيء لا يكون للملك مثله[١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٢].

كيف سَوَّى الهدهد بين عرش بلقيس؛ وعرش الله- تعالى- في الوصف بالعظم؟

والجواب: أنه وصف عرشها بالعظم بالنسبة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك، ووصف عرش الله- تعالى- بالعظم بالنسبة إلى ما خلق الله من السموات والأرض وما بينهما[٣].

***

قال الله- تعالى- ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾[٤].

كيف يتولى عنهم ويعلم جوابهم؟

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٦.

(٢) الآية (٢٦) من سورة النمل.

(٣) مسائل الرازي ٢٥٧، والفتوحات ٣/ ٣٠٩.

(٤) الآية (٢٨) من سورة النمل.

والجواب: أن المعنى: تول عنهم مستتراً من حيث لا يرونك فانظر ماذا يردون من الجواب.

وقيل: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً تقديره: فانظر ماذا يرجعون ثم تولّ عنهم [١]. والأول: أولى وأوجه؛ لأن الكلام إذا صح من غير تقديم وتأخير كان أولى.

***

يقول المولى- جل ذكره- ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [٢].

كيف استجاز سليمان- عليه السلام- تقديمه اسمه في الكتاب على اسم الله- تعالى شأنه-؟

والجواب: لأنه عرف أنها لا تعرف الله- تعالى- وتعرف سليمان؛ فخاف أن تستخف باسم الله- تعالى- إذا كان أول ما يقع بصرها عليه؛ فجعل اسمه وقاية لاسم الله- تعالى-.

وقيل: إن اسم سليمان كان على عنوانه؛ واسم الله- تعالى- كان في

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٧، ومجمع البيان المجلد الخامس ١٩/ ٢١٧.

(٢) الآية (٣٠) من سورة النمل.

أول طية [١].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ [٢].

كيف يجوز أن يكون آصف بن برخيا- وهو كاتب سليمان ووزيره وليس بنبي- يقدر على ما لا يقدر عليه النبي؛ وهو: إحضار عرش بلقيس في أقل من طرفة عين؟

والجواب: أنه يجوز أن يخص غير الرسول بكرامة لا يشاركه فيها الرسول؛ كما خصت مريم بأنها كانت ترزق من فاكهة الجنة، وزكريا- عليه السلام- لم يرزق منها، وكما أن سليمان- عليه السلام- خرج مع قومه يستسقون فرأى نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تستسقي؛ فقال لقومه: «ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم» ولم يلزم من ذلك فضلها على سليمان- عليه السلام-.

وقد نقل أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا أراد الخروج إلى الغزوات قال لفقراء المهاجرين والأنصار: «ادعوا لنا بالنصرة؛ فإن الله -

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٧.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة النمل.

تعالى- ينصرنا بدعائكم»(١). ولم يكونوا أفضل منه- صلى الله عليه وسلم- مع أن كرامة التابع؛ من جملة كرامات المتبوع.

قالوا: والعلم الذي كان عنده: هو اسم الله الأعظم؛ فدعا به فأجيب في الحال؛ وهو: يا حي يا قيوم، وقيل: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل: يا الله يا رحمن، وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت. فمن أخلص النية أو دعا بهذه الكلمات مع استجماع شرائط الدعاء المعروفة؛ فإنه يجاب لا محالة (٢).

وقيل: إن سليمان- عليه السلام- لم يعجز عن معرفة آصف، لكنه أحب أن تعرف أمته من الإنس والجن أنه الحجة من بعده؛ وذلك من علم سليمان: أودعه آصف بأمر الله- تعالى- ففهمه الله ذلك لئلا يُختلف في إمامته ودلالته، كما فَهَّم سليمان في حياة داود- عليهما السلام- لتُعرف إمامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق (٣).

***

قال الله- تعالى- ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ

---

(١) السلسلة الضعيفة للإمام الألباني ح ٩٠٠.

(٢) مسائل الرازي ٢٥٧، ٢٥٨.

(٣) مجمع البيان: المجلد الخامس ١٩/ ٢٣٠.

لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

كيف قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ وهي أسلمت بعده لا معه؟

والجواب: أنها آثرت تلك العبارة؛ لأنها كانت ملكة؛ فلم تر أن تذكر عبارة تدل على أنها صارت مولاة له بإسلامها على يده؛ وإن كان الواقع كذلك.

وقيل: إن قوله ﴿ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ حال من التاء في (وَأَسْلَمْتُ) أي: حال كوني معه أي: مصاحبة له في الدين، وهو الإسلام، وليس ظرفاً لغوياً متعلقاً بأسلمت. وإلا لأوهم اتحاد إسلاميهما في الزمان؛ وليس كذلك؛ بل إسلامه قبل إسلامها[2].

***

يقول- تبارك وتعالى-﴿ قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾[3].

وقال- جل وعلا-﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ

---

(١) الآية (٤٤) من سورة النمل.

(٢) الفتوحات الإلهية ٣/ ٣١٧، ومسائل الرازي ٢٥٨.

(٣) الآية (٤٧) من سورة النمل.

مُّسۡرِفُونَ ﴾[١].

كيف أسند (التطير) إلى الله- عز وجل- في الآية الأولى؛ وأسنده إلى الكفار في الآية الثانية؟

والجواب: أن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وهو مكتوب عنده؛ وأنتم لضلالكم وكفركم لا تعلمون ذلك؛ بل تظنون أن الخير ما يوافق هواكم؛ والشر ما يخالفه. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حيث قال: ﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[٢]. كما يؤيد هذا المعنى: ختم الآية بقوله (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ تُفۡتَنُونَ).

وإسناد الطير إليهم لما أن العبد هو سبب الرحمة والنقمة؛ فسبب الشؤم معهم ومنهم؛ وهو الكفر وسائر المعاصي. قال- تعالى- ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفۡسِكَ ﴾[٣]. ولذلك ختم الآية بقوله (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ مُّسۡرِفُونَ). أي: في إسناد كل ضر إلى الرسول والمؤمنين[٤].

***

(١) الآيتان (١٨، ١٩) من سورة يس.

(٢) الآية (٧٨) من سورة النساء.

(٣) من الآية (٧٩) من سورة النساء.

(٤) محاسن التأويل ١٤/ ٦٤، وتفسير المراغي ١٩/ ١٤٧ بتصرف.

قال المولى- سبحانه- ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾(١).

كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا؛ فأتوا بالخبر على خلاف المخبر عنه؟

والجواب: أنهم اعتقدوا أنهم إذا جمعوا بين البيانين ثم قالوا ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ ﴾ يعنون ما شهدناه وحده كانوا صادقين؛ لأنهم شهدوا مهلكه ومهلك أهله، كما تقول: ما رأيت ثمة رجلاً، بل رجلين.

وقيل المعنى: (وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ) أي: ونحلف إنا لصادقون. أو: والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا؛ لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً(٢).

***

قال الله- تعالى- ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٣).

كيف قصر معرفة الغيب على الله- تعالى- ونحن نعلم: الجنة والنار وأحوال القيامة وكلها غيب؟

والجواب: أن المراد لا يعلم الغيب بلا دليل إلا الله، أو بلا معلم إلا

---

(١) الآية (٤٩) من سورة النمل.

(٢) مسائل الرازي ٢٥٨، وتفسير البيضاوي ٢/ ١٧٩.

(٣) من الآية (٦٥) من سورة النمل.

الله؛ أو لا يعلم جميع الغيب إلا الله.

وقيل المعنى: لا يعلم ضمائر السموات والأرض إلا الله[١].

***

يقول تبارك- وتعالى- ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾[٢].

هل مرجع الضمير في (عِلْمُهُمْ) وفي (يَشْعُرُونَ) واحد أم لا؟ وكيف مطابقة الإضراب (بَلِ ادَّارَكَ) لما قبله وما بعده من الإضرابين؟ وكيف وصفهم بنفي الشعور ثم بكمال العلم، ثم بالشك، ثم بالعمى؟!!

والجواب: أن مرجع الضمير في (عِلْمُهُمْ) هو: للكفار فقط؛ وفي (يَشْعُرُونَ) لجميع من في السموات والأرض. وقوله- تعالى- (بَلِ ادَّارَكَ) معناه: بل تتابع وتلاحق واجتمع منهم العلم حتى كمل علمهم في الآخرة بما اختبروا به في الدنيا؛ فهو على لفظ الماضي، والمراد به: الاستقبال، أي: يتدارك، كقوله- تعالى- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا ﴾[٣]. وأصله: تدارك، فأدغم التاء في الدال؛ ومن قرأ (أدرك)[٤] فمعناه: سيدرك علمهم هذه

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٨.

(٢) الآيتان (٦٥، ٦٦) من سورة النمل.

(٣) من الآية (٣٨) من سورة الأعراف.

(٤) فتح القدير ٤/ ١٤٧ ط. دار الفكر.

الأشياء في الآخرة؛ فلم يشكوا ولم يختلفوا حين لا ينفعهم اليقين، أي: علموا في الآخرة ما شكوا فيه وعموا عنه في الدنيا.

وقيل: إن هذا على وجه الاستفهام؛ فحذف الألف؛ والمراد به النفي، بمعنى: أنه لم يدرك علمهم بالآخرة ولم يبلغهم علمهم.

وقيل: معناه أدرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا ونظروا؛ لأن العقل يقتضي الجزاء، وإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بد من دار للجزاء.

وقيل المعنى: بل تدارك ظنهم وحَدْسُهم في الحكم على الآخرة؛ فتارة يقولون كائنة؛ وتارة يقولون لا تكون.

وقيل: إن الآية إخبار عن ثلاث طوائف: طائفة أقرت بالبعث، وطائفة شكت فيه، وطائفة نفته؛ كما قال: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴾[1].

وقوله (بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ) أي: بل هم اليوم في شك من الساعة؛ (بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ) أي: عن معرفتها، وهو جمع عمى؛ والأعمى القلب لتركه التدبر والنظر.

ومطابقة الإضراب الأول لما قبله: أن الذين لا يشعرون متى وقت البعث؟ لما كانوا فريقين: فريق منهم لا يعلمون وقت البعث مع علمهم

---

(١) الآية (٥) من سورة ق.

أنه يوجد لا محالة؛ وهم المؤمنون، وفريق منهم لا يعلمون وقته لإنكارهم أصل وجوده.

وأفرد الفريق الثاني بالذكر بقوله- تعالى- ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾. تأكيداً لنفي علمهم في الدنيا، كأنه- تعالى- قال: بل فريق منهم لا يعلمون شيئاً من أمر البعث في الدنيا أصلاً؛ ثم أضرب عن الإخبار بتتابع علمهم وتلاحقه بحقيقة البعث في الآخرة إلى الإخبار عن شكهم في الدنيا في أمر البعث والساعة، مع قيام الأدلة الشرعية على وجودها لا محالة. وأما وصفهم بنفي الشعور ثم بكمال العلم، ثم بالشك، ثم بالعمى، فلا تناقض فيه، لاختلاف الأزمنة؛ أو لاختلاف متعلقات تلك الأمور الأربعة، وهي الشعور، والعلم، والشك والعمى[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦ ﴾[2].

القضاء والحكم شيء واحد، فكيف جمع بينهما؟

والجواب: أن الحكم بمعنى: العدل والحق والمحكوم به؛ والمعنى: إن ربك يقضي بينهم بعدله المعروف المألوف، لأنه لا يقضي إلا بالحق،

---

(١) مسائل الرازي ٢٥٩، زاد المسير ٦/ ١٨٨، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٢٤٤.

(٢) من الآية (٧٨) من سورة النمل.

وبالعدل فسمى المحكوم به حكماً.

***

وقيل المعنى: إن ربك يقضي بينهم بحكمته، ويدل على قراءة من قرأ: (بحكمه) جمع: حكمة [١].

قال الله- تعالى- ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا ﴾[٢].

هذه الآية يدل ظاهرها على أن الحشر خاص بهؤلاء الأفواج المكذبة؛ وقوله بعد هذا بقليل ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾[٣]. يدل على أن الحشر عام، كما صرحت به الآيات القرآنية عن كثرة فكيف الجمع بينها؟

والجواب: هو ما بينه الآلوسي في تفسيره من أن قوله ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ يراد به الحشر العام؛ وقوله ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا ﴾ أي: بعد الحشر العام: يجمع الله المكذبين للرسل من كل أمة لأجل التوبيخ المنصوص عليه بقوله: ﴿أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤]. فالمراد بالفوج من كل أمة: الفوج المكذب للرسل يحشر للتوبيخ حشراً خاصاً، فلا ينافي حشر الكل لفصل القضاء، وهذا الوجه

---

(١) مسائل الرازي ٢٦٠، والفتوحات ٣/ ٣٢٦.

(٢) من الآية (٨٣) من سورة النمل.

(٣) من الآية (٨٧) من السورة السابقة.

(٤) من الآية (٨٤) من سورة النمل.

أحسن من تخصيص الفوج بالرؤساء كما ذهب إليه بعضهم[١].

***

يقول المولى- عز وجل-﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٢].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ لم يراع المقابلة فيقول: والنهار مبصراً فيه؟

الثاني: كيف قصر معرفة الآيات على القوم المؤمنين؛ مع أن في ذلك علامات لجميع العقلاء؟

والجواب عن الأول: أنه راعى المقابلة المعنوية دون اللفظية؛ لأن معنى مبصراً؛ ليبصروا فيه.

والجواب عن الثاني: أنه إنما خصهم بالذكر لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم[٣].

***

قال الله- تعالى-﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي

(١) انظر: دفع إيهام الاضطراب ص ٢٢٧.

(٢) الآية (٨٦) من سورة النمل.

(٣) مسائل الرازي ٢٦٠.

﴿ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ﴾[١].

وهنا يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قال (فَفَزِعَ) والظاهر المناسب فيفزع؟

الثاني: كيف عَمَّمَ بقوله (وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ) مع أن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يأتونه أعزة مكرمين، لا أذلة صاغرين؟

والجواب عن الأول: أنه إنما عبّر بالماضي مع كونه معطوفاً على مضارع للدلالة على تحقق الوقوع؛ لأن الفعل الماضي يدل على الثبوت والتحقق قطعاً؛ أي تحقق الفزع وثبوته، وأنه كائن لا محالة.

وقيل: هو محمول على المعنى؛ لأن المعنى: إذا نفخ[٢].

والجواب عن الثاني: أن المراد به صغر العبودية والرق؛ والهيبة من الجبار وذلّهم له، لا ذُلّ الذنوب والمعاصي، وذلك يعم الخلق كلهم من عصاة وطائعين. ونظيره قوله- تعالى- ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾[٣].

***

(١) الآية (٨٧) من سورة النمل.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٠، وفتح القدير ٤/ ١٥٥.

(٣) مسائل الرازي ٢٦٠، والفتوحات ٣/ ٣٣١.

قال الله- جل شأنه- ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾[١].

وقال- جل وعلا- ﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ . ﴾[٢].

وقال- سبحانه- ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ﴾[٣].

وقال- عز وجل- ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾[٤].

ويقول- تعالى- ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾[٥].

فالآية الأولى: تدل بظاهرها على أن الجبال يظنها الرائي ساكنة وهي تسير!!! والآيات التي تلتها تدل على أن الجبال راسية، والراسي هو: الثابت في محل، فما طريق الجمع بينها؟

والجواب: أن رسوّ الجبال ورسوخها في الدنيا؛ وأن تحركها ومرورها في الآخرة. بدليل قوله- قبل ذلك- ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ ﴾. ثم عطف على ذلك قوله- ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾. الآية. ومما يدل على ذلك: بعض النصوص القرآنية التي تدل على أن سير الجبال إنما يكون يوم القيامة؛ منها قوله- تعالى- ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً

---

(١) من الآية (٨٨) من سورة النمل.

(٢) من الآية (١٥) من سورة النحل.

(٣) من الآية (١٩) من سورة الحجر.

(٤) من الآية (٢٧) من سورة المرسلات.

(٥) من الآية (٣٢) من سورة النازعات.

وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (١). وقوله: ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ (٢).

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (٣).

قال- عز من قائل- ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴾ (٤).

كيف أثبت الفزع في الآية الأولى، ونفاه في الثانية؟

والجواب: أن الفزع الأول هو: ما لا ينفك منه أحد إلا من شاء الله، وهو الإحساس بشدة تقع، وهو يفجأ من رعب وهيبة عند مشاهدة الأهوال.

أما الفزع الثاني: فهو الخوف من العذاب، وهذا الصنف من الناس: هم منه آمنون (٥).

---

(١) الآية (٤٧) من سورة الكهف.

(٢) الآية (٢٠) من سورة النبأ. وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ٢٢٨.

(٣) من الآية (٨٧) من سورة النمل.

(٤) الآية (٨٩) من السورة السابقة.

(٥) تفسير الخازن ٣/ ٣٩٥.

سورة القصص

قال الله- جل شأنه- ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[1].

وهنا تبرز أسئلة ثلاثة:

الأول: كيف يأمرها بإرضاعه، وهي ترضعه- بالفطرة والطبع- سواء أُمرت بذلك أم لا؟

الثاني: أن الشرط إذا تعلق به جزاءان، صدق مع كل واحد منهما- وحده- فيئول هذا إلى صدق قوله: فإذا خفت عليه فلا تخافي!!! فكيف ذلك؟

الثالث: ما الفرق بين الخوف والحزن حتى عطف أحدهما على الآخر؟

والجواب عن الأول: أنه أمرها بإرضاعه ليألف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها- بعد وقوعه في يد فرعون- فلو لم يأمرها بإرضاعه، ربما كانت تسترضع له مرضع، فيفوت ذلك المقصود.

---

(١) الآية (٧) من سورة القصص.

والجواب عن الثاني: أن المعنى فإذا خفت عليه من القتل فألقيه في اليم؛ ولا تخافي عليه من الغرق، ولا تناقض بينهما.

والجواب عن الثالث: أن الخوف غم يصيب الإنسان لأمر يتوقعه في المستقبل، والحزن غم يصيبه لأمر قد وقع ومضى[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2].

إن القتل لا يخلو من أن يكون مستحقاً أو غير مستحق، فإن كان غير مستحق؛ فالأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- لا يجوز عليهم ذلك: لا قبل النبوة ولا بعدها، وإن كان مستحقّاً؛ فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه؟

والجواب: أن القتل كان مستحقّاً، لأن نصر المظلوم دين في الملل كلها؛ وفرض في جميع الشرائع، وهذا القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من أراد ظلمه والبغي عليه، ودفع المكروه عنه. ولم يكن

---

(١) مسائل الرازي ٢٦١.

(٢) الآية (١٥، ١٦) من سورة القصص.

مقصوداً في نفسه، وكل فعل وقع على هذا الوجه: فهو حسن غير قبيح؛ سواء كان القاتل مدافعاً عن نفسه أو عن غيره، وإنما عده موسى- عليه السلام- من عمل الشيطان؛ وسماه ظلماً واستغفر منه؛ على عادتهم في استعظام محقرات ما فرطت منهم. وكل ما حدث منه: إنما هو القتل قبل أن يؤذن له فيه؛ فكان ذلك ذنباً يستغفر منه مثله، إذ ليس لنبي أن يقتل ما لم يؤمر؛ ويكون هذا كما قال آدم- عليه السلام وزوجه- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾[1].

هذا إن قلنا إن ذلك كان بعد النبوة. أما إن قلنا إنه كان قبل النبوة؛ فالأمر أهون من هذا وأيسر. يقول الله- تعالى- ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[2].

***

قال- سبحانه- ﴿ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾[3].

---

(١) من الآية (٢٣) من سورة الأعراف، وانظر مسائل الرازي ٢٦١، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٢٧٣ وتفسير البيضاوي ٢/ ١٨٩.

(٢) الآيات من (١٩-٢١) من سورة الشعراء؛ وانظر مسائل الرازي ٢٦١، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٢٧٣ وتفسير البيضاوي ٢/ ١٨٩.

(٣) من الآية (٢٥) من سورة القصص.

إن موسى- عليه السلام- ما سقى لابنتي الشيخ الكبير- عليه السلام- طلباً للأجر، فكيف أجاب دعوتها؟

والجواب: أنه يجوز أن يكون قد أجاب دعوتها، ودعوة أبيها لوجه الله- تعالى- على سبيل البر والمعروف ابتداءً، لا على سبيل الجزاء- وإن سمته جزاء- ويؤيد هذا ما روي أنه لما قدم إليه الطعام امتنع وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً؛ ولا نأخذ على المعروف أجراً، حتى قال له شعيب- عليه السلام- هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا.

وقيل: إن طلب الأجر عند شدة الفاقة غير منكر، ويشهد لصحته قوله ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾[2].

كيف يصح مثل هذا النكاح، وهو فاسد لجهالة المنكوح؟

والجواب: أن ذلك كان وعداً بنكاح معينة عند الواعد، وإن كانت مجهولة عند الموعود، ومثله جائز، ويكون التعيين عند إنجاز الوعد كما

(١) من الآية (٧٧) من سورة الكهف، وراجع: مسائل الرازي ٢٦١، ٢٦٢، والفتوحات الإلهية ٣/ ٣٤٤.

(٢) من الآية (٢٧) من سورة القصص.

وقع منه [١].

***

قال الله- عز وجل- ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ﴾ [٢].

ما العلاقة بين ضم الجناح والرهب؟

والجواب: أنه لما رهب من الحية، أمره الله- تعالى- أن يضم إليه جناحه ليذهب عنه الفزع، وإنما قال- تعالى- (مِنَ ٱلرَّهۡبِ): لأنه جعل الرهب الذي أصابه علة وسبباً لما أمر به من ضم الجناح. قال مجاهد: كل من فزع من شيء فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع.

وقيل: حقيقة ضم الجناح غير مرادة؛ بل هو مجاز عن تسكين الروع؛ وتثبيت الجأش. قال أبو علي: لم يرد به الضم بين شيئين؛ وإنما أمر بالعزم والجد في الإتيان بما طلب منه؛ ومثله قولهم: اشدد حيازيمك [٣]. للموت؛ فليس فيه شد حقيقة، وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: ولى مدبراً من الرهب [٤].

***

---

(١) مسائل الرازي ٢٦٢.

(٢) من الآية (٣٢) من سورة القصص.

(٣) أي: موضع الحزام: والمراد: التجلد لما هو آت، لسان العرب (حزم).

(٤) مسائل الرازي ٢٦٢-٢٦٣.

قال الله- تعالى- ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾(١).

أي فائدة في تصديق هارون لموسى- عليهما السلام-؟

الجواب: أنه ليس مراده بقوله ﴿ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ ؛ أن يقول له: صدقت في دعوى الرسالة؛ فإن ذلك لا يفيده عند فرعون وقومه الذين كانوا لا يصدقونه مع وجود تلك الآية الباهرة، والمعجزات الظاهرة، بل مراده: أن يلخص حججه بلسانه ويبسط القول فيها ببيانه، ويجادل عنه بالحق؛ فيكون ذلك سبباً لتصديقه؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿ وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾(٢).

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾(٣).

نفى كونه بجانب الغربي مغن عن نفي كونه من الشاهدين؛ فكيف جمع بينهما؟

والجواب: أن المراد وما كنت بجانب الوادي الغربي إذ أحكمنا إليه

---

(١) من الآية (٣٤) من سورة القصص.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٣.

(٣) الآية (٤٤) من سورة القصص.

الوحي؛ وما كنت من الشاهدين قصته مع شعيب- عليهما السلام- فاختلفت القضيتان [1]. وهذا ليس بصحيح؛ إذ لم يجر لشعيب- عليه السلام- هنا ذكر.

وقيل: إن المراد بالشاهدين: الذين اختارهم موسى- عليه السلام- لميقات ربه؛ وعليه: فلا يلزم من نفي كونه بجانب الغربي، نفي كونه من الشاهدين لجواز أن يكون هناك، ولا يكون من الشاهدين [2].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴾ [3].

الذي يرى العذاب يكون ضالاً لا مهتدياً؛ فلِمَ قال ذلك؟

والجواب: أن جواب لو محذوف؛ تقديره: ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون لما اتبعوهم، أو: لما رأوا العذاب.

وقيل: إن (لَوْ) للتمني، أي: تمنوا حين عاينوا العذاب: أنهم كانوا مهتدين في الدار الدنيا [4].

***

(١) مسائل الرازي ٢٦٣.

(٢) الفتوحات الإلهية ٣/ ٣٥١.

(٣) من الآية (٦٤) من سورة القصص.

(٤) فتح القدير ٤/ ١٨٢، فتح البيان ٧/ ١٦٨.

قال الله- عز وجل- ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1].

وعلى هاتين الآيتين: ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لماذا لم يقابل الليل بالنهار- وهو أظهر مناسبة- وقابله بالضياء.

الثاني: لِمَ لم يصف الضياء بما يقابل السكون، كأن يقول بضياء تتحركون فيه وتتصرفون؟

الثالث: كيف قرن بالضياء قوله: (أَفَلَا تَسْمَعُونَ)، وبالليل قوله (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) والظاهر: العكس؟

والجواب عن الأول: أنه لم يقابل الليل بالنهار؛ وقابله بالضياء؛ لأن نفع النهار إنما هو بضيائه، بخلاف الليل، فإن نفعه ليس مقصوراً على ظلمته، بل لا يخلو عن النفع سواء أظلم أم استنار.

والجواب عن الثاني: أنه لو وصفه بما ذكر، لدل على الامتنان بما فيه من التصرف لا به نفسه، وأنه تبع، وليس كذلك، بل منافع الضوء أكثر مما

---

(١) الآيتان (٧١، ٧٢) من سورة القصص.

يقابله، فهو نعمة في ذاته، مقصود بنفسه. وأما ظلمة الليل: فليست مقصودة في نفسها، بل بما فيها من الهدوء والستر والراحة[١].

والجواب عن الثالث: أن السماع والإبصار المذكوران لا تعلق لهما بظلمة الليل؛ ولا بضياء النهار؛ فلذلك لم يقرن الإبصار بالضياء؛ وبيانه: أن معنى الآيتين: أفلا يسمعون القرآن سماع فهم وقبول وتأمل وتدبر، فيستدلوا بما فيه من الحجج على توحيد الله- تعالى- أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ والضلالة[٢]؟

وقيل: إنما قرن- سبحانه- بالضياء قول: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من درك منافعه ووصف فوائده، وقرن بالليل قوله ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأن البصر يدرك ما لا يدركه السمع من ذلك[٣].

ولما كان مجرد الإبصار لا يفيد ما ذكر من الفهم والقبول والتدبر قال ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾؛ فهو توبيخ لهم على أبلغ وجه؛ ولما كانت منافع الضياء كثيرة لا يقف عليها العوام إلا بالسماع من الخواص؛ من نفع الإنسان في بقاء حياته، ونمو زروعه وثماره، ومعيشة دوابه، ذيل ذلك بقوله ﴿أَفَلَا

(١) البيضاوي ٢/ ٢٠٠، فتح القدير ٤/ ١٨٥، والفتوحات ٣/ ٣٦٠.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٤.

(٣) فتح القدير ٤/ ١٨٥.

تَسۡمَعُونَ) لأن استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر[١].

***

يقول المولى- عز وجل- ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾[٢].

كيف وجه صحة الاستثناء؟

والجواب: أنه من الاستثناء المنقطع، ومعناه: إلا أن ربك رحمك، وأنعم به عليك، وأراد بك الخير، أو: لكن إلقاؤه عليك رحمة من ربك.

وقيل: يجوز أن يكون استثناء متصلاً حملاً على المعنى، كأنه قال: وما ألقى إليك الكتاب إلا لأجل الرحمة من ربك. والأول أولى[٣].

***

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٢٠٠.

(٢) من الآية (٨٦) من سورة القصص.

(٣) مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٣٢٩، تفسير البيضاوي ٢/ ٢٠٣، ومسائل الرازي ٢٦٤.

سورة العنكبوت

قال الله- تعالى- ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾[١].

ما فائدة الاستثناء؟ وهلا قال: تسعمائة وخمسين عاماً على عادة أهل الحساب وكيف جاء المميز أولاً بلفظ السنة؛ والثاني: بلفظ العام؟

والجواب: أن في هذا التعبير فائدتين: إحداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق، وتركه قد يظن به التقريب، فهو كقول القائل: عاش مائة سنة، فقد يتوهم السائل أنه يقول: مائة سنة تقريباً لا تحقيقاً، فإذا قال مائة سنة إلا شهراً، أو إلا سنة، زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق.

الثانية: أنه لما كانت القصة مسوقة لتسلية النبي- صلى الله عليه وسلم- بذكر ما ابتلي به نوح- عليه السلام- من أمته، وكابده من طول مصابرتهم، وأنه لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم. فصبر في الدعاء ولم يؤمن من قومه إلا قليل. فأنت أولى بالصبر؛ لقلة مدة لبثك وكثرة من آمن بك. كان ذكر أقصى العدد الذي لا عقد أكثر منه في مراتب العدد أفخم وأعظم إلى الغرض المقصود، وهو استطالة السامع مدة

(١) من الآية (١٤) من سورة العنكبوت.

صبره[١].

وأما مجيء المميز أولاً بلفظ سنة، والثاني بلفظ عام؛ فلنكتتين لطيفتين: الأولى: لئلا يثقل اللفظ؛ لأن تكرار اللفظ الواحد مجتنب في مذهب الفصحاء والبلغاء، إلا أن يكون لغرض تفخيم، أو تهويل، أو تنويه، أو نحو ذلك.

الثانية: أنه خصص لفظ العام بالخمسين، إيذاناً بأن نبي الله نوحاً- عليه السلام- لما استراح منهم بقي في زمن حسن، والعرب تعبر عن الخصب بالعام، وعن الجدب بالسنة[٢].

***

قال الله- عز وجل- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾[٣].

كيف نكر الرزق ثم عرفه؟

والجواب: لأنه أراد أنهم لا يستطيعون أن يرزقوكم شيئاً من الرزق، فابتغوا عند الله الرزق كله، فإنه هو الرزاق وحده ولا يرزق غيره[٤].

***

(١) مسائل الرازي ٢٦٤-٢٦٥، وتفسير الخازن ٣/ ٤١٨.

(٢) الفتوحات ٣/ ٣٧٠، وتفسير الخازن ٣/ ٤١٨، ومسائل الرازي ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) من الآية (١٧) من سورة العنكبوت.

(٤) مسائل الرازي ٢٦٥.

قال الله- تعالى- ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[1].

وقال- سبحانه- ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾[2].

كيف أبرز اسمه- تعالى- ثم أضمره في الآية الأولى، وأضمره أولاً ثم أبرزه ثانياً في الآية الثانية؟ ولِمَ لم يقل (يُعِيدُهُۥ) كما في الأولى؟

والجواب: أنه أبرزه في الآية الأولى لأنه لم يسبق ذكر الله بفعل حتى يسند إليه البدء، وفي الآية الثانية، كان ذكر البدء مسنداً إلى الله- تعالى- فاكتفى به. وأما إظهاره عند الإنشاء ثانياً، فلتأكيد الإخبار عن الإعادة التي كانت هي المنكرة عندهم بالإفصاح باسمه- تعالى- في ذكرها. وجعله مبتدأ لزيادة الاهتمام بشأنها؛ وليقع في ذهن السامع كمال قدرته وعلمه وإرادته. ولم يقل: يعيده- كما في الآية الأولى- للتنبيه على أن البدء يسمى نشأة كالإعادة، والتغاير بينهما بالوصف حيث قالوا: نشأة أولى ونشأة أخرى[3].

***

(١) الآية (١٩) من سورة العنكبوت.

(٢) الآية (١٩) من السورة السابقة.

(٣) الفتوحات ٣/ ٣٧٢، ومسائل الرازي ٢٦٥.

قال الله -تعالى- ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1].

لِمَ قال في معرض المدح والامتنان ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ وأجر الدنيا فانٍ منقطع؛ بخلاف أجر الآخرة؛ فإنه باقٍ دائم، فكان أولى بالذكر.

والجواب: أن المراد به وآتيناه أجره في الدنيا مضموماً إلى أجره في الآخرة من غير أن ينقص من أجر الآخرة شيئاً. وإليه أشار بقوله- تعالى- ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يعني: له في الآخرة جزاء الصالحين وافياً كاملاً. وأجره في الدنيا: قيل هو الثناء الحسن من الناس، والمحبة من أهل الأديان. وقيل: البركة التي بارك الله فيه وفي ذريته[2].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[3].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف أشاروا إلى هذه القرية باسم الإشارة الموضوع للقريب، مع أنها كانت بعيدة عن موضع إبراهيم- عليه السلام-؟

---

(١) الآية (٢٧) من سورة العنكبوت.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٦.

(٣) من الآية (٣١) من سورة العنكبوت.

الثاني: لِمَ قالوا: (أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ) ومدائن لوط- عليه السلام- كانت خمساً فأهلكوا منها أربعاً؟

والجواب عن الأول: أنهم قالوا (هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ) لأنها كانت قريبة حاضرة بالنسبة إليهم، وإن كانت بعيدة بالنسبة إلى إبراهيم- عليه السلام-.

وقيل: إن قريتهم كانت قريبة من قرية قوم إبراهيم-عليه السلام-[1].

والجواب عن الثاني: أنهم اقتصروا في الذكر على قرية واحدة؛ لأنها كانت أكبر وأقرب؛ وهي سدوم مدينة لوط- عليه السلام- فجعلوا ما وراءها تبعاً لها في الذكر[2].

***

يقول الله- عز وجل- ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾[3].

يقال: فلان مستبصر: إذا كان عاقلاً لبيباً صحيح النظر، ولو كانوا كذلك لما عدلوا عن طريق الهدى إلى طريق الضلال؛ فلم قال ذلك؟

(١) مسائل الرازي ٢٦٦، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٣٥٧.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٦.

(٣) الآية (٣٨) من سورة العنكبوت.

والجواب: أن المعنى: كانوا مستبصرين في أمور الدنيا.

وقيل معناه: وكانوا عارفين الحق بوضوح الحجج والدلائل، ولكنهم كانوا ينكرونه متابعة للهوى، لقوله- تعالى- ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1].

وقيل معناه: أنهم كانوا مستبصرين عند أنفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبون أنهم على هدىً.

وقيل معناه: وكانوا مستبصرين بواسطة الرسل التي أرسلت إليهم[2].

***

يقول- جل شأنه- ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[3].

لِمَ قال (لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ) وكل أحد يعلم أن بيت العنكبوت أوهن البيوت؟

---

(١) من الآية (١٤) من سورة النمل.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٦، ومجمع البيان المجلد الخامس ٢٠/ ٣٦١، والفتوحات ٣/ ٣٧٦.

(٣) الآية (٤١) من سورة العنكبوت.

والجواب: أن (لو) متعلقة بقوله (ٱتَّخَذُواْ) أي: لو كانوا يعلمون أن اتخاذهم الأصنام أولياء من دون الله مثل اتخاذ العنكبوت بيتاً واهياً، لم يتخذوها أولياء، ولا يجوز أن تكون متعلقة بقوله: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لأنهم كانوا يعلمون أن بيت العنكبوت واهٍ ضعيف[١].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[٢].

لِمَ أمر بهذين الشيئين: تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط؟

والجواب: أن العبادة المختصة ثلاثة: قلبية، وهي الاعتقاد الحق، ولسانية: وهي الذكر الحسن، وبدنية: وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر، فإن من اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يعتقد مرة أخرى، بل ذلك يدوم مستمراً، فبقي الذكر والعبادة البدنية، وهما ممكنا التكرار، فلذلك أمر بهما[٣].

***

(١) مسائل الرازي ٢٦٦، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٣٦٢.

(٢) الآية (٤٥) من سورة العنكبوت.

(٣) تفسير الخازن ٣/ ٤٢٣.

قال الله- تعالى- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾[1].

كيف قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ وكلهم ظالمون، لأنهم كافرون، ولا ظلم أشد من الكفر ويؤيده قوله- تعالى- ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2].

والجواب: أن المراد بالظلم هنا: الامتناع عن قبول عقد الذمة وأداء الجزية، أو نقض العهد بعد قبوله.

وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله- تعالى- ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ . . . ﴾ الآية[3].

والصحيح أنها غير منسوخة، لأن الجدال على الوجه الحسن، هو الواجب الذي لا يجوز غيره.

وقيل المعنى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ﴾ بالعناد وكتمان صفة النبي- صلى الله عليه وسلم-.

وقيل: المعنى إلا الذين ظلموك في جدالهم، أو في غيره مما يقتضي

---

(١) من الآية (٤٦) من سورة العنكبوت.

(٢) من الآية (٢٥٤) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٩) من سورة التوبة.

الإغلاظ لهم، فيجوز أن يسلكوا معهم طريق الغلظة، وهذا أولى بالقبول[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[2].

وقال الله- عز وجل- ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾[3].

الآية الأولى تدل على أن بعض الكفار سيؤمن بالله تعالى، والآية الثانية- تدل بظاهرها- على أنهم لا يؤمنون بالله- سبحانه- ولا يعبدونه أبداً، فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أن الآية الثانية من العام المخصوص، فهي في خصوص طائفة يعلم الله من حالهم أنهم سيوافون على الكفر، ويكونون من الأشقياء، وهم المشار إليهم بقوله- جل جلاله- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4]. ويدل على هذا التخصيص، التعبير بمن في الآية الأولى.

---

(١) مسائل الرازي ٢٦٧، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٣٦٩.

(٢) من الآية (٤٧) من سورة العنكبوت.

(٣) الآية (٣) من سورة الكافرون.

(٤) دفع إيهام الاضطراب ص ٣٤٩ بتصرف.

وقيل: إن المخاطب بالآية الثانية: جنس الكفار- وإن أسلموا فيما بعد- فهو خطاب لهم- ما داموا كفاراً- فإذا أسلموا لم يتناولهم ذلك، لأنهم حينئذ مؤمنون لا كافرون.

ويعترض على هذا القول بأنه- إن أسلموا- تعارض حالهم مع تأكيد الإخبار بعدم عبادتهم. فالقول الأول هو المعتمد[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: ما فائدة قوله: ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾؟

الثاني: لِمَ لم يؤكد في التلاوة ويقول: وما كنت تتلو من قبله من كتاب بلسانك؟

والجواب عن الأول: أن فائدته تأكيد النفي، كما يقال في الإثبات للتأكيد: هذا الكتاب مما كتبه فلان بيده وبيمينه، ورأيت فلاناً بعيني، وسمعت هذا الحديث بأذني، ونحو ذلك، ففي ذكر اليمين، زيادة تصوير

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ٣٤٩ بتصرف.

(٢) من الآية (٤٨) من سورة العنكبوت.

للمنفي، ونفي للتجوز في الإسناد[١].

والجواب: عن الثاني: أن الأصل في الكلام عدم الزيادة، وكل ما جاء على الأصل، لا يحتاج إلى العلة، إنما يحتاج إلى العلة ما جاء على خلاف الأصل[٢].

يقول- سبحانه- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[٣].

من آمن بالباطل فقد كفر بالله، فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد؟

والجواب: نعم، له فائدة غير التأكيد، وهي أنه ذكر الثاني لبيان قبح الأول، فهو كقول القائل؛ أتقول الباطل وتترك الحق؛ لبيان أن الباطل قبيح؟[٤].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[٥].

كيف جعل الهداية من ثمرات المجاهدة، مع أن المجاهدة في دين

---

(١) مسائل الرازي ٢٦٧، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٠/ ٣٦٩.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٧.

(٣) الآية (٥٢) من سورة العنكبوت.

(٤) تفسير الخازن ٣/ ٤٢٥.

(٥) الآية (٦٩) من سورة العنكبوت.

الله- تعالى-، أو مع أعداء الدين؛ كل ذلك إنما يكون بعد تقدم الهداية من الله- تعالى-؟

والجواب: أن المعنى: والذين جاهدوا في طلب التعلم لنهدينهم سبلنا بمعرفة الأحكام وحقائقها.

وقيل: المعنى: لنهدينهم طريق الجنة.

وقيل المعنى: والذين جاهدوا لتحصيل درجة؛ لنهدينهم إلى درجة أخرى أعلى منها. وحاصله: لنزيدنهم هداية وتوفيقاً للخيرات؛ كقوله- تعالى- ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾[١]. وقوله- تعالى- ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾[٢].

وقيل المعنى: والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا.

وعن بعض الحكماء: من عمل بما علم، وُفق لما لا يعلم.

وقيل: إن الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم؛ هو من تقصيرنا فيما نعلم[٣].

***

(١) من الآية (١٧) من سورة محمد.

(٢) من الآية (٧٦) من سورة مريم.

(٣) مسائل الرازي ٢٦٧-٢٦٨.

سورة الروم

قال الله- تعالى- ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1].

كيف نفى عنهم العلم في الآية الأولى؛ وأثبته لهم في الآية الثانية؟

والجواب: أن المنفي عنهم: العلم الحقيقي الذي يتعلق بالآخرة. والمثبت لهم: العلم الظاهري الذي يتعلق بالدنيا وزخرفها. وفي هذا: إشارة إلى أن العلم الظاهري الذي يتعلق بالدنيا هو عدم العلم الذي هو والجهل سواء.

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2].

ويقول- جل وعلا- ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[3].

وهنا ترد ثلاثة أسئلة:

---

(١) الآيتان (٦، ٧) من سورة الروم.

(٢) الآية (٢٧) من السورة السابقة.

(٣) من الآية (١١) من سورة الشورى.

الأول: لِمَ ذكّر الضمير في الآية الأولى وهو راجع إلى الإعادة؟

الثاني: لماذا قال: (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) والأفعال كلها بالنسبة إلى قدرة الله- تعالى- سواء في السهولة، وإنما تتفاوت في السهولة والصعوبة بالنسبة إلى قدرتنا؟

الثالث: كيف التوفيق بين الآية الأولى التي تثبت المثل لله- عز وجل- وبين الآية الثانية التي تدل على نفي المثل؟

والجواب عن الأول: أنه ذكره نظراً إلى المعنى دون اللفظ وهو: رجعه أورده، كما نظر إليه في قوله- تعالى-﴿ لِنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾[1]. أي: مكاناً ميتاً؛ أو: تذكيره باعتبار الخبر[2].

والجواب عن الثاني: أن المعنى: وهو هيّن عليه. وقد جاء في كلام العرب: أفعل بمعنى، اسم الفاعل من غير تفضيل. ومنه قولهم في الأذان: الله أكبر، أي الله كبير في قول البعض.

وقيل المعنى: وهو أهون عليه في تقديركم وحكمكم؛ لأنكم تزعمون وتعتقدون فيما بينكم أن الإعادة أهون من الابتداء. كيف وأن الابتداء من ماء، والإعادة من تراب، وتركيب الصورة من التراب أهون

---

(١) من الآية (٤٩) من سورة الفرقان.

(٢) الفتوحات ٣/ ٣٩٠، ومسائل الرازي ٢٦٨.

عندكم؟!

وقيل: إن الضمير في قوله- ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ راجع إلى المخلوق فيه ولا إبطاء؛ لأن إعادته دفعة واحدة ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [١]. وفي الابتداء: خُلق نطفة؛ ثم نقل إلى مضغة، ثم إلى عظام؛ ثم إلى كسوة اللحم.

وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هينة. وروى البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول الله- تعالى- كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد [٢].

والجواب عن الثالث: أن المراد بالمثل الأعلى في قوله ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ المثل الذي يكون مساوياً في بعض الصفات الخارجية عن الماهية، والمعنى: وله الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله، ولا يشاركه فيه أحد، وقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أي: ليس له نظير، أو ليس لذاته- سبحانه- مثل، فقد ظهر بهذا التفسير، معنى الآيتين، وحصل الفرق

---

(١) من الآيتين (٤٠، ٨٢) من سورتي النحل ويس.

(٢) مسائل الرازي ٢٦٩، وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٢.

بينهما[١].

***

قال الله- تعالى- ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[٢].

وقال- صلوات الله وسلامه عليه- «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» الحديث.

وقال- تبارك وتعالى- ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[٣].

المفهوم من الآية الأولى أن النبي- صلى الله عليه وسلم- فطر على هذا الدين الحنيف. ومعلوم أن أبويه لم يهوداه، ولم ينصراه، ولم يمجساه، بل لم يزل باقياً على الفطرة حتى بعثه الله رسولاً. ولا أدل على ذلك من أن الوحي نزل عليه لأول مرة وهو يتعبد في غار حراء، فذلك التعبد قبل نزول الوحي دليل على البقاء على الفطرة.

والآية الثانية يوهم ظاهرها خلاف ذلك، حيث إن أكثر معاني الضال- كما وردت في القرآن الكريم، لا تليق نسبتها إلى جانب النبي-

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ٢.

(٢) من الآية (٣٠) من سورة الروم.

(٣) من الآية (٧) من سورة الضحى.

صلى الله عليه وسلم- فكيف ذلك؟

والجواب: أن المراد: أنه- تعالى- وجده ضالاً عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، وغافلاً عما تعلمه من الشرائع وأسرار علوم الدين، ومثل ذلك لا يهتدى إليه بالفطرة، ولا يكفي العقل في إدراكه، فهداه الله إلى علم هذا بالوحي. فالضلال بمعنى: الذهاب عن العلم بأحكام الدين، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾(١). لأن المراد بالإيمان: شرائع دين الإسلام، وقوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾(٢). أي: عن أصول الدين وشرائعه.

ومن استعمال الضلال بمعنى الذهاب عن العلم، قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾(٣).

وقيل: إنه ضل- وهو صغير- في شعاب مكة، فرده الله- تعالى- إلى جده عبد المطلب، فمعنى (فهدى) أي: ردك إلى جدك.

وقيل: ضل في ذهابه في صغره إلى الشام.

وقيل المعنى: وجدك متحيراً لا تعرف وجوه معاشك، فهداك إلى وجوه معاشك، فإن الرجل إذا لم يهتد إلى طريق كسبه ووجه معيشته،

---

(١) من الآية (٥٢) من سورة الشورى.

(٢) من الآية (٣) من سورة يوسف.

(٣) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

يقال: إنه ضال لا يدري إلى أين يذهب، ومن أي وجه يكتسب.

وهذه الأقوال الثلاثة، التكلف فيها ظاهر، ولا تقابل بينها وبين المفهوم من الآية الأولى. ولا يصلح أي منها أن يكون منة على النبي - صلى الله عليه وسلم - خاصة.

وقيل: معنى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: وجدك متحيراً في طلب ما تتوجه به إلى ربك حتى هداك الله لدينه.

وقيل: المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك إليه بإتمام العقل، ونصب الأدلة، حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين، وذلك منة من الله - سبحانه - عليك. ويكون الضلال بمعنى الضياع.

وهذا يرجع إلى القول الأول، حيث إن نصب الأدلة، ومعرفة الله بصفاته، لا يكون إلا عن طريق الوحي.

وقيل: المعنى وجدك طالباً للقبلة فهداك إليها، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾(١). ويكون الضلال بمعنى الطلب، لأن الضال طالب.

وقيل المعنى: وجدك محبّاً للهداية فهداك إليها، ويكون الضلال

---

(١) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة.

بمعنى المحبة، كما قال تعالى- ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾[١].
أي: في محبتك.

وجعل الضلال بمعنى الطلب أو المحبة تخصيص بلا مخصص.

وقيل المعنى: ووجدك جاهلاً فعلمك.

وهذا- أيضاً- يرجع إلى القول الأول- فتعليمه- صلى الله عليه وسلم- إنما كان بالوحي الإلهي. وهذا الجهل لا يقدح في الفطرة التي خلق عليها[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾[٣].

ما فائدة قوله- تعالى- (مِّن قَبْلِهِۦ) بعد قوله- تعالى-(مِن قَبْلِ)؟

والجواب: أن الضمير في (مِّن قَبْلِهِۦ) راجع إلى المطر، وفائدة التكرار التأكيد والإعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار، ولولاه لفهم أن المدة طويلة بين النزول والإبلاس، أي: وإن الشأن كانوا

---

(١) الآية (٩٥) من سورة يوسف.

(٢) مسائل الرازي ٣٧٥-٣٧٦، وتفسير الخازن ٤/ ٣٨٧، وفتح القدير ٥/ ٤٥٨.

(٣) الآية (٤٩) من سورة الروم.

من قبل التنزيل عليهم من قبل المطر لآيسين بائسين.

وقيل: إن الأول من قبل الإنزال للمطر، والثاني: من قبل الإرسال للرياح [١].

***

قال الله- تعالى-﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾[٢].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف نفى السمع عن الموتى، وقد قال- صلى الله عليه وسلم- في أهل القليب: «ما أنتم بأسمع منهم» وما في مسلم، من أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا [٣].

الثاني: كيف قيد عدم سماع الصم بالدعاء بقوله: (إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ) والأصم لا يسمع مقبلاً أو مدبراً؟

والجواب عن الأول: أن البعض قد ذهبوا إلى أن الميت لا يسمع، وأن كلام الرسول- صلى الله عليه وسلم- للموتى كان معجزة؛ وما في

---

(١) مسائل الرازي ٢٧٠، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢١/ ٣٨.

(٢) الآية (٥٢) من سورة الروم.

(٣) سبق تخريج الحديثين.

مسلم من أن الميت يسمع قرع نعالهم، فلربما يكون ذلك في أول عهده بالقبر للسؤال.

ويمكن أن يقال: لما كان الأموات يسمعون ولا يجيبون، وهؤلاء يسمعون ولا يجيبون؛ شبهوا بهم.

والجواب عن الثاني: أن الأصم المقبل؛ وإن لم يسمع الكلام؛ لكنه يفطن منه بواسطة الحركات شيئاً، فقيد الحكم بالتولي مبالغة في عدم السماع؛ وبيان أن تأثير الموعظة في مثلهم مستحيل في العادة.

***

قال الله- تعالى- ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[1].

الضعف: صفة الشيء الضعيف؛ فكيف أخبر بخلق الإنسان من تلك الصفة، مع علمنا بأنه خلق من عين وهو: التراب أو الماء لا من صفة؟

والجواب: أنه أطلق المصدر وهو الضعف، وأراد به اسم الفاعل وهو الضعيف، كقولهم: رجل عدل، عادل ونحوه، فمعناه: من ضعيف وهو النطفة.

وقيل معنى ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾: على ضعف، فمن بمعنى على، كما في

(١) من الآية (٥٤) من سورة الروم.

قوله- تعالى- ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾(١). والمراد به: ضعف جثة الطفل حال طفوليته.

وقيل: في الكلام حذف تقديره: الله الذي خلقكم من ماء ذي ضعف، فحذف الموصوف وأقام صفته مقامه(٢).

* * *

يقول المولى- جل وعلا- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾(٣).

كيف قالوا ﴿ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ وهم إنما لبثوا- في الأرض- في قبورهم؟

والجواب: أن المعنى: لقد لبثتم في قبوركم على ما في علم كتاب الله، أو في خبر كتاب الله، أو في قضاء الله.

وقيل: فيه تقديم وتأخير تقديره: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله الذين علموه وفهموه، وذلك كقوله- تعالى- ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا

---

(١) من الآية (٧٧) من سورة الأنبياء.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٠، والخازن ٣/ ٤٣٧.

(٣) من الآية (٥٦) من سورة الروم.

وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[١].

***

يقول- تبارك وتعالى- ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾[٢].

وقال- جل شأنه- ﴿ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾[٣].

وقال- عز وجل- ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[٤].

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: كيف التوفيق بين الآية الأولى التي تدل على وجود الاعتذار، والآية الثالثة التي تنفي وجوده منهم، لأن الاعتذار إنما يكون بالنطق؟

الثاني: كيف التوفيق بين الآية الأولى والثانية، وقد جعلهم مرة طالبين الإعتاب، ومرة مطلوباً منهم؟

والجواب عن الأول: أن المراد بالآية الأولى: الظالمون من المسلمين،

---

(١) من الآية (١٠٠) من سورة المؤمنون، وانظر مسائل الرازي ٢٧٠.

(٢) الآية (٥٧) من سورة الروم.

(٣) الآية (٢٤) من سورة فصلت.

(٤) الآيتان (٣٥، ٣٦) من سورة المرسلات.

والمراد بالآية الثالثة: الكافرون[1].

ولكن الوعيد في الآية لا يناسب عصاة المسلمين، إذ قبل التعقيب به: ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

ولعل المراد بالآية الأولى: أن الاعتذار لا ينفعهم على تقدير وقوعه.

وقيل: يوم القيامة طويل، فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في آخر.

والجواب عن الثاني: أن معنى (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) أي: لا يطلب منهم ولا يُدْعون إلى ما يقتضي إعتابهم، أي: إزالة عتبهم من التوبة والطاعة والرجوع إلى الحق كما دعوا إليه في الدنيا من قولهم: استعتبني فلان فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته.

ومعنى ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ أي: وإن يسألوا ويطلبوا العتبى- وهي الرجوع إلى الدنيا ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ﴾ المجابين لها، وهذا كقوله- تعالى- ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[3].

---

(١) مسائل الرازي ٣٦٣.

(٢) من الآية (٥٦) من سورة الروم.

(٣) الآيات من (١٠٦-١٠٨) من سورة المؤمنون.

أو أن المعنى: وإن طلبوا أن يستعتبوا ويبدوا أعذاراً راجين رضا الله- عز وجل- فما هم من المعتبين، إذ ليس لهم طريق إلى الإعتاب، فما هم ممن يقبل عذرهم ويرضى عنهم. وتقدير الآية: أنهم إن صبروا وسكتوا، أو لم يصبروا وجزعوا؛ فالنار مأواهم لا محيد لهم عنها، ولا خروج لهم منها. كما قال- سبحانه- ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1]. ونظيره قوله- تعالى-﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾[2].

والمعتب: هو الذي يُقبل عتابه، ويُجاب إلى ما سأل. وقُرئ (وإن يُستعتبوا) مبنياً للمفعول[3]. ﴿ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ اسم فاعل؛ أي: إنهم إن أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته؛ كما في قوله- تعالى-﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾[4].

وكان الأولى بالسؤال أن يكون: كيف التوفيق بين الآيتين على قراءة البناء للمفعول في الآية الثانية، إذ لا إشكال على قراءة البناء للفاعل.

***

---

(١) الآية (١٦) من سورة الطور.

(٢) من الآية (٢١) من سورة إبراهيم.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن ٨/ ٣٢٧.

(٤) البيضاوي ٢/ ٣٤٧، ٢/ ٢٢٥، وابن كثير ٣/ ٢٦١، فتح القدير ٤/ ٥١٢، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٤/ ١٧.

سورة لقمان

قال الله- تعالى- ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

وقال- تعالى- ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ. . . ﴾[2].

وعلى هذه الآيات ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لماذا وقعت الوصية بالوالدين في أثناء وصية لقمان لابنه، وما الجامع بينهما؟

الثاني: كيف اعترض بين الوصية ومفعولها؟

---

(١) الآيات من (١٣-١٦) من سورة لقمان.

(٢) من الآية (٢٢) من سورة المجادلة.

الثالث: كيف التوفيق بين الآيات الأول، والتي فيها دلالة على بر الوالدين الكافرين، وبين الآية الثانية، التي يفهم منها خلاف ذلك؟

والجواب عن الأول: أن آيتي الوصية جاءتا معترضتين في تضاعيف وصية لقمان، تأكيداً لما فيها من النهي عن الشرك، كأنه قال: وقد وصينا بمثل ما وصى به، وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك، فإنهما مع أنهما تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة، لا يجوز أن يستحقا في الإشراك؛ فما ظنك بغيرهما؟[1]

والجواب عن الثاني: أنه لما وصى بالوالدين، ذكر ما تكابده الأم خاصة وتعانيه من المشاق والمتاعب تخصيصاً لها بتأكيد الوصية، وتذكير تعظيم حقها بإفرادها بالذكر. ومن هنا قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- لمن قال له: من أبر؟ قال: «أمك» ثم «أمك» ثم «أمك» ثم قال بعد ذلك «أباك»[2].

والجواب عن الثالث: أن المصاحبة بالمعروف أعم من الموادة؛ لأن الإنسان يمكنه إسداء المعروف لمن يوده ومن لا يوده. والنهي عن الأخص لا يستلزم النهي عن الأعم. فكأن الله حذر من الموادة المشعرة

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٢٢٩.

(٢) فتح المنعم ٢/ ١٤، ط. مكتبة الجامعة الأزهرية، ومسائل الرازي ٢٧٢.

بالمحبة والموالاة بالباطن لجميع الكفار يدخل في ذلك الآباء وغيرهم. وأمر الإنسان بأن لا يفعل لوالديه إلا المعروف. وفعل المعروف لا يستلزم المودة؛ لأن المودة من أفعال القلوب لا من أفعال الجوارح. ومما يدل على ذلك: إذنه- صلى الله عليه وسلم- لأسماء بنت أبي بكر الصديق- رضي الله عنهما- أن تصل أمها وهي كافرة. وقال بعض العلماء: إن قصتها سبب لنزول قوله- تعالى-﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

***

يقول المولى- سبحانه-﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف عمم الحكم بأن أنكر الأصوات صوت الحمير، مع أن مس المنشار بالمبرد؛ وحت النحاس بالحديد وغير ذلك أشد تنفيراً وإزعاجاً؟

الثاني: كيف وحّد الصوت وهو مضاف إلى الجماعة؟

والجواب عن الأول: أن المراد: أنكر أصوات الحيوانات صوت

---

(١) من الآية (٨) من سورة الممتحنة، وانظر دفع إيهام الاضطراب ص ٢٣٤.

(٢) من الآية (١٩) من سورة لقمان.

الحمير[١].

والجواب عن الثاني: أنه ليس المراد: ذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع؛ وإنما المراد: أن كل جنس من الحيوان الناطق وغيره له صوت، وأنكر الأصوات من هذه الأجناس: صوت هذا الجنس، فوجب إفراده لئلا يظن أن الاجتماع شرط في ذلك[٢].

وقيل: إنه وحد الصوت وإن كان مضافاً إلى الجماعة؛ لأنه المصدر، والمصدر يدل على الكثرة، فهو مصدر: صات يصوت صوتاً فهو صائت، ويقال: صوت تصويتاً فهو مصوت؛ ورجل صاتٍ أي: شديد الصوت، بمعنى صائت[٣].

***

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[٤].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لو قيل: وما في الأبحر من ماء مداداً؛ لكان مطابقاً لقوله-

---

(١) أضواء على متشابهات القرآن ٢/ ١٠٨.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٣٠.

(٣) الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٠٧.

(٤) الآية (٢٧) من سورة لقمان.

تعالى- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ ﴾. فلم عدل عنه؟

الثاني: لِمَ قال (مِن شَجَرَةٍ) ولم يقل من (شجر)؟

الثالث: أن المقصود من الآية: التفخيم والتعظيم؛ وهذا يناسبه جمع الكثرة (الكلم) لا جمع القلة (كلمات) فكيف عدل عنه؟

والجواب عن الأول: أنه استغنى عن ذكر المداد بقوله: (يَمُدُّهُۥ) لأنه من قولك: مدّ الدواة؛ وأمدها؛ أي: زادها مداداً. فجعل البحر المحيط بمنزلة الدواة، والأبحر السبعة مملوءة مداداً تصب فيه أبداً صبّاً لا ينقطع؛ فكان هذا أولى؛ لأنه يدل على عدم نفاد كلمات الله. بخلاف قولهم: (وما في الأبحر من ماء مداد) إذ فيه حصر.

والجواب عن الثاني: أنه أراد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر شجرة واحدة إلا وقد بريت أقلاماً؛ ولو لم يفرد لم يفد هذا المعنى؛ إذ الجمع يتحقق بما فوق الثلاثة؛ فاستغراق المفرد أشمل؛ وإن قيل: إن إفادة المفرد: التفصيل بدون تكرار، أو الاستغراق بدون نفي: محل نظر؛ لأنه إنما عهد ذلك في نحو: جاؤوني رجلاً رجلاً؛ وما عندي ثمرة[1].

والجواب عن الثالث: أن جمع القلة هنا أبلغ؛ لأن جمع القلة إذا لم

---

(١) مسائل الرازي ٢٧٣، الفتوحات ٣/ ٤٠٨، وفتح القدير ٤/ ٢٤٢.

يفن بتلك الأقلام وذلك المداد؛ فكيف يفنى جمع الكثرة؟[١]

***

يقول الله- عز وجل- ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[٢].

وقال- جل شأنه- ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾[٣].

في الآية الأولى: يدل ظاهرها على أن يوم القيامة لا ينفع فيه والد ولده؛ وفي الثانية دلالة على أن درجات الأولاد ترفع بسبب صلاح آبائهم حتى يكونوا في درجة الآباء مع أن عملهم؛ أي: الأولاد- لم يبلغهم تلك الدرجة إقرار لعيون الآباء بوجود الأبناء معهم في منازلهم من الجنة وذلك نفع لهم؛ فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أن الجمع بينهما أشير إليه بالقيد الذي في الآية وهو قوله- تعالى- ﴿وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ وعين فيها النفع بأنه إلحاقهم بهم في درجاتهم بقيد الإيمان. فهي أخص من الآية الأولى، والأخص لا يعارض الأعم. وعلى قول من فسَّر الآية بأن معنى قوله (لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ) لا

---

(١) مسائل الرازي ٢٧٣، والبيضاوي ٢/ ٢٣١.

(٢) من الآية (٣٣) من سورة لقمان.

(٣) من الآية (٢١) من سورة الطور.

يقضي عنه حقّاً لزمه؛ ولا يدفع عنه عذاباً حقَّ عليه، فلا إشكال في الآية[1].

يقول الله- تعالى- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ أضاف العلم إلى نفسه في الأمور الثلاثة من الخمس المغيبات؛ ونفى العلم عن العباد في الأمرين الآخرين؛ مع أن الأمور الخمسة سواء في اختصاص الله- تعالى- بعلمها، وانتفاء علم العباد بها؟

الثاني: لماذا نفى العلم بالمكان دون العلم بالزمان؟ وكلاهما غير معلوم، بل نفى العلم بالزمان أولى؛ لأن من الناس من يدّعي علمه وهم المنجمون؛ بخلاف المكان، فإن أحداً لا يدعي علمه؟

والجواب عن الأول: أنه إنما خص الأمور الثلاثة بالإضافة إليه تعظيماً لها وتفخيماً؛ لأنها أجل وأعظم؛ وإنما خص الأمرين الآخرين بنفي علمهما عن العباد، لأنهما من صفاتهم وأحوالهم، فإذا انتفى عنهم علمها،

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ٢٣٢.

(٢) الآية (٣٤) من سورة لقمان.

كان انتفاء علم ما عداهما من الأمور الخمسة الأولى.

والجواب عن الثاني: أنه إنما خص المكان بنفي علمه لوجهين أحدهما: أن الكون في مكان دون مكان في وسع الإنسان واختياره؛ فيكون اعتقاده علم مكان الموت أقرب بخلاف الزمان. الثاني: أن للمكان دون الزمان تأثيراً في جلب الصحة والسقم، أو تأثير المكان في ذلك أكثر[1].

***

(١) مسائل الرازي ٢٧٤، والفتوحات الإلهية ٣/ ٤١١.

سورة السجدة

قال الله- تعالى- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾[١].

كيف قال: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ ،مع أن منها الكفر والمعاصي والشرور، وهي ليست حسنة؟

والجواب: أن معنى (أَحۡسَنَ) أحكم وأتقن. والمعنى: أنه أحكم وأتقن خلق مخلوقاته، فما من شيء إلا وهو مخلوق على ما تقتضيه الحكمة؛ فكل المخلوقات حسنة، وكل شيء خلقه وأوجده، فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه؛ وبعض المخلوقات وإن لم تكن حسنة في نفسها، فهي متقنة محكمة.

وقيل: إن في الكلام إضماراً تقديره: أحسن إلى كل شيء خلقه.

وقيل: إن أحسن بمعنى: علم؛ كما يقال: فلان لا يحسن شيئاً، أي: لا يعلم شيئاً. وقال علي- رضي الله عنه- قيمة كل امرئ ما يحسنه: أي ما يعلمه، فمعناه: أنه علم خلق كل شيء. أو علم كل شيء خلقه، ولم يتعلمه من أحد. وهذان المعنيان يخصان بقراءة فتح اللام[٢].

***

(١) من الآية (٧) من سورة السجدة.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٥، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢١/ ٧٧، وفتح القدير ٤/ ٢٤٩.

يقول المولى- عز وجل- ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ﴾[١].

كيف أضاف الروح إلى نفسه؛ والله- تعالى- منزه عن الروح؟

والجواب: أن المعنى: نفخ فيه من روح مضافة إلى الله بالخلق والإيجاد لا بوجه آخر؛ فالإضافة: إضافة تشريف كبيت الله وناقة الله.

وقيل المراد بالروح جبريل- عليه السلام-[٢].

***

يقول- تبارك وتعالى- ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٣].

كيف حصر المؤمنين فيمن هو موصوف بهذه الصفة، وليس هذا فقط؛ ولا هذه الصفة شرط في تحقق الإيمان؟

والجواب: أن المراد بقوله- تعالى- (ذُكِّرُوا۟) أي: وعظوا. والمراد بالسجود: الخشوع والخضوع والتواضع في قبول الموعظة بآيات الله- تعالى- وهذه الصفة شرط في تحقق الإيمان؛ ونظيره: قوله- تعالى- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ

(١) من الآية (٩) من سورة السجدة.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٥، والفتوحات ٣/ ٤١٤.

(٣) الآية (١٥) من سورة السجدة.

رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾[1].

وقيل معناه: إنما يؤمن بآياتنا إيماناً كاملاً من اتصف بهذه الصفة.

وقيل المراد بالآيات: فرائض- الله- الصلوات الخمس؛ والمراد بالتذكير بها الأذان والإقامة[2].

***

قال الله- تعالى-﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾[3].

أليس في الآية دلالة على أن الفاسق لا يكون مؤمناً؟

والجواب: أن المراد بالفاسق هنا: الفاسق الكامل، وهو الكافر. بدليل قوله- تعالى- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾.

فالتقسيم والمقابلة يقتضي كون الفاسق المذكور هنا: كافراً؛ لا كون

---

(١) الآيتان (١٠٧، ١٠٨) من سورة الإسراء.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٦.

(٣) الآيتان (١٨، ١٩) من سورة السجدة.

كل فاسق كافراً؛ وإلا فالمؤمن قد يكون فاسقاً؛ ونظيره قوله- تعالى- ﴿ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1]. وقوله- تعالى- ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[2]. ولم يلزم من ذلك أن كل مجرم كافر؛ ولا أن كل مسيء كافر[3].

***

يقول الحق- جل وعلا- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾[4].

ما فائدة العدول عن الإضمار ﴿ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ إلى الإظهار؟

والجواب: أنه لما جعله أظلم الظلمة؛ ثم توعد كل المجرمين بالانتقام: دلّ على أن الأظلم يصيبه النصيب الأكبر والأوفر من الانتقام، ولو قاله بالضمير لم يُفد هذه الفائدة[5].

***

(١) الآية (٣٥) من سورة القلم.

(٢) من الآية (٢١) من سورة الجاثية.

(٣) مسائل الرازي ٢٧٦، والفتوحات ٣/ ٤١٨.

(٤) الآية (٢٢) من سورة السجدة.

(٥) مسائل الرازي ٢٧٧.

قال الله- تعالى- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[1].

كيف طابق الجواب السؤال؟

والجواب: أنهم لما سألوا عن يوم الفتح، وهو يوم القضاء بين المؤمنين والكافرين؛ وكان سؤالهم سؤال تكذيب واستهزاء بيوم القيامة، لا سؤال استفهام، أجيبوا بالتهديد المطابق للتكذيب والاستهزاء، لا ببيان حقيقة الوقت؛ وذلك للتنبيه على أنه ليس مما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً بيناً؛ وإنما المحتاج إلى البيان: عدم نفع إيمانهم في ذلك اليوم، كأنه قيل: لا تستعجلوا فكأني بكم قد آمنتم فلم ينفعكم؛ واستنظرتم فلم تنظروا.

ومن فسّر الفتح بفتح مكة، أو فتح يوم بدر؛ فالمراد: أن المقتولين منهم لا ينفعهم إيمانهم في حال القتل، كما لم ينفع فرعون إيمانه عند إدراك الغرق؛ وذلك لأن يوم فتح مكة ويوم بدر: هما مما ينفع فيه الإيمان، وقد أسلم أهل مكة يوم الفتح؛ وقبل منهم النبي- صلى الله عليه وسلم- الإيمان. أو المراد لا ينفع الكفار ما أعطوا من الأمان؛ لأن النبي- صلى الله

---

(١) الآيتان (٢٨، ٢٩) من سورة السجدة.

عليه وسلم- قال: «من أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[١]. فعلى هذا يكون المعنى: لا يدفع هذا الأمان عنهم عذاب الله[٢].

والراجح عندي: أن المراد بيوم الفتح يوم القيامة، لقوله- تعالى- ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾[٣].

***

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ٥/ ٣٣٨، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

(٢) مسائل الرازي ٢٧٧، فتح القدير ٤/ ٢٥٨، الفتوحات ٣/ ٤٢٠، وزاد المسير ٦/ ٤٣٥.

(٣) الآية (٣٠) من سورة السجدة.

سورة الأحزاب

قال الله- تعالى-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[١].

لِمَ قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ ولم يقل: يا محمد، كما قال: يا داود، يا موسى، يا عيسى، ونحوه؟

والجواب: أنه إنما عدل عن ندائه باسمه إلى ندائه بالنبي والرسول؛ إجلالاً له وتعظيماً؛ كما قال- تعالى-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ﴾[٢]. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[٣].﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾[٤].

ولا يرد على هذا قوله- تعالى-﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾[٥].﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾[٦] لأنه إنما عدل عن نعته في هذين الموضعين؛ لتعليم الناس أنه رسول الله، وتلقينهم أن يسموه بذلك ويدعوه به. ولذلك ذكره بنعته لا باسمه في غير هذين الموضعين من مواضع الإخبار؛ كما ذكره في النداء

---

(١) من الآية (١) من سورة الأحزاب.

(٢) من الآية (١) من سورة التحريم.

(٣) من الآية (١) من سورة الطلاق.

(٤) من الآية (٦٧) من سورة المائدة.

(٥) من الآية (٢٩) من سورة الفتح.

(٦) من الآية (١٤٤) من سورة آل عمران.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[(١)]. ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ﴾[(٢)] ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(٣)] ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[(٤)] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[(٥)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾[(٦)] ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ﴾[(٧)]. ونظائره كثيرة[(٨)].

ولعله إنما عدل عن نعته في هذين الموضعين السابقين: لتعليم الناس أنه رسول الله، وتلقينهم أن يسموه بذلك ويدعوه به. وأيضاً: لتعليم أمته أن هذا الإجلال والتعظيم لا يخرجه- صلى الله عليه وسلم- عن حيز البشرية؛ فلا يضل أتباعه كما ضل أتباع المسيح- عليه السلام- يدل على ذلك قوله- تعالى- ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾[(٩)]. وقوله- سبحانه- ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

(١) من الآية (١٢٨) من سورة التوبة.

(٢) من الآية (٣٠) من سورة الفرقان.

(٣) من الآية (٢١) من سورة الأحزاب.

(٤) من الآية (٦٢) من سورة التوبة.

(٥) من الآية (٦) من سورة الأحزاب.

(٦) من الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.

(٧) من الآية (٨١) من سورة المائدة.

(٨) مسائل الرازي ٢٧٨.

(٩) من الآية (٢) من سورة محمد.

وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1].

* * *

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾[2].

كيف جعل أزواج النبي- صلى الله عليه وسلم- بمنزلة أمهات المؤمنين حكماً؛ أي: في الحرمة والاحترام، وما جعل النبي- صلى الله عليه وسلم- بمنزلة أبيهم حتى قال- تعالى- ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ؟

والجواب: أنه أراد بقوله- تعالى- ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ أن أمته يدعون أزواجه بأشرف الأسماء، وأشرف أسماء النساء: الأم؛ وأشرف أسماء النبي- صلى الله عليه وسلم- رسول الله، لا الأب.

وقيل: إنه- تعالى- جعلهن أمهات المؤمنين تحريماً لهن وإجلالاً وتعظيماً له- صلى الله عليه وسلم- كيلا يطمع أحد في نكاحهن بعده؛ فلو جعل النبي- صلى الله عليه وسلم- أباً للمؤمنين؛ لكان أباً للمؤمنات أيضاً؛ فلم يجعل له نكاح امرأة من المؤمنات؛ بل يحرمن عليه، وذلك ينافي إجلاله وتعظيمه. وقد جعله أعظم من الأب في القرب والحرمة بقوله-

---

(١) من الآية (٤٠) من سورة الأحزاب.

(٢) من الآية (٦) من سورة الأحزاب.

تعالى- ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ فجعل- صلى الله عليه وسلم- أقرب إليهم من أنفسهم؛ وكثير من الآباء يتبرأ من ابنه ويتبرأ منه ابنه أيضاً؛ وليس أحد يتبرأ من نفسه"[1].

* * *

قال الله- جل ذِكْره- ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[2].

وقال الله- تعالى- ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾[3].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: كيف قدم النبي- صلى الله عليه وسلم- على نوح ومن بعده في الآية الأولى، وقدم نوحٌ- عليه السلام- في الآية الثانية؟

الثاني: لم خص الأنبياء الخمسة بالذكر دون غيرهم؛ وما فائدة إعادة أخذ الميثاق؟

والجواب عن الأول: أنه لما كان النبي- صلى الله عليه وسلم- أفضل

---

(١) مسائل الرازي ٢٧٨-٢٧٩.

(٢) الآية (٧) من سورة الأحزاب.

(٣) من الآية (١٣) من سورة الشورى.

هؤلاء المفضلين قدم عليهم، وهذا العطف من باب عطف الخاص على العام؛ الذي هو جزء منه لبيان التفضيل والتخصيص بذكر مشاهير الأنبياء وذراريهم.

ولما كانت الآية الثانية مسوقة لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة كان تقديم نوح- عليه السلام- أشد مناسبة بالمقصود من سوق الآية، كأنه قال: شرع لكم الدين الأصيل الذي بُعث عليه نوح- عليه السلام- في العهد القديم؛ وبُعث عليه محمد- صلى الله عليه وسلم- في العهد الحديث؛ وبُعث عليه من توسطهما من الأنبياء المشاهير.

والجواب عن الثاني: أنه خص الأنبياء الخمسة بالذكر دون غيرهم؛ لأنهم مشاهير أرباب الشرائع والكتب؛ وأولوا العزم من الرسل؛ وأئمة الأنام، فذكرهم لمزيد شرفهم، والتنبيه على فضلهم. وأما فائدة إعادة أخذ الميثاق: فهي التأكيد.

وقيل: إنه تعالى- أخذ منهم الميثاق أن يوحدوا الله- تعالى- ويدعوا إلى توحيده؛ ويصدق بعضهم بعضاً، والمراد بالميثاق الغليظ: اليمين بالله- تعالى- على الوفاء بما حملوا؛ فلا إعادة لاختلاف الميثاقين (١).

***

(١) مسائل الرازي ٢٧٩-٢٨٠، الفتوحات ٣/ ٤٢٤، وزاد المسير ٦/ ٣٥٥.

قال الله- تعالى- ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾[١].

كيف قال في وصف حال المؤمنين التي امتن عليهم فيها (وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ) ولو بلغت القلوب الحناجر لماتوا؛ ولم يبق للامتنان وجه؟

والجواب: أن المعنى: كادت القلوب تبلغ الحناجر من الخوف، فهو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها. واعترض على هذا: بأن العرب لا تكاد تضمر كاد، ولا تعرف معناه ما لم تنطق به.

وقيل: المعنى: أنهم جبنوا وجزعوا، والجبان إذا اشتد خوفه: انتفخت رئته فرفعت قلبه إلى حنجرته؛ وهي: جوف الحلقوم وأقصاه، وكذلك إذا اشتد الغضب أو الغم؛ ومن هنا قيل للجبان: انتفخ منخره[٢].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٣].

---

(١) الآية (١٠) من سورة الأحزاب.

(٢) مسائل الرازي ٢٨٠.

(٣) من الآية (٢٢) من سورة الأحزاب.

كيف أظهر - تعالى - الاسمين مع تقدم ذكرهما؟

والجواب: أنه كرر الظاهر تعظيماً؛ ولئلا يكون الضمير الواحد عائداً على الله - تعالى - وغيره؛ لأنه لو أعادهما مضمرين لجمع بين اسم الله - تعالى - واسم رسوله في لفظة واحدة فكان يقول (وصدقا) والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد كره ذلك، وردّ على من قاله حيث قال: «ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى» فقال له: «بئس خطيب القوم أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»[1] قصداً إلى تعظيم الله، ويرد على هذا قوله - صلى الله عليه وسلم - «... حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[2] فقد جمع بينهما في ضمير واحد؛ وأجيب بأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أعرف بقدر الله منا؛ فليس لنا أن نقول إلاَّ كما يقول.

وقيل: إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - رد على الخطيب لأنه وقف على يعصهما[3].

***

قال - جل وعلا - ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ

---

(١) مسلم في الجمع ح ٤٨، المسند ٤/ ٢٥٦.

(٢) فتح الباري ١/ ٦٠، مسلم في الإيمان ح ٦٧، المسند ٣/ ١٠٣.

(٣) الفتوحات ٣/ ٤٣٠، تفسير البيضاوي ٢/ ٢٤٢، ومسائل الرازي ٢٨١.

وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾[١].

كيف منَّ على المؤمنين بأنهم ملكهم أرض بني قريظة وقال ﴿ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾ وقد ملكهم أرضهم بعد ما وطؤوها وظهروا عليها؟

والجواب: أن معناه: ويورثكم؛ بطريق وضع الماضي موضع المستقبل مبالغة في تحقيق الموعود وتأكيده.

وقيل: إن فيه إضماراً تقديره: وأرضاً لم تطؤوها سيورثكم إياها؛ يعني: أرض مكة؛ وقيل: أرض فارس والروم؛ وقيل أرض خيبر. وقيل: كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة.

وقيل: إن معناها وأورثكم ذلك كله في الأزل بكتابه لكم في اللوح المحفوظ[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[٣].

---

(١) الآية (٢٧) من سورة الأحزاب.

(٢) مسائل الرازي ٢٨١.

(٣) الآيتان (٣٠، ٣١) من سورة الأحزاب.

لِمَ خص الله- تعالى- نساء النبي- صلى الله عليه وسلم- بتضعيف العقوبة على الذنب والمثوبة على الطاعة؟

والجواب: أن تضعيف العقوبة لأن الذنب منهن أقبح؛ وزيادة قبح الذنب تابعة لزيادة فضل المذنب وزيادة النعمة عليه؛ ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق، وعوتب الأنبياء بما لا تعاتب به الأمم؛ ونعم الله- سبحانه- عليهن أكثر لشرفهن ولمكان النبي- صلى الله عليه وسلم- منهن؛ ولنزول الوحي في بيوتهن؛ فإذا كانت النعمة عليهن أعظم وأوفر، كانت المعصية منهن أفحش، والعقوبة بها أعظم وأكثر، كما أن في معصيتهن أذىً لرسول الله- صلى الله عليه وسلم-. وذنب من آذى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أعظم من ذنب من آذى غيره. والمراد بالفاحشة هنا: النشوز وسوء الخلق.

أما تضعيف الأجر والمثوبة؛ فلأنهن أشرف من سائر النساء، وأرفع منزلة بقربهن من رسول الله- صلى الله عليه وسلم-؛ وذلك لأن نسبة النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى غيره من الرجال، كنسبة السادات إلى العبيد؛ لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم. فكذلك أزواجه بالنسبة إلى غيرهن كنسبة الحرة إلى الأمة. فكانت الطاعة منهن أشرف؛ كما كانت المعصية منهن أقبح؛ ومثل ذلك: الوزير والنواب في طاعتهما للملك

ومعصيتها[١].

***

قال- تبارك شأنه- ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٢].

كيف أمر الله- تعالى- نساء النبي بالزكاة؛ ولم يملكن نصاباً حولاً كاملاً؟

والجواب: أن المراد بالزكاة هنا: الصدقة النافلة، والأمر هنا للندب[٣].

***

قال- عز وجل- ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[٤].

كيف عطف الإيمان على الإسلام وهما متحدان شرعاً؟

والجواب: أنهما ليسا بمتحدين مطلقاً؛ بل هما متحدان ما صدقا لا مفهوماً؛ أخذاً من الفرق بين الإسلام والإيمان الشرعيين، إذ الإيمان الشرعي هو التلفظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي-

---

(١) مسائل الرازي ٢٨١، الخازن ٣/ ٤٦٦، والفتوحات ٣/ ٤٣٤.

(٢) من الآية (٣٣) من سورة الأحزاب.

(٣) مسائل الرازي ٢٨٢.

(٤) من الآية (٣٥) من سورة الأحزاب.

صلى الله عليه وسلم- والإسلام الشرعي عكس ذلك. ويكفي في العطف المقتضي للاختلاف؛ اختلافهما مفهوماً وإن اتحدا ما صدقا.

وقيل: إنهما مختلفان؛ فالإسلام: الإقرار باللسان، فالمسلم هو: الموحد بلسانه. والإيمان: التصديق بالقلب؛ فالمؤمن هو المصدق بقلبه؛ ويعضده قوله- تعالى- ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[1]. وهذا ما عليه المحققون.

وقيل: إن معنى ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾ المخلصين الطاعة لله والمخلصات. ﴿ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾: المصدقين بالتوحيد والمصدقات؛ والإسلام والإيمان: واحد عند أكثر المفسرين، وإنما كرر لاختلاف اللفظين.

وقيل: الإسلام هو: اسم الدين؛ والإيمان: التصديق به[2].

***

قال- سبحانه- ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[3].

---

(١) من الآية (١٤) من سورة الحجرات.

(٢) الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٣٧، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٢/ ١٤٠، ومسائل الرازي ٢٨٢.

(٣) من الآية (٤٠) من سورة الأحزاب.

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قال: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ مع أنه كان أباً للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم- عليهم السلام؟

الثاني: كيف قال (وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) وعيسى- عليه السلام- ينزل بعده وهو نبي؟

والجواب عن الأول: أن قوله- تعالى- (مِّن رِّجَالِكُمْ) يخرجهم من حكم النفي من وجهين: أحدهما: أنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال؛ بل ماتوا صبياناً. ثانيهما: أنه أضاف الرجال إليهم؛ وهم كانوا رجاله لا رجالهم.

والجواب عن الثاني: أن معنى كونه (وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ) أنه لا يتنبأ أحد بعده؛ وعيسى- عليه السلام- ممن نبئ قبله، وحين ينزل، ينزل عاملاً بشريعة محمد- صلى الله عليه وسلم- مصلياً إلى قبلته، كأنه بعض أمته [1].

***

يقول المولى- عز وجل-﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[2].

الصلاة من الله- عز وجل- المغفرة والرحمة، أو الثناء، أو الكرامة،

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٢.

(٢) من الآية (٤٣) من سورة الأحزاب.

فكيف تكون الصلاة من الملائكة؟

والجواب: أن المراد بصلاة الملائكة: الدعاء والاستغفار ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾[1] وطلب إنزال الرحمة من الله- تعالى- للمؤمنين من حيث أنهم مجابو الدعوة. جعلوا كأنهم فاعلو الرحمة والمغفرة ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا. . . ﴾ ونظيره قولهم: حياك الله، أي: أحياك وأبقاك، وحيا زيد عمراً، أي دعا له بأن يحييه الله اتكالاً منه على إجابة دعوته؛ ومثله قوله- تعالى-﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾[2].

***

قال الله- سبحانه-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[3].

وهنا يرد سؤالان:

الأول: أنه قد فهم من الآية أن النبي- صلى الله عليه وسلم- مأذون له في الدعاء إلى الله- تعالى- فلم قيد الدعوة بقوله-(بِإِذْنِهِۦ)؟

الثاني: كيف شبه الله- تعالى- نبيه- صلى الله عليه وسلم- بالسراج

---

(١) من الآية (٧) من سورة غافر.

(٢) من الآية (٥٦) من سورة الأحزاب، وانظر: مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٢/ ١٥٠، البيضاوي ٢/ ٢٤٧، ومسائل الرازي ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) الآيتان (٤٥، ٤٦) من سورة الأحزاب..

ولم يشبهه بالشمس، وهي أتم وأكمل؟

والجواب عن الأول: أن المعني بأمره؛ لا أنك تدعوهم من تلقاء نفسك.

وقيل: إنما قيد به الدعوة إيذاناً بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جناب قدسه. فمعنى (بِإِذْنِهِۦ) أي: بتسهيله وتيسيره[1].

والجواب عن الثاني: أن المراد بالسراج هنا: الشمس؛ كما قال- تعالى- ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[2]. أو شبهه بالسراج: لأنه تفرع منه- بهدايته- جميع العلماء؛ كما يتفرع من السراج: سرج لا تحصى؛ بخلاف الشمس.

* * *

قال- جل وعلا- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا. . . ﴾[3].

لِمَ خصّ- تعالى- المؤمنات بعدم وجوب العدة في الطلاق قبل المسيس، مع أن حكم الكتابية كذلك أيضاً؟

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٣، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٤٨.

(٢) من الآية (١٦) من سورة نوح.

(٣) من الآية (٤٩) من سورة الأحزاب.

والجواب: أن هذا خرج مخرج الغالب والأكثر؛ وليس تخصيصاً.

وقيل: إن علة ذكر المؤمنات- والحكم عام- التنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته[١].

❊ ❊ ❊

قال الله- عز وجل-﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾[٢].

وقال تعالى:﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ ﴾[٣].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: أن ظاهر الآية الأولى يتعارض مع الآية الثانية.

الثاني: أن المعهود في كلام العرب: مقابلة الجمع بالجمع، فكيف أفرد العم والخال؛ وجمع بين العمة والخالة؟

والجواب عن الأول: أن قوله ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ﴾ منسوخ بقوله ﴿إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾ وهو أحد الموضعين اللذين- في المصحف-

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٣، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٤٨.

(٢) من الآية (٥٠) من سورة الأحزاب.

(٣) من الآية (٥٢) من السورة السابقة.

ناسخها قبل منسوخها، لتقدمه في ترتيب المصحف، مع تأخره في النزول(١) على القول بذلك؛ وقيل: الآية الناسخة لها هي قوله- تعالى- ﴿ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ الآية(٢).

وقال بعض العلماء: هي محكمة؛ وعليه فالمعنى: لا يحل لك النساء من بعد؛ أي: من بعد النساء اللاتي أحلهن الله لك في قوله ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ الآية. فتكون آية ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ ﴾ محرمة ما لم يدخل في آية ﴿ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ﴾ كالكتابيات والمشركات والبدويات- على القول بذلك فيهن- وبنات العم والعمات؛ وبنات الخال والخالات اللاتي لم يهاجرن معه- على القول بذلك فيهن أيضاً.

والذي يظهر لنا: أن القول بالنسخ أرجح، وليس المرجح لذلك- عندنا- أنه قول جماعة من الصحابة ومن بعدهم. ولكن المرجح له عندنا- أنه قول أعلم الناس بالمسألة: أعني أزواجه- صلى الله عليه وسلم-؛ لأن حلّية غيرهن من الضرات وعدمها؛ لا يوجد من هو أشد اهتماماً بها منهن؛ فهن صواحبات القصة. وقد تقرر في علم الأصول أن صاحب القصة يُقدم على غيره. فإذا علمت ذلك؛ فاعلم أن ممن قال بالنسخ أم

---

(١) والموضع الثاني: قوله ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ... ﴾ (سورة البقرة ٢٣٤). مع قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ ... ﴾ (سورة البقرة ٢٤٠).

(٢) من الآية (٥١) من سورة الأحزاب.

المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: ما مات رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى أحل الله له النساء؛ وأم المؤمنين أم سلمة- رضي الله عنها- قالت: لم يمت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء ما شاء إلا ذات محرم. ويشهد لذلك ما رواه جماعة عن عبد الله بن شداد- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- تزوج أم حبيبة وجويرية- رضي الله عنهما- بعد نزول ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ﴾(١).

والجواب عن الثاني: أن العم: اسم على وزن المصدر الذي هو: الضم ونحوه، وكذا الخال: على وزن القال ونحوه؛ فيستوي فيه المفرد والتثنية والجمع بخلاف العمة والخالة؛ ونظيره قوله- تعالى- ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾(٢).

ولما كان العم والخال ليسا مصدرين حقيقة، بل على وزن المصدر، اعتبر هنا شبههما بالمصدر؛ واعتبر حقيقتهما في قوله- تعالى- ﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَـٰمِكُمْ﴾ ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ﴾(٣). عملاً بالجهتين؛ بخلاف السمع؛ فإنه لما كان مصدراً حقيقة، ما جاء قط في الكتاب العزيز إلا مفرداً.

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ٢٢٩.

(٢) من الآية (٧) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٦١) من سورة النور.

وقيل: إن وجه إفراد العم والخال، وجمع العمة والخالة، أن العم والخال في الإطلاق: اسم جنس كالشاعر والراجز، وليس كذلك العمة والخالة؛ وهذا عرف لغوي، فجاء الكلام عليه بغاية البيان.

وقيل: إنه وحد لفظ الذكر لشرفه؛ وجمع الأنثى كقوله- تعالى- ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ (١). وقوله- تعالى- ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ (٢). وقوله- سبحانه- ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ (٣). وله نظائر كثيرة.

وقيل: إنما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما؛ مع أن لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع واجتماع أختين تحت واحد؛ ولم يحسن هذا الاختصار في العمة والخالة لإمكان سبق الوهم إلى أن التاء فيهما للوحدة؛ وليس في العم والخال ما يسبق الوهم إليه بأنه أريد به الوحدة، إلا مجرد صيغة الإفراد؛ وهي لا تقتضي ذلك بعد إضافتهما، لما تقرر من عموم أسماء الأجناس المضافة (٤).

***

قال الله- تعالى- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ

---

(١) من الآية (٤٨) من سورة النحل.

(٢) من الآية (٢٥٧) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١) من سورة الأنعام.

(٤) مسائل الرازي ٢٧٤، وفتح القدير ٤/ ٢٩١.

فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1].

على معنى هذه الآية يرد اشتباه مفاده، إذا كان المراد بالإنسان هنا: آدم- عليه السلام- فكيف جاز وصفه بظلوم جهول، وهما صفتا مبالغة؟

والجواب: أن الذنب يعظم بعظم مكانة مرتكبه وعلو منزلته، وآدم- عليه السلام- لجلالة قدره ورفعة محله، كان ظلمه لنفسه بما حمله وجهله له وعدم إدراكه لتبعته- وإن قلاّ- أفحش من غيره.

وقيل: إنما جاز وصفه بذلك، لأن ظلمه نفسه بما حمله، وجهله به، لم يتحمل ضررهما ومشقتهما- وحده- بل تعدت لجميع أولاده من بعده. حيث خرجوا من الجنة بواسطته، وحرموا من الإقامة بسببه[2].

***

(١) الآية (٧٢) من سورة الأحزاب.

(٢) بتصرف من غرائب القرآن ٢٢/ ٣٣، ط. الحلبي.

سورة سبأ

قال الله- تعالى- ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾[1].

الناس قد أنكروا إتيان الساعة؛ فهب أنه حلف لهم بالله- تعالى- الأيمان المغلظة؛ وأقسم عليهم جهد القسم، فيمين مَنْ هو في نظرهم أو معتقدهم مفتر على الله كذباً؛ كيف تكون مصححة لدعواه؟

والجواب: أن هذا إنما يتم لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها بالحجة القاطعة، والبينة الساطعة، وهي قوله- بعد ذلك- (لِّيَجْزِىَ. . .) فقد وضع الله في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء؛ وأن المحسن لا بد له من ثواب؛ والمسيء لا بد له من عقاب فقوله (لِّيَجْزِىَ) تعليل لقوله- (لَتَأْتِيَنَّكُمْ)[2].

***

(١) الآيات (٣-٥) من سورة سبأ.

(٢) أضواء البيان على متشابهات القرآن ٢/ ١٢٦.

يقول الله- عز وجل- ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[1].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: أليس من المناسب أن يقول: إلى ما فوقهم وما تحتهم من السماء والأرض؟

الثاني: هلاّ ذكر- سبحانه- الأيمان والشمائل هنا، كما ذكرها في قوله- تعالى- ﴿ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ .. ﴾[2].

والجواب عن الأول: أن ما بين يدي الإنسان: هو كل شيء يقع نظره عليه من غير أن يحول وجهه إليه؛ وما خلفه: هو كل شيء لا يقع نظره إليه حتى يحول وجهه إليه؛ فكان اللفظ المذكور أتم مما ذكر.

والجواب عن الثاني: أنه وجد هنا ما يغني عن ذكرها- وهو لفظ العموم- وذكر السماء والأرض ولا كذلك ثمة[3].

***

(١) من الآية (٩) من سورة سبأ.

(٢) من الآية (١٧) من سورة الأعراف.

(٣) مسائل الرازي ٢٨٦، والفتوحات ٣/ ٤٦٢.

يقول المولى- سبحانه- ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ ﴾[١].

كيف استجاز سليمان- عليه السلام- عمل التماثيل- وهي الصور- وهي محرمة؟

والجواب: أن عمل الصور لم يكن محرماً في شريعته؛ ويجوز أن يكون صور غير الحيوان كالأشجار ونحوها؛ وذلك غير محرم[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ ﴾[٣].

كل جنة كانت آية، أي: علامة على توحيد الله- تعالى- فلم لم يقل: آيتان جنتان؟

والجواب: أنهما لما تماثلتا في الدلالة على توحيد الله- سبحانه- واتحدت جهتهما فيها، جعلهما آية واحدة؛ ونظيره قوله- تعالى- ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾[٤].

وقيل: إنه لم يرد جنتين اثنتين؛ والمراد: كانت ديارهم على وتيرة

---

(١) من الآية (١٣) من سورة سبأ.

(٢) مسائل الرازي ٢٨٦..

(٣) من الآية (١٥) من سورة سبأ..

(٤) من الآية (٥٠) من سورة المؤمنون.

واحدة، إذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متصلة بعضها ببعض [١].

* * *

قال المولى- سبحانه-﴿ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [٢].

وقال- جل جلاله-﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [٣].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: كيف حصر المجازاة في الكافر، مع أن المؤمن والكافر يجازيان؟

الثاني: أنه يتوهم من ظاهر الآية الأولى، خصوص الجزاء بالمبالغين في الكفر، بينما الآية الثانية تبين عموم الجزاء، فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب عن الأول: أن المراد: أنه لا يجازى بكل عمله، ويناقش فيه إلا الكافر، أما المؤمن: فأعماله الصالحة: كالصلوات الخمس والجمعة ورمضان إلخ، مكفرات لذنوبه ما لم تُغْش الكبائر [٤].

وقيل المعنى: لا يجازى هذا الجزاء المشؤوم إلا من كفر.

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٦، ومجمع البيان ٢٢/ ١٩٨.

(٢) من الآية (١٧) من سورة سبأ.

(٣) الآيتان (٧، ٨) من سورة الزلزلة.

(٤) المسند ٢/ ٢٢٩، المستدرك ١/ ١١٩، المغني عن حمل الأسفار للعراقي ٤/ ٢٢ ط. عيسى الحلبي.

وقيل المعنى: لا يجازى مثلاً بمثل إلا الكافر[١].

والجواب عن الثاني: قال الشيخ الشنقيطي- رحمه الله-: والجواب من ثلاثة أوجه: الأول: أن المعنى: ما نجازي هذا الجزاء الشديد المستأصل إلا المبالغ في الكفران. الثاني: أن ما يفعل بغير الكافر من الجزاء ليس عقاباً في الحقيقة؛ لأنه تطهير وتمحيص. الثالث: أنه لا يجازي بجميع الأعمال مع المناقشة التامة إلا الكافر. ويدل لهذا قول النبي- صلى الله عليه وسلم- «من نوقش الحساب فقد هلك»[٢]. وأنه لما سألته عائشة- رضي الله عنها- عن قوله- تعالى-﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾[٣]. قال لها ذلك العرض[٤] وبين لها: أن من نوقش الحساب لا بد أن يهلك[٥].

***

(١) الفتوحات ٣/ ٤٦٨، وفتح القدير ٤/ ٢٢١.

(٢) ابن كثير ٧/ ٢٤٧.

(٣) الآيتان (٨، ٩) من سورة الانشقاق.

(٤) تفسير ابن كثير ٧/ ٢٤٧.

(٥) دفع إيهام الاضطراب ص ٢٤٢.

قال- جل وعلا- ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[1].

ما معنى التشكيك هنا؟

والجواب: أن أو هنا بمعنى الواو في الموضعين، والتقدير: وإنا أو إياكم لعلى هدى وفي ضلال مبين. وهذا من باب إجراء المعلوم مجرى المجهول بطريق اللف والنشر المرتب، فيصير المعنى: وإنا لعلى هدى، وأنتم في ضلال مبين. وإنما جاء كذلك، وجمع بين الخبرين، لإرادة الإنصاف في الجدال والحجاج دون الشك والوهم. حيث فوض التمييز إلى العقول- وهو أفضى إلى الغرض. أو أن أو: باقية على معناها. والمعنى: وإنا لمهتدون أو ضالون، وأنتم كذلك.

وإنما جاء كذلك للتعريض بضلالهم كقول الرجل لخصمه إذا أراد تكذيبه: إن أحدنا لكاذب- وإن كان هو عالماً بالكاذب- ويعني به صاحبه.

وقيل: إنما قاله على وجه الاستعطاف والمداراة ليسمع الكلام، وهذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى، وخصمه إلى الضلال؛ لأنه كلام من لا يكاشف خصمه، بل ينسبه إليه على أحسن وجه؛ ويحثه على

---

(١) من الآية (٢٤) من سورة سبأ.

النظر، ولا يجب النظر إلا بعد التردد"[1].

***

قال- تبارك وتعالى- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾[2].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قالوا ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ﴾ ولم ينقل عن أحد من المشركين أنه عبد الجن؟

الثاني: كيف قالوا ﴿ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ وكلهم بهم مؤمنون؟

والجواب عن الأول: أن المعنى: كانوا يطيعون الجن (الشياطين) فيما يأمرونهم به من عبادتهم؛ فالمراد بالجن: الشياطين.

والجواب عن الثاني: أن المعنى: وأكثر المشركين مصدقون بالشياطين فيما يخبرونهم به من الكذب: أن الملائكة بنات الله- تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وليس المراد: أن بعضهم لم يؤمن بهم ولم يطعهم. بل هم- وإن لم يؤمنوا بهذه المقولة- مؤمنون بهم، مطيعون لهم في غيرها. وإنما قالت

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٦، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٢/ ٢٠٦.

(٢) الآيتان (٤٠، ٤١) من سورة سبأ.

الملائكة (أَكْثَرُهُم) احترازاً عن دعوى الإحاطة بهم. لأن الذين رأوهم واطلعوا على أحوالهم: كانوا يعبدون الجن؛ ويؤمنون بهم. ولعل في الوجود مَنْ لم يُطْلِعْ الله الملائكة على حاله من الكفار؛ ولأن العبادة عمل ظاهر، والإيمان عمل باطن، فلئلا يكونوا مدعين اطلاعهم على ما في القلوب قالوا: (أَكْثَرُهُم) فإن القلب لا يطلع على ما فيه إلا الله، كما قال: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[1].

***

(١) مسائل الرازي ٢٨٦، والفتوحات الإلهية ٣/ ٤٧٨.

سورة فاطر

قال الله- تعالى- ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾[1].

أين جواب (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ)؟

والجواب: أنه محذوف تقديره: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله؟ ويدل على هذا قوله: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ وجاز الحذف؛ لأن فيما أبقي دليلاً على ما ألقي.

وقيل المعنى: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليهم حسرات؟ ويدل عليه قوله ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾[2].

***

يقول المولى- جل وعلا- ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾[3].

كيف جاء (فَتُثِيرُ) مضارعاً دون ما قبله وما بعده؟

---

(١) الآية (٨) من سورة فاطر.

(٢) زاد المسير ٦/ ٤٧٥، وفتح القدير ٤/ ٣٣٩.

(٣) من الآية (٩) من سورة فاطر.

والجواب: أن المضارع يوضع موضع الماضي لحكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة؛ فيكون أدخل في اعتبار المعتبرين، والنكتة في التعبير بالماضيين بعد المضارع: الدلالة على التحقق. ونظير هذه الآية: قوله- تعالى- ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[2].

هل في ذلك دلالة على أن الله- تعالى- في السماء؟ وما معنى صعود ورفع الكلم والعمل الصالح إليه- سبحانه-؟

والجواب: أن لفظ الكتاب قد ورد بأن الله في السماء؛ قال- تعالى- ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾[3]. ومعنى ذلك أنه فوق السماء، لا على معنى فوقية المتمكن في المكان؛ لأن ذلك صفة الجسم المحدود المحدث. ولكن بمعنى ما وصف به أنه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة. وليس معنى صعود الكلم الطيب إليه صعود من سفل إلى علو لاستحالة ذلك على الكلام لكونه عرضاً لا يبقى، وإنما معنى صعود الكلم الطيب

---

(١) من الآية (٢٧) من سورة الأحزاب، وانظر: مسائل الرازي ٢٨٧، وفتح القدير ٤/ ٣٤٠.

(٢) من الآية (١٠) من سورة فاطر.

(٣) من الآية (١٦) من سورة الملك.

إليه قبوله له ووقوعه عنه موضع الجزاء والثواب. وقوله (يَرْفَعُهُ) لا على معنى رفع من مكان إلى مكان، ولكن رفع له على معنى أنه قد تقبل، وأن الكلام إذا اقترن به العمل الصالح قُبلا دون أن ينفرد الكلام عن العمل. ومن هذا الباب قوله- تعالى- ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[1]. فليس على معنى أنه ارتفع إليه كما يرتفع الجسم من سفل إلى جسم في علو بأن يقرب منه بالمسافة والمساحة، بل المعنى رفع إلى الموضع الذي لا يُعبد فيه إلا الله، ولا يذكر فيه غيره[2]. فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب مسافة وإدناء.

***

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾[3].

ما معنى ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ ؟

والجواب: أنه سماه معمراً باعتبار ما هو سائر إليه، والمعنى: وما يعمر من أحد، أي: ولا يطول عمر أحد[4].

***

قال الله- سبحانه- ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا

(١) من الآية (١٥٨) من سورة النساء.

(٢) تأويل مشكل الحديث ١٧٨-١٧٩.

(٣) من الآية (١١) من سورة فاطر.

(٤) مسائل الرازي ٢٨٧، ومجمع البيان المجلد الخامس ٢٢/ ٢٣٣.

خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[1].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف قال: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وكم من أمة كانت في الفترة بين عيسى ومحمد- عليهما السلام- ولم يكن فيها نذير؟

الثاني: أن الرسل ترسل بالبشارة والنذارة، فكيف اكتفى بأحدهما؟

والجواب عن الأول: أنه إذا كانت آثار النذارة باقية من نبي أو عالم يبلغ عنه، لم تخل من نذير؛ إلى أن تندرس؛ وحين اندرست آثار نذارة عيسى- عليه السلام- بعث محمد- صلى الله عليه وسلم-.

والجواب عن الثاني: أن البشارة والنذارة قريبان؛ لا يذكر أحدهما إلا ويسبق إلى الذهن ذكر الآخر؛ وقد ذكرا في صدر الآية فاكتفي في عجزها بالإنذار؛ لأنه الأهم المقصود من البعثة، ولأنه ألصق بالمقام[2].

***

يقول المولى- جل شأنه- ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ

(١) الآية (٢٤) من سورة فاطر.

(٢) مسائل الرازي ٢٨٧، وتفسير البيضاوي ٢/ ٢٧١.

﴿هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا . . .﴾[1].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف يكون من اصطفاه الله- ظالماً لنفسه؟ فقد جعل الظالم لنفسه من ذلك القسم؛ وهو ممن اصطفاهم الله من العباد؟

الثاني: كيف قدم الظالم على المقتصد، وقدمهما على السابق، مع أن المقتصد أفضل من الظالم لنفسه، والسابق أفضل منهما؟

والجواب عن الأول: أن التقسيم راجع إلى العباد؛ أي: فمن عبادنا ظالم لنفسه- وهو الكافر- ويكون ضمير (يَدْخُلُونَهَا) عائداً على المقتصد والسابق.

وقيل: المراد بالظالم لنفسه: المقتصد في العمل بالكتاب؛ وهو المرجأ لأمر الله، وليس من ضرورة ورثة الكتاب مراعاته حق رعايته؛ لقوله- تعالى- ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾[2]. وهذا فيه نظر؛ لأن ظلم النفس لا يناسب الاصطفاء.

وقيل: الظالم لنفسه هو صاحب الكبائر.

وقيل: الظالم لنفسه هو الذي عمل الصغائر؛ لأن عمل الصغائر لا

---

(١) الآيتان (٣٢، ٣٣) من سورة فاطر.

(٢) من الآية (١٦٩) من سورة الأعراف.

ينافي الاصطفاء، ولا يمنع من دخول صاحبه مع الذين يدخلون الجنة. ووجه كونه ظالماً لنفسه أنه نقصها من الثواب بما فعل من الصغائر المغفورة له؛ فإنه لو عمل مكان تلك الصغائر طاعات، لكان لنفسه فيها من الثواب حظّاً عظيماً.

والمعنى اللغوي للظالم لنفسه: يصدق على الظلم للنفس بمجرد حرمانها من الحظ، وتفويت ما هو خير لها. فتارك الاستكثار من الطاعات قد ظلم نفسه باعتبار ما فوتها من الثواب، وإن كان قائماً بما أوجب الله عليه، تاركاً لما نهاه الله عنه فهو من هذه الحيثية ممن اصطفاه الله، ومن أهل الجنة. فلا إشكال في الآية. ومن هذه قول آدم- عليه السلام- ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا ﴾[1]. وقول يونس- عليه السلام- ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

ومعنى المقتصد: هو من يتوسط في أمر الدين؛ ولا يميل إلى جانب الإفراط أو التفريط وهذا من أهل الجنة. أما السابق: فهو الذي سبق غيره في أمور الدين؛ وهو خير الثلاثة[3]. وهذا أولى.

والجواب عن الثاني: إن التقديم لا يقتضي التشريف؛ كما في قوله-

(١) من الآية (٢٣) من السورة السابقة.

(٢) من الآية (٨٧) من سورة الأنبياء.

(٣) فتح القدير ٤/ ٣٤٩.

تعالى- ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[1]. ونحوها من الآيات القرآنية التي فيها تقديم أهل الشر على أهل الخير؛ وتقديم المفضولين على الفاضلين.

وقيل: وجه التقديم هنا: أن المقتصدين بالنسبة إلى أهل المعاصي قليل، والسابقين بالنسبة إلى الفريقين أقل قليل، فقدم الأكثر على الأقل.

والأول أولى؛ فإن الكثرة بمجردها لا تقتضي التقديم في الذكر.

وقيل: إنما قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته؛ وأخر السابق لئلا يعجب بعمله.

وقيل: إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس؛ لأن أحوال الناس ثلاث: معصية وغفلة، ثم التوبة؛ ثم القربة؛ فإذا عصى فهو ظالم؛ وإذا تاب فهو مقتصد؛ وإذا صحت توبته، وكثرت مجاهدته اتصل بالله وصار من جملة السابقين.

وقيل: بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه؛ فإن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء،ثم ثنى بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكر الله؛ وكلهم في الجنة.

***

(١) من الآية (٢٠) من سورة الحشر.

قال الله- تعالى- ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾[1].

ما الفائدة من نفي اللغوب مع أن انتفاءه يعلم من نفي النصب؛ لأن انتفاء السبب يستلزم نفي المسبب؟

والجواب: أن انتفاء التابع- وإن كان يعلم من نفي المتبوع- لكنه نفاه بعد ذلك قصداً للمبالغة في بيان انتفائه.

وقيل: النصب: تعب البدن، واللغوب: تعب النفس. وهذا على أن اللغوب هو نتيجة النصب من الفتور الحاصل بسبب النصب- وهو المشقة. فالنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب؛ أي: لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء؛ وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم أنه لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم[2]. وعلى هذا فنفي أحدهما لا يدل على انتفاء الآخر.

***

قال الله- عز وجل- ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ﴾[3].

---

(١) الآية (٣٥) من سورة فاطر.

(٢) الفتوحات ٣/ ٤٩٦، وابن كثير ٣/ ١٥٠، ومسائل الرازي ٢٨٧.

(٣) من الآية (٣٧) من سورة فاطر.

كيف قيّد العمل الصالح بهذا القيد؛ وهو يوهم أنهم عملوا صالحاً مع أنهم ما عملوا صالحاً قط، بل سيئاً؟

والجواب: أن تقييد العمل الصالح بالوصف المذكور؛ للتحسر على ما عملوا من غير الأعمال الصالحة، عندما تحقق لهم أن ما عملوا من عمل صار هباءً منثوراً؛ وإشعاراً بأن استخراجهم لتلافيه.

والمعنى: رُدنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التي تأمرنا بها، فنؤمن بدل الكفر، ونطع بدل المعصية، ونعمل الحسنات غير الذي كنا نعمل من السيئات [1].

***

(١) مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٢/ ٢٤٨، البيضاوي ٢/ ٢٧٣، وفتح القدير ٤/ ٣٥٤.

سورة يس

قال الله- تبارك وتعالى- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾[1].

وقال- جلّت حكمته- ﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾[2].

كيف أكد باللام في الآية الأولى دون الثانية؟

والجواب: أن الأول: ابتداء إخبار؛ فلم يحتج إلى التأكيد باللام؛ بخلاف الثاني؛ فإنه جواب بعد الإنكار والتكذيب؛ فاحتاج إلى التأكيد باللام[3].

***

قال- عز من قائل- ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[4].

كيف أضاف الفطر إلى نفسه؛ وأضاف البعث إليهم، مع علمه بأن الله- تعالى- فطره وفطرهم، وسوف يبعثه ويبعثهم؛ فهلا قال: فطرنا، وإليه نرجع. أو: فطركم وإليه ترجعون؟

---

(١) الآية (١٤) من سورة يس.

(٢) الآية (١٦) من السورة السابقة.

(٣) مسائل الرازي ٢٨٨.

(٤) الآية (٢٢) من سورة يس.

والجواب: أن الخلق والإيجاد نعمة من الله- تعالى- توجب الشكر. والبعث بعد الموت وعيد وتهديد يوجب الزجر. فكانت إضافته النعمة إلى نفسه أظهر في الشكر؛ وإضافته البعث إليهم أبلغ في الزجر.

وهذا تلطف بهم في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه؛ ليكون الكلام أسرع قبولاً؛ حيث أراهم أنه اختار لهم ما يختار لنفسه بقوله ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ أي: مانع من جانبي يمنعني من عبادة الذي خلقني؛ ثم رجع إلى خطابهم بقوله ﴿ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ لبيان أنه ما أراد نفسه، بل أرادهم بكلامه. وفي ذلك تقريع لهم على ترك عبادة خالقهم [١].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ [٢].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: ما الفائدة من مناداة الحسرة؛ والحسرة مما لا يجيب؟

الثاني: أن الحسرة هي أن يركب الإنسان- من شدة الندم- ما لا

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٨، وفتح القدير ٤/ ٣٦٥، والفتوحات ٣/ ٥٠٨.

(٢) الآية (٣٠) من سورة يس.

نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيراً؛ فكيف قال ذلك؛ والتحسر من الله- تعالى- محال؟

والجواب عن الأول: أن النداء باب تنبيه؛ فإذا قلت للمخاطب: أنا أعجب مما فعلت؛ فقد أفدته أنك متعجب؛ وإذا قلت: واعجباه مما فعلت؛ ويا عجباه تفعل كذا دعاؤك كان أبلغ في الفائدة؛ والمعنى: يا عجب أقبل!! يا ويل زيد!! لم فعل كذا؟ وكذلك في كتاب الله- تعالى- ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾[1]. ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾[2]. ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾[3].

والجواب عن الثاني: أن التحسير للخلق؛ وليس تحسراً من الله- تعالى-، والمعنى: قولوا يا حسرتنا على أنفسنا؛ أو يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعوا من أمر- الله- وفرطوا في جنب الله، أي: يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب؛ كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله.

وقيل: إن التحسر عليهم هو من الله- عز وجل- بطريق الاستعارة لتعظيم جرمهم؛ وحينئذ تكون كالألفاظ التي وردت في حق الله؛ كالضحك والنسيان والسخرية والتعجب والتمني. والمعنى أنهم حلوا

(١) من الآية (٣١، ٧٢) من سورتي المائدة وهود.

(٢) الآية (٥٦) من سورة الزمر.

(٣) مجمع البيان المجلد الخامس ١٩/٢٣.

محل من يتحسر عليه.

وقيل: إن هذا من كلام الرجل المذكور؛ أو الملائكة أو المؤمنين.

وقيل: إنهم لما عاينوا العذاب قالوا: يا حسرة على العباد، يعني: على الرسل حيث لم نؤمن بهم؛ فتمنوا الإيمان وندموا حين لم تنفعهم الندامة [1].

***

قال الله- عز وجل- ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [2].

كيف نفى- سبحانه- الإدراك عن الشمس للقمر دون عكسه وهو: ولا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس؟

والجواب: لأن سير القمر أسرع، فإنه يقطع فلكه في شهر، والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة. فكانت الشمس جديرة بأن توصف بنفي الإدراك لبطء سيرها، والقمر خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره.

ويرد عليه: أن سرعة سير القمر، تناسب أن ينفي الإدراك عنه؛ لأنه إذا قيل: لا القمر ينبغي له أن يدرك الشمس مع سرعة سيره، علم بالطريق الأولى أن الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر مع بطء سيرها.

---

(١) ابن كثير ٣/ ١٦١، والفتوحات ٣/ ٥١٠.

(٢) الآية (٤٠) من سورة يس.

فأما إذا قيل: لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر؛ أمكن أن يقال: إنما لم تدركه لبطء سيرها؛ فأما القمر فيجوز أن يدركها لسرعة سيره[١].

وقيل: المعنى لا يصح ولا يمكن للشمس أن تدرك القمر في سرعة السير، وتنزل في المنزل الذي ينزل فيه القمر؛ لأن لكل واحد منهما سلطان على انفراده؛ فلا يتمكن أحدهما من الدخول على الآخر.

وقيل: لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا ذهب هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا[٢].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[٣].

المعنى: وآية لأهل مكة أنا حملنا ذريتهم؛ أو ذرية نوح- عليه السلام- والذرية: اسم للأولاد، والمحمول في سفينة نوح- عليه السلام- آباء أهل مكة لا أولادهم، فكيف قال ذلك؟

والجواب: أن الذرية من أسماء الأضداد؛ تطلق على الآباء والأولاد، وسميت الآباء ذرية؛ لأن منهم ذر الأولاد، بدليل قوله- تعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٨-٢٨٩.

(٢) ابن كثير ٣/ ١٦٣، وفتح القدير ٤/ ٣٧٠.

(٣) الآية (٤١) من سورة يس.

ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]. فقد وصف جميع المذكورين بكونهم ذرية، وبعضهم آباء، وبعضهم أبناء؛ فمعناه: حملنا آباء أهل مكة أو حملنا أبناءهم؛ لأنهم كانوا في ظهور آبائهم المحمولين.

وقيل الذرية هم: الصبيان والنساء والفلك هي السفن الجارية في البحار. وخص الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم؛ ولأنهم لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال. فسخر الله لهم السفن ليمكن الحمل في البحر، والإبل: ليمكن الحمل في البر[2].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[3].

يعنون الوعد بالبعث والجزاء أو بنزول العذاب. فكيف قال ذلك، والوعد كان واقعاً لا منتظراً؟

والجواب: أن المعنى: متى إنجاز وصدق هذا الوعد الذي تعدنا؟ بحذف المضاف، أو بإطلاق اسم الوعد على الموعود، كضرب الأمير

(١) الآية (٣٣، ٣٤) من سورة آل عمران.

(٢) مسائل الرازي ٢٨٩، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ٢٧.

(٣) الآية (٤٨) من سورة يس.

ونسج اليمن؟[1]

* * *

يقول- جل شأنه- ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَاۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[2].

كيف طابق الجواب السؤال؟

والجواب: أن المعنى: بعثكم الرحمن الذي وعدكم بالبعث، وأنبأكم به الرسل، إلا أنه جيء به على طريقة أسلوب الحكيم؛ للإشارة إلى أن الذي يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث، وفي ذلك تبكيت لهم وتوبيخ[3].

***

قال الله- تعالى- في صفة أهل الجنة ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴾[4].

كيف يكونون في ظلال؛ والظل إنما يكون حيث تكون الشمس؛

---

(١) مسائل الرازي ٢٨٩.

(٢) الآية (٥٢) من سورة يس.

(٣) مسائل الرازي ٢٨٩، والفتوحات ٣/ ٥١٩.

(٤) من الآية (٥٦) من سورة يس.

والجنة لا يكون فيها شمس؛ لقوله- تعالى- ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [١].

والجواب: أن ظل أشجار الجنة من نور العرش؛ لئلا تبهر أبصار أهل الجنة، فإنه أعظم من نور الشمس. وقيل من نور قناديل العرش.

وقيل: في ظلال تسترهم من نظر العيون إليهم.

وقيل المراد بالظلال: أكنان القصور [٢].

***

يقول المولى- سبحانه- ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [٣].

كيف سمى- سبحانه- نطق اليد كلاماً؛ ونطق الرجل شهادة؟

والجواب: أن اليد كانت مباشرة، والرجل كانت حاضرة، وقول الحاضر على غيره شهادة، وقول الفاعل على نفسه ليس بشهادة، بل إقرار بما فعل.

واعترض على هذا، بأن الأرجل قد تكون مباشرة للمعصية، كما تكون الأيدي مباشرة لها، والأولى أن يقال: إن هذا باعتبار الغالب.

---

(١) من الآية (١٣) سورة الدهر.

(٢) مسائل الرازي ٢٨٩، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ٣٣، فتح القدير ٤/ ٣٧٦.

(٣) الآية (٦٥) من سورة يس.

وأقول: القول على الغير شهادة؛ ونطق الأيدي والأرجل وسائر الأعضاء على صاحبها شهادة، قال- تعالى-﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[1].

ولكنه- سبحانه- سمى نطق اليد كلاماً، ونطق الرجل شهادة هنا؛ وسماهما شهادة في موضع آخر من باب التلوين في الأسلوب والتنويع في الألفاظ؛ والجمع بين النطق والشهادة، إمكانية الكلام، قال- تعالى-﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[2].

* * *

يقول- تبارك وتعالى-﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ ﴾[3].

المعلوم من حال كثير ممن يعمر: أنه لا ينكس في الخلق؛ فكيف صحة ذلك؟

والجواب: أن التعمير هو تطويل العمر؟ وإطالة العمر قد تختلف؛ فإذا بلغ حدّاً مخصوصاً فلا بد من أن ينكسه في الخلق فتتغير أحواله[4].

***

(١) الآية (٢٠) من سورة فصلت.

(٢) الآية (٢٤) من سورة النور.

(٣) من الآية (٦٨) من سورة يس.

(٤) تنزيه القرآن ٣٥٠.

قال الله- عز وجل- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[١].

كيف نفى عنه تعليم الشعر؛ وهو- صلى الله عليه وسلم- أفصح العرب؟ وكيف نفى عنه ذلك؛ وقد روي عنه ما هو شعر، وهو قوله- صلى الله عليه وسلم- «أنا النبي لا كذب. أنا ابن عبد المطلب»[٢] وقوله: «هل أنت إلا أصبع دميت. وفي سبيل الله ما لقيت»[٣].

والجواب عن الأول: أن المراد ما علمناه إنشاء الشعر؛ فيكون حاله كحال من اتسع في معرفة اللغة، فما هو منهم. ولا يجوز حمله على أنه لم يكن يعرف أوزان الشعر، أو لم يكن يحفظ الشعر. فإنه كان يحفظه ولا ينطق به. فإذا صار ذلك عادة له معروفة، أبعد من التهمة فيما جعله الله معجزة له؛ ولذلك قال تعالى- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[٤].

والجواب عن الثاني: أن هذا ليس بشعر؛ لأن الخليل لم يعد مشطور الرجز شعراً، قوله «هل أنت إلا أصبع دميت» من مشطور بحر الرجز؛ كيف وقد روي أنه- صلى الله عليه وسلم- قال: «دميت ولقيت» بفتح

---

(١) الآية (٦٩) من سورة يس.

(٢) البخاري ٤/ ٣٧، ومسلم في الجهاد ٧٨.

(٣) البخاري ٤/ ٣٢، مسلم في الجهاد ١١٢.

(٤) من الآية: ٦٩، من سورة يس.

الياء وسكون التاء؛ وعلى هذا لا يكون شعراً، وإنما الراوي حرفه فصار شعراً.

وقيل: إن حد الشعر قول معروف مقفى مقصود به الشعر، والقصد منتفٍ فيما روي عنه- صلى الله عليه وسلم- فكان كما يتفق وجوده في كل كلام منثور من الخطب والرسائل، ومحاورات الناس، ولا يعده أحد شعراً.

وقيل: إن معنى الآية: وما علمناه الشعر بتعليم القرآن، وما ينبغي للقرآن أن يكون شعراً؛ فإن نظمه ليس بنظم شعر [١].

وأقول: ويدل عليه قوله- تعالى- بعد ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ [٢].

***

قال الله- عز وجل- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ [٣].

كيف أسند الفعل إلى اليد؛ والله- تعالى- منزه عن الجارحة؟

---

(١) تنزيه القرآن ٣٥٠، وأقول: ومما يدل على أنه لم يكن يعلم الشعر قوله-صلى الله عليه وسلم- للبراء بن عازب: «إن فلاناً هجاني؛ وهو يعلم أني لست بشاعر فاهجه، اللهم والعنه عدد ما هجاني» وكونه لا يعلم الشعر لا ينافي كونه أفصح العرب؛ وهل لا بد لأفصح العرب من قول الشعر؟!!

(٢) مسائل الرازي ٢٩٠، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ٣٨.

(٣) من الآية (٧١) من سورة يس.

والجواب: أن ذلك كناية عن الانفراد بخلق الأنعام، والاستقلال به من غير شريك، كما يُقال في الحب وغيره من أعمال القلب: هذا مما عملته يداك، ويقال لمن لا يد له: يداك أو يديك، وكذا قوله تعالى﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[1].

وفي هذا الجواب: نفي ما أثبته الله لنفسه من صفة اليد وهذا مخالف لعقيدة أهل السنة والجماعة: فهم يثبتون لله ما أثبت لنفسه من غير تعطيل ولا تأويل ولا تجسيم ولا تشبيه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

* * *

قال الله- تعالى-﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾[2].

كيف سمى ذلك مثلاً، وهو ليس بمثل، وإنما استفهام إنكاري؟

والجواب: أنه سماه مثلاً لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل؛ وهو إنكار الإنسان قدرة الله- تعالى- على إحياء الموتى، مع أن العقل والنقل كلاهما يشهد بقدرة الله على ذلك.

---

(١) من الآية (٧٥) من سورة ص. وانظر مسائل الرازي ٢٩١.

(٢) الآية (٧٨) من سورة يس.

وقيل معنى (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) أي: ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي، وفته بيده، وتعجب ممن يقول: إن الله يحييه [١]. وكأنه قال: كما أنه يبعد أن يعود العظم البالي كما كان؛ يبعد أن تدب الحياة في الإنسان بعد أن صار تراباً.

***

قال الله- تعالى- ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [٢].

والجواب: أنه قال (ٱلْأَخْضَرِ) مراعاة للفظ الشجر؛ وقرئ (الخضر) مراعاة للمعنى. واسم الجنس: يجوز تذكيره وتأنيثه، قال- تعالى- ﴿ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴾ [٣] وقال- تعالى- ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ وقال- تعالى- ﴿ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴾ [٤]. وقال ﴿ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [٥].

***

---

(١) مسائل الرازي ٢٩١، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ٤٢..

(٢) الآية (٨٠) من سورة يس.

(٣) من الآية (٦٦) من سورة الصافات، والآية (٥٣) من سورة الواقعة.

(٤) من الآية (٢٠) من سورة القمر.

(٥) من الآية (٧) من سورة الحاقة، وانظر: زاد المسير ٧/ ٤٢، وفتح القدير ٤/ ٣٨٣.

سورة الصافات

قال الله- تعالى-﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[١].

كيف وجه قراءة الضم؟ والتعجب روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء؛ والله- تعالى- لا تجوز عليه الروعة؟

والجواب: أن المراد بالتعجب: الاستعظام؛ وهو جائز من الله- تعالى- كما استعظم كيد النساء، وإنكار المعجزات من الأنبياء. وإضافة العجب إلى الله- تعالى- ورد به الخبر؛ كقوله: «عجب ربكم من شاب ليس له صبوة»[٢]؛ «وعجب ربكم من ألكم وقنوطكم»[٣].

ويكون ذلك على وجهين: عجب مما يرضى ومعناه: الاستحسان والخبر عن تمام الرضا؛ وعجب مما يكره ومعناه: الإنكار له والذم. ونظيره قوله- تعالى-﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾[٤]. وقوله-﴿ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ ﴾[٥]. وما أشبهه؛ فإنكار هذه القراءة غلط؛ لأن العجب من الله- تعالى- خلاف العجب من المخلوقين.

---

(١) الآية (١٢) من سورة الصافات.

(٢) زاد المسير ٧/ ٥٠، الكامل في الضعفاء ٤/ ١٤٦٥ ط. دار الفكر بيروت.

(٣) الأل بالفتح: أشد القنوط، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٧٠ ط. دار الكتب المصرية.

(٤) من الآية (٥٤) من سورة آل عمران.

(٥) من الآية (٧٩) من سورة التوبة.

وكان شريح- رحمه الله- يقرأ بالفتح ويقول: إن الله- تعالى- لا يعجب من شيء؛ وإنما يعجب من لا يعلم، فقال: إبراهيم النخعي: إن شريحاً كان يعجبه علمه؛ وعبد الله أعلم منه، وكان يقرأ بالضم؛ يريد: عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-.

وقيل: معنى القراءتين واحد؛ والتقدير: قل يا محمد: (بل عجبت)؛ لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- مخاطب بالقرآن؛ قال النحاس: وهذا قول حسن؛ وإضمار القول كثير.

والذي وقع منه العجب: إما كفرهم بالقرآن، وإما إنكارهم البعث[1].

***

يقول- سبحانه-﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾[2].

النظر إنما يُعدى بإلى، كما قال- تعالى-﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ ﴾[3]. وكما قال-﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾[4] فكيف عداه بفي؟ ولم لا يجوز النظر في علم النجوم؛ مع أن إبراهيم- عليه السلام- قد نظر فيه وحكم

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٢، فتح القدير ٤/ ٣٨٨، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ٥١.

(٢) الآيتان (٨٨، ٨٩) من سورة الصافات.

(٣) من الآية (١٤٣) من سورة الأعراف.

(٤) من الآية (٥٠) من سورة الروم.

منه؟ وكيف قال: (إِنِّي سَقِيمٌ)ولم يكن سقيماً؟

والجواب عن الأول: أن (فِي) هنا بمعنى إلى؛ كما في قوله- تعالى- ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾[1].

وقيل المراد بالنظر: نظر الفكر لا نظر العيون، ونظر الفكر إنما يعدى بفي كما في قوله- تعالى- ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[2]. فصار المعنى: ففكر في علم النجوم؛ أو في حال النجوم.

والجواب عن الثاني: أن المعنى: سأسقم كما في قوله- تعالى-﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ ﴾[3]. فهو من معاريض الكلام، قاله ليتخلف عنهم إذا خرجوا إلى عيدهم فيكيد أصنامهم.

وقيل: أعلمه الله- تعالى- أنه يمتحنه بالسقم إذا طلع نجم كذا؛ فلما رآه علم أنه سقيم.

وقيل المعنى: إني سقيم القلب عليكم إذا عبدتم الأصنام، وتكهنتم بنجوم لا تضر ولا تنفع.

وقيل: إنه عرض له مرض؛ وكان سقيماً حقيقة.

---

(١) من الآية (٩) من سورة إبراهيم.

(٢) من الآية (١٨٥) من سورة الأعراف.

(٣) من الآية (٣٠) من سورة الزمر.

وقد جوّز بعض الناس الكذب في: المكيدة في الحرب، والتقية؛ وإرضاء الزوج؛ والصلح بين المتخاصمين، والمتهاجرين.

والصحيح: أن الكذب حرام؛ إلا إذا عرض بقوله وورّى؛ وإبراهيم- عليه السلام- عرَّض بقوله وورّى؛ فإنه أراد: أن مَنْ في عنقه الموت: سقيم، كما قيل في المثل: كفى بالسلامة داءً.

والجواب عن الثالث: أنه إذا كان المنجم كإبراهيم في أن الله- تعالى- أراه ملكوت السموات والأرض، أبيح له النظر في علم النجوم والحكم منه [1].

***

قال الله- تعالى- ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: ما معنى ذهاب إبراهيم- عليه السلام- إلى ربه؟

الثاني: كيف قال: (سَيَهْدِينِ) وقد كان مهتدياً؟ وكيف بت القول وقد ذكره موسى- عليه السلام- بصيغة التوقع حيث قال: ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٤.

(٢) الآية (٩٩) من سورة الصافات.

يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1]؟

والجواب عن الأول: أن المعنى: إني ذاهب إلى حيث أمرني ربي بالمهاجرة وهو الشام.

وقيل المعنى: إني ذاهب إلى طاعة ربي ورضاه.

وقيل المعنى: إني ذاهب إلى ربي؛ وإنما خصها بالإضافة إلى الله- تعالى- تشريفاً لها وتفضيلاً؛ لأنها أرض مقدسة مبارك فيها للعاملين؛ كما في قوله- تعالى-﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾[2]. وقوله- تعالى-﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾[3].

والجواب عن الثاني: أن المعنى: سيثبتني على ما أنا عليه من الهدى؛ ويزيدني هدىً.

وقيل المعنى: سيهديني إلى الجنة، أو إلى الصواب في جميع أحوالي؛ وإنما بت القول: لسبق وعده، أو لفرط توكله، أو للبناء على عادته معه؛ ولم يكن كذلك حال موسى- عليه السلام- حين قال: ﴿ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ فلذلك: ذكر بصيغة التوقع. ولا يقال: إنه قال ذلك

---

(١) من الآية (٢٢) من سورة القصص.

(٢) من الآية (١٨) من سورة الجن.

(٣) من الآية (٦٣) من سورة الفرقان.

قبل النبوة؛ لأنه قد قال- أيضاً ﴿ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[١] فيكون ذكره لصيغة التوقع حيث لم يسبق له وعد، ولما سبق له الوعد بت القول[٢].

* * *

قال الله- عز وجل- ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾[٣].

كيف شاور إبراهيم- عليه السلام- ولده في ذبحه؛ مع أنه حتماً عليه لأنه أمر به ربه؟ لأن معنى ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ﴾أنه أمر بذبحه- في المنام- ورؤيا الأنبياء حق؛ فإذا رأوا شيئاً في المنام فعلوه في اليقظة، والدليل على أن منامه كان وحياً بالأمر بالذبح قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ ﴾؟

والجواب: أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه في ذلك، ولكن ليعلم ما عنده من الصبر فيما نزل به من بلاء الله- تعالى- فيثبت قدمه إن جزع، ويأمن عليه الزلل إن صبر وسلَّم. وليعلم القصة فيوطن نفسه على الذبح ويهونه عليها، فيلقى البلاء وهو كالمستأنس به؛ ويكتسب الثواب بالانقياد والصبر لأمر الله- تعالى- قبل نزوله، وليكون سنة في المشاورة، فقد قيل:

---

(١) من الآية (٦٢) من سورة الشعراء.

(٢) مسائل الرازي ١٩٤، والبيضاوي ٢/ ٣٩٦، والفتوحات ٣/ ٥٤٥.

(٣) من الآية (١٠٢) من سورة الصافات.

لو شاور آدم الملائكة- عليهم السلام- في أكل الشجرة لما فرط منه ذلك[١].

***

يقول الله- تعالى- ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾[٢].

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: أين جواب لما؟

الثاني: كيف قال له ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ﴾؛ وإنما يكون مصدقاً لها لو وجد منه الذبح؛ ولم يوجد؟

والجواب عن الأول: أن جوابها محذوف تقديره: استبشرا واغتبطا وشكرا الله- تعالى- على ما أنعم به عليهما من الفداء؛ أو تقديره: سعدا؛ أو أجزل ثوابهما.

وقيل الجواب هو قوله- تعالى- (وَنَٰدَيْنَٰهُ) والواو زائدة.

والجواب عن الثاني: أن المعنى: قد فعلت غاية ما في وسعك مما يفعله الذابح من إلقاء ولدك؛ وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله-

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٥.

(٢) الآيات من (١٠٣-١٠٥) من سورة الصافات.

تعالى- منع الشفرة أن تقطع.

وقيل: إن الذي رآه في المنام: معالجة الذبح فقط؛ لا إراقة الدم؛ وقد فعل ذلك في اليقظة فكان مصدقاً للرؤيا [١].

***

قال الله- تعالى- في قصة إبراهيم- عليه السلام- ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٢].

لِمَ قال ذلك؛ وفي غيرها من القصص قبلها وبعدها: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [٣]؟

والجواب: أنه لما سبق في قصته- عليه السلام- ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ طرحه في الثاني تخفيفاً واختصاراً، واكتفاء بذكره مرة بخلاف سائر القصص [٤].

***

قال الله- عز وجل- ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٥.

(٢) الآية (١١٠) من سورة الصافات.

(٣) الآيات (٨٠، ١٠٥، ١٢١، ١٣١) من سورة الصافات.

(٤) مسائل الرازي ٢٩٥.

﴿أَجْمَعِينَ﴾[١].

كيف قال: ﴿لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ﴾ وقد كان من المرسلين قبل زمان التنجية؟

والجواب: أن قوله- (إِذْ نَجَّيْنَاهُ) لا يتعلق بما قبله؛ بل يتعلق بمحذوف تقديره: واذكر لهم يا محمد إذ نجيناه أو أنعمنا عليه إذ نجيناه.

وقيل المعنى: هو من المرسلين حتى في هذه الحالة[٢].

***

قال المولى- سبحانه- ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾[٣].

وقال- جل شأنه- ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٤].

فالآية الأولى: تصرح بنبذ يونس- عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- بالعراء، والآية الثانية تفيد بأن نعمة من ربه حالت بينه وبين نبذه، فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أن الامتناع المدلول عليه بحرف الامتناع الذي هو لولا، منصب على الجملة الحالية لا على جواب لولا، وتقدير المعنى: لولا أن

---

(١) الآيتان (١٣٣، ١٣٤) من سورة الصافات.

(٢) مسائل الرازي ٢٩٦.

(٣) الآية (١٤٥) من سورة الصافات.

(٤) الآية (٤٩) من سورة القلم.

تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء حال كونه- مذموماً، لكن تداركته نعمة ربه فنبذ بالعراء غير مذموم. فهذه الحال عمدة لا فضلة؛ أو أن المراد بالفضلة؛ ما ليس ركناً في الإسناد وإن توقفت صحة المعنى عليه ونظيرها قوله- تعالى- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾[(١)]. وقوله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ﴾ الآية[(٢)]. لأن النفي فيهما منصب على الحال لا على ما قبلهما[(٣)].

***

قال الله- تعالى- ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾[(٤)].

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: لِمَ كرر الأمر بالتولية والإبصار؟

الثاني: كيف قال أولاً: (وَأَبْصِرْهُمْ)؛ ثم قال ثانياً: (وَأَبْصِرْ)؟

والجواب عن الأول: أنه تكرار؛ فائدته: تأكيد التهديد والوعيد.

---

(١) الآية (٣٨) من سورة الدخان.

(٢) الآية (٢٧) من سورة ص.

(٣) راجع دفع إيهام الاضطراب ص٢٥٠.

(٤) الآيات من (١٧٤-١٧٩) من سورة الصافات.

وقيل: المراد من الآية الأولى: ذكر أحوالهم في الدنيا. والثانية: ذكر أحوالهم في الآخرة؛ فلا تكرار[1].

والجواب عن الثاني: أن معنى الأول (وَأَبْصِرْهُمْ) إذا نزل بهم العذاب؛ ومعنى الثاني: (وَأَبْصِرْ) العذاب إذا نزل بهم.

وقيل: إنه طرح ضمير المفعول من الثاني تخفيفاً واختصاراً واكتفاء بسبق ذكره مرة[2].

***

(١) مسائل الرازي ٢٩٦، وتفسير الخازن ٤/ ٢٩.

(٢) مسائل الرازي ٢٩٦.

سورة ص

قال الله- تعالى- ﴿ صٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾[1].

أين جواب القسم؟

والجواب: أنه لما ذكر حرفاً من حروف المعجم على سبيل التحدي والتنبيه على الإعجاز كما قيل في كل سورة مفتتحة بحرف؛ أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدي عليه؛ كأنه قال: والقرآن ذي الذكر؛ إنه لكلام معجز. وكذلك إذا كان الحرف مقسماً به، كأنه قال: أقسمت والقرآن ذي الذكر إن هذا الكلام معجز.

وقيل إن (ص) خبر مبتدأ محذوف على أنه اسم السورة. كأنه قال: هذه . يعني: هذه السورة التي أعجزت العرب والقرآن ذي الذكر. كما تقول: هذا حاتم والله. تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله.

وقيل: إن جواب القسم هو: صاد، لأن معناه: حق، إذ أن هذا الحرف مقتطع من جملة هو دال عليها. فهو جواب لقوله (وَٱلۡقُرۡءَانِ) كما تقول: حقّاً والله؛ وجب والله.

وهذا القول والذي قبله مبني على أن جواب القسم يجوز تقدمه

---

(١) الآية (١) من سورة ص.

وهو ضعيف في اللغة.

وجمهور المفسرين غير راضين عن تفسير حروف الهجاء بأنها مقتطعة من جملة تفهم من إشارة الحرف إليها.

وقيل: إن جواب القسم هو قوله- تعالى- بعد ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾[1] وأصله: لكم أهلكنا؛ فلما طال الكلام حذفت اللام تخفيفاً كما في قوله- تعالى- ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. . . . . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[2].

وقيل: إن جواب القسم هو قوله بعد: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[3]. وردّ ذلك بأنه لا يستقيم في العربية لتأخره جدّاً عن القسم[4].

***

قال الله- تعالى- ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[5].

ما المناسبة بين أمره- صلى الله عليه وسلم- بالصبر؛ وتذكره قصة داود- عليه السلام-.

(١) من الآية (٣) من السورة السابقة.

(٢) الآيات (١، ٩، ١٠) من سورة الشمس.

(٣) الآية (٦٤) من سورة ص.

(٤) مسائل الرازي ٢٩٦-٢٩٧، فتح القدير ٤/ ٤١٩، والفتوحات ٣/ ٥٦٠.

(٥) الآيتان (١٧) من سورة ص.

والجواب: أن المعنى: اذكر لهم قصته تعظيماً للمعصية في أعينهم؛ فإنه مع علو شأنه- واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات التي منها صوم يوم دون يوم، وقيام نصف الليل، والتسبيح بالعشي والإشراق لما أتى بصغيرة عاتبه الله عليها، وأرسل ملائكته بالتمثيل والتعريض حتى تفطن، فاستغفر ربه وأناب؛ فما الظن بالكفرة وأهل الطغيان؟!!

وقيل: إنه أمر أن يتقوى على الصبر والمصابرة وتحمل الأذى بذكر قصة داود على العبادة والطاعة؛ لئلا يلقاه من المعاتبة مثل ما وقع لداود- عليه السلام-[1].

***

قال الله- تبارك وتعالى- ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾[2].

كيف قال: ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: والملائكة لا يوجد منهم البغي والظلم، وكيف قال ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ وليس الأمر كذلك؟

والجواب: أنهما قالا ذلك على سبيل الفرض والتقدير؛ وقصد

(١) مسائل الرازي ٢٩٧، البيضاوي ٢/ ٣٠٦، والفتوحات ٥٦٤.

(٢) الآيتان (٢٢، ٢٣) من سورة ص.

التعريض؛ لا على تحقيق البغي من أحدهما؛ ومثل ذلك لا يُعد كذباً، كما تقول في تصوير المسائل: زيد له أربعون شاة؛ وعمرو له أربعون؛ وأنت تشير إليهما؛ فخلطاهما وحال عليها الحول؛ فكم يجب فيها؟ وليس لهما شيء؛ وتقول: لي أربعون شاة؛ ولك أربعون؛ فخلطناهما؛ وما لكم شيء"[1].

***

يقول المولى- سبحانه-على لسان داود- عليه السلام- ﴿. لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾[2].

كيف حكم داود- عليه السلام- على المدعى عليه بكونه ظالماً قبل أن يسمع كلامه؟

والجواب: أنه لم يحكم عليه إلا بعد اعترافه؛ إلا أنه حذف ذكر الاعتراف في القصة اختصاراً للدلالة عليه كما تقول العرب: أمرته بالتجارة فكسب الأموال، أي: فاتجر فكسب الأموال.

وقيل إن المعنى: إن كان الأمر كما تدعيه؛ لقد ظلمك بسؤاله إياك بضم نعجتك.

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٧، الخازن ٤/ ٣٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٠٧.

(٢) من الآية (٢٤) من سورة ص.

وقيل: إن خطيئة داود في قوله (لَقَدْ ظَلَمَكَ) لأنه قال ذلك قبل أن يتثبت [١].

***

قال الله- عز وجل- ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ [٢].

لِمَ كرر الحب؛ وما السر في تعديته بعن؛ وظاهره أحببت حبّاً مثل حب الخير؛ كما تقول: أحببت حب زيد، أي: أحببت حبّاً مثل حب زيد؟

والجواب: أن أحببت في الآية بمعنى: آثرت؛ كما يقول المخير بين شيئين: أحببت هذا، أي: آثرته. وقد جاء استحب بمعنى: آثر، كما في قوله تعالى- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [٣]. أي: آثروه؛ لأن من أحب شيئاً فقد آثره على غيره. وجاء (عن) بمعنى: على كما في قوله- سبحانه- ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [٤]. فيصير المعنى: أي آثرت حب الخير على ذكر ربي.

وقيل: إن أصل (أَحۡبَبۡتُ) أن يعدى بعلى؛ لأنه بمعنى آثرت؛ لكن لما أُنيب مناب أنبت عدى تعديته.

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٨، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ١٠٦، وفتح القدير ٤/ ٤٢٦.

(٢) من الآية (٣٢) من سورة ص.

(٣) من الآية (١٧) من سورة فصلت.

(٤) من الآية (٣٨) من سورة محمد.

وقيل: إن أحببت بمعنى قعدت وتأخرت؛ مأخوذ من أحب الجمل: إذا برك؛ وكل من ترك شيئاً وتجنب أن يفعله فقد قعد عنه. فتأويل الآية: إني قعدت عن ذكر ربي لحب الخير؛ فيكون انتصاب حب على أنه مفعول له [1].

***

قال- جل وعلا- على لسان سليمان- عليه السلام- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [2].

كيف طلب سليمان- عليه السلام- هذا وهو أشبه بالحسد والبخل بنعم الله على عبيده بما لا يضر سليمان- عليه السلام-؟

والجواب: أن المراد به: لا ينبغي لأحد أن يسلبه مني في حياتي كما فعله الشيطان الذي لبس خاتمه وجلس على كرسيه. وردَّ هذا بأنه من الإسرائيليات التي تتعارض مع عصمة الأنبياء - عليهم السلام -.

وقيل: إن الله- تعالى- أعلمه أنه لا يقوم غيره من عباده بمصالح ذلك الملك، فاقتضت حكمته تخصيصه به؛ فألهمه أن يسأله تخصيصه به.

وقيل: إنه أراد بذلك ملكاً عظيماً؛ فعبر عنه بتلك العبارة؛ ولم يقصد

---

(١) مسائل الرازي ٢٩٨، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ١٠٦، وفتح القدير ٤/ ٤٢٦.

(٢) الآيتان (٣٥، ٣٦) من سورة ص.

بذلك إلا عظم الملك وسعته؛ كما تقول: لفلان ما ليس لأحد مثله من الفضل أو من المال، وتريد بذلك عظم فضله أو ماله، وإن كان في الناس أمثاله.

وقيل: إنه التمس من الله – تعالى – آية لنبوته يبين بها من غيره، وأراد لا ينبغي لأحد غيره ممن هو مبعوث إليهم، ولم يرد من بعده إلى يوم القيامة من النبيين.

وقيل: إن التمس معجزة تختص به، كما أن موسى يختص بالعصا واليد البيضاء، وصالح بالناقة، ومحمد بالقرآن والمعراج، ويدل عليه ما روى مرفوعاً عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه صلى صلاة فقال: «إن الشيطان عرض لي ليفسد عليّ الصلاة فأمكنني الله منه فدفعته، ولقد هممت أن أوثقه إلى سارية حتى تصبحوا وتنظروا إليه أجمعين، فذكرت قول سليمان – عليه السلام – ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ﴾ فرده الله خاسئاً»(١).

وهذا القول: هو الصحيح؛ ويؤيده ذكر معجزات سليمان– عليه السلام– بعد هذا الدعاء.

* * *

(١). السنن لأبي عوانة ٢/ ١٤٣، ط بيروت، سنن الدار قطني ١/ ٣٦٥، الطباعة الفنية المتحدة.

قال الله تعالى حاكياً عن أيوب عليه السلام- ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

كيف مدح الله- سبحانه- أيوب- عليه السلام- ووصفه بالصبر، مع أن الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى- وقد شكى بقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[1]. وقوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[2].

والجواب: أن الشكوى إلى الله- تعالى- لا تنافي الصبر، ولا تسمى جزعاً، لما فيه من إظهار الخضوع والعبودية لله- جل جلاله- والافتقار إليه؛ ويؤيده قول يعقوب- عليه السلام- ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[3].

***

(١) من الآية (٤١) من سورة ص.

(٢) من الآية (٨٣) من سورة الأنبياء.

(٣) من الآية (٨٦) من سورة يوسف.

سورة الزمر

قال الله- تعالى- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (١).

لِمَ قال ذلك؛ وكم من كاذب كفار قد هداه الله- تعالى- فأسلم وصدق؟

والجواب: أن المعنى: لا يهديه إلى الإيمان مادام على كفره وكذبه.

وقيل المعنى: لا يهديه إلى حجة يلزم بها المؤمنين.

وقيل المعنى: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي) إلى طريق الجنة، أو لا يحكم بهدايته إلى الحق (مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ) على الله وعلى رسوله، (كَفَّارٌ) بما أنعم الله عليه، جاحد لإخلاص العبادة لله. ولم يرد به الهداية إلى الإيمان؛ لقوله سبحانه ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ (٢).

وقيل: إن هذا إخبار عمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية (٣).

***

---

(١) من الآية (٣) من سورة الزمر.

(٢) من الآية (١٧) من سورة فصلت.

(٣) مسائل الرازي ٣٠٠، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ١٣٧، وزاد المسير ٧/ ١٦٢.

يقول الله- سبحانه- ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾[1].

كيف يصلح هذا رداً لقول من ادعى أن لله- سبحانه- ولداً، مع أن كل من نسب إليه ولداً قال: إن الله اصطفاه من خلقه بجعله ولداً؛ فاليهود يدعون أنه عزير، والنصارى يدعون أنه المسيح- عليهما السلام-، وطائفة من مشركي العرب يدعون أن الملائكة بنات الله- سبحانه-؟

والجواب أن المعنى: لو أراد الله أن يتخذ ولداً- على ما يقوله هؤلاء- لاصطفى مما يخلق ما يشاء لذلك، على خلاف ما يزعمون، وما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا إليه من شاؤوا. وهذا شرط لايلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال؛ لأن اللازم- وهو الجزاء: وهو ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ . هنا باطل؛ لأنه يلزم منه أن يكون المخلوق- وهو الولد- جنساً من الخالق. وكونه جنساً منه: يستلزم حدوث الخالق؛ وهو ممتنع عقلاً ونقلاً؛ وأن الملزوم- وهو الشرط- وهو ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ باطل أيضاً، لأن بطلان اصطفاء الولد مما يخلق ما يشاء؛ يستلزم بطلان إرادته- تعالى- اتخاذ الولد.

ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم؛ كما قال- عز

---

(١) الآية (٤) من سورة الزمر.

وجل- ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[١]. فالمقصود تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه.

أو يقال: إن جعل هذا ردّاً على اليهود والنصارى؛ كان معناه: لاصطفى الولد من الملائكة لا من البشر؛ لأن الملائكة أشرف من البشر بلا خلاف بين اليهود ولا بين النصارى؛ وإن كان ردّاً على مشركي العرب كان معناه: لاصطفى له ولداً من جنس يخلق كل شيء ويريده ليكون ولداً موصوفاً لصفته؛ ولم يصطف من الملائكة الذين لا يقدرون على إيجاد جناح بعوضة.

ولا يرد على هذا: خلق عيسى- عليه السلام- الطير؛ لأنه ليس بعام؛ أو لأنه بمعنى التقدير من الطين؛ ثم الله- تعالى- يخلقه حيواناً ينفخ عيسى- عليه السلام- فيه إظهاراً لمعجزته[٢].

***

يقول الحق- تبارك وتعالى- ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٣].

خلق حواء من آدم- عليهما السلام- سابق على خلقنا منه؛ فكيف

---

(١) الآية (١٧) من سورة الأنبياء.

(٢) مسائل الرازي ٣٠٠، الفتوحات ٣/ ٥٨٩، ابن كثير ٣/ ٢١٢، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ١٣٨.

(٣) من الآية (٦) من سورة الزمر.

عطفه عليه بثم؟

والجواب: أن ثم هنا للترتيب في الإخبار لا في الإيجاد. كما تقول لصاحبك: أعطيتك اليوم كذا؛ ثم أعطيتك أمس أكثر منه، أي: أخبرك بكذا.

وقيل: إن ثم متعلقة بمعنى واحدة وعاطفة عليه لا على خلقكم فمعناه: خلقكم من نفس واحدة، وأفردت بالإيجاد، ثم شفعت بزوج.

وقيل: إن ثم على ظاهرها؛ لأن الله- تعالى- خلق آدم؛ ثم أخرج أولاده من ظهره كالذر، وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منه حواء. فالمراد بقوله- تعالى (خَلَقَكُمْ) خلقاً يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة؛ لأن هذا الخلق الذي نحن فيه بالتوالد والتناسل. ونظير هذه الآية قوله- تعالى- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1].

***

قال الله- تعالى- ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[2].

الأنعام مخلوقة في الأرض؛ فكيف أخبر أنها منزلة من السماء؟

---

(١) من الآية (١) من سورة النساء، وراجع مسائل الرازي ٣٠١.

(٢) من الآية (٦) من سورة الزمر.

والجواب: أن الله- تعالى- خلق الأزواج الثمانية في الجنة؛ ثم أنزلها على آدم- عليه السلام- بعد إنزاله إلى الأرض.

وقيل: إن الله- تعالى- أنزل الماء من السماء. والأنعام لا توجد إلا بوجود النبات، والنبات لا يوجد إلا بوجود الماء. فكأن الأنعام منزلة من السماء. ونظيره قوله- تعالى- ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾[1]. وإنما أنزل الماء الذي لا يوجد القطن والكتان والصوف إلا به.

وقيل: إن المعنى جعلها نزلاً ورزقاً لكم.

وقيل: إن أنزل بمعنى أنشأ وجعل وأحدث، أو بمعنى أعطى.

وقيل: إن معنى (وَأَنزَلَ لَكُم) أي: قضى؛ أو قسم لكم. فإن قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح المحفوظ[2].

***

---

(١) من الآية (٢٦) من سورة الأعراف.

(٢) مسائل الرازي ٣٠١، مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٣/ ١٤٢، البيضاوي ٢/ ٣١٧، وفتح القدير ٤/ ٤٥٠.

قال الله- تعالى- ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [١].

ما السر في هذا التكرار؟

والجواب: أنه لا تكرار؛ لأن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله- تعالى- بالإتيان بالعبادة وبالإخلاص فيها. والثاني: إخبار بأنه امتثل الأمر وانقاد، وعبد الله- تعالى-، وأخلص له الدين على أبلغ وجه وأوكده. والمعنى: الله أعبد، ولا أعبد أحداً غيره [٢].

وقد يرد سؤال هنا- أيضاً- فيقال: لم قال- في هذه الآية- مخلصاً له الدين (بأل)، وقال- بعد- ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ بالإضافة؟

والجواب: لأن قول (ٱللَّهَ أَعْبُدُ) إخبار عن المتكلم؛ فناسب الإضافة إليه، وقوله (أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ) ليس إخباراً عن المتكلم؛ بل الإخبار عنه أصله (أُمِرْتُ) فقط وما بعده فضلة [٣].

***

(١) الآيات من (١١-١٤) من سورة الزمر.

(٢) الخازن ٤/ ٥١، والفتوحات ٣/ ٥٩٤.

(٣) فتح الرحمن. مخطوط غير مرقم.

يقول الله- تبارك وتعالى- ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾[١].

كيف اجتمع في هذه الآية استفهامات بلا جواب؟

والجواب: أن هذا مما يراد به استفهام واحد؛ فسبق الاستفهام إلى غير موضعه الذي هو له فيكون المعنى: أفأنت تنقذ من في النار من حقت عليه كلمة العذاب؟ ومثله قوله- تعالى- ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾[٢]. فردّ أنكم مرتين؛ والمعنى: أيعدكم أنكم مخرجون إذا متم؟ ومثله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[٣]. فردّ (تَحْسَبَنَّ) مرتين؛ والمعنى: لا تحسبن الذين يفرحون بمفازة من العذاب.

وقيل: في الكلام محذوف تقديره: أمن حق عليه كلمة العذاب فيتخلص منه أو ينجو؛ أفأنت تنقذه؛ أي: أفأنت تخلصه مما قدر له فتجعله مؤمناً؟ والمعنى: ما تقدر على ذلك[٤].

***

(١) الآية (١٩) من سورة الزمر.

(٢) الآية (٣٥) من سورة المؤمنون.

(٣) من الآية (١٨٨) من سورة آل عمران.

(٤) زاد المسير ٧/ ١٧١.

قال الله- عز وجل- ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[(١)].

كيف يقسو القلب من ذكر الله وهو سبب لحصول النور والهداية؟

والجواب: أنهم كلما تلي ذكر الله على الذين يكذبون به، قست قلوبهم عن الإيمان به. فإن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر، كدرة العنصر، بعيدة عن قبول الحق، فإن سماعها لذكر الله لا يزيدها إلا قسوة.

وقيل: إن (مَنْ) ها هنا بمعنى عن؛ كما تقول: أُتخمت عن طعام أكلته؛ ومن طعام أكلته. وإنما قست قلوبهم من ذكر الله؛ لأنهم جعلوه كذباً فأقسى قلوبهم. ومن قال: قست قلوبهم عنه، أراد: أعرضت عنه. وقد قرئ (عن ذِكْرِ ٱللَّهِ) مكان قوله (مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ)[(٢)].

***

قال الله- تعالى- ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾[(٣)].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: أن المثاني: جمع مُثنى أو مَثنى؛ فكيف وصف الكتاب- وهو مفرد- بمثاني وهو جمع؟

(١) من الآية (٢٢) من سورة الزمر.

(٢) الخازن ٤/ ٥٣، وزاد المسير ٧/ ١٧٤.

(٣) من الآية (٢٣) من سورة الزمر.

الثاني: ما الحكمة في تكرار القصص، والواحدة قد كانت تكفي؟

والجواب عن الأول: أنه إنما صح ذلك؛ لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل؛ وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير. ألا تراك تقول: القرآن: أسباع وأخماس وسور وآيات؛ فكذلك تقول: أقاصيص وأحكام ومواعظ، ونظيره قولك: الإنسان عروق وعظام وأعصاب؛ إلا أنك تركب الموصوف إلى الصفة؛ وأصله: كتاباً متشابهاً فصولاً.

وقيل: إنه جعل تمييزاً من (مُّتَشَٰبِهًا) كقولك: رأيت رجلاً حسناً شمائله [١].

والجواب عن الثاني: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن؛ فيكون ذلك كافياً لهم. وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة؛ فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة مكررة؛ لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله- تعالى- أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض، ويلقيها إلى كل سمع [٢].

وأما تكرار الكلام من جنس واحد كقوله- تعالى- ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ

---

(١) الفتوحات ٣/ ٥٩٧، والبيضاوي ٢/ ٣٢١.

(٢) زاد المسير ٧/ ١٧٥.

رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (١). وقوله ﴿ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴾ (٢)، وقوله ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ (٣)، وقوله ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ (٤) فسيذكر في سورة الرحمن.

* * *

قال الله- تعالى- ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ ﴾ (٥).

لِمَ ذكر الضمير في (أُوتِيتُهُۥ) وهو النعمة؟

والجواب: أنه إنما ذكره نظراً إلى المعنى؛ لأن معنى نعمة: شيئاً من النعمة وقسماً منها.

وقيل: لأن النعمة والإنعام بمعنى واحد.

وقيل: لأن الضمير عائد إلى (ما) وهي موصولة (٦).

***

قال الله- عز وجل- ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ

---

(١) الآية (١٣) من سورة الرحمن وقد ذكرت إحدى وثلاثين مرة.

(٢) الآية (٣٤) من سورة القيامة.

(٣) الآية (١٧) من سورة الانفطار.

(٤) الآية (٣، ٥) من سورة الكافرون.

(٥) من الآية (٤٩) من سورة الزمر.

(٦) مسائل الرازي ٣٠٢، وفتح القدير ٤/ ٤٦٩.

وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

كيف صح أن تقع (بَلَىٰ) جواباً لغير منفي وهي مختصة بإيجاب النفي؛ ولا نفي في واحد من تلك المقالات؟

والجواب: أنه لما قال (لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي) وجوابه وهو (لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ) متضمناً نفي الهداية؛ لأنها للامتناع. كأنه قال: ما هداني الله؛ فيقال: بلى قد جاءتك آياتي مرشدة لك[2].

***

يقول الله- جل وعلا- ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[3].

لِمَ قال ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن ﴾ ولما أوحى إلى من قبله لم يكن في الوحي إليهم خطابه؟ وكيف وحد ضمير الخطاب في (أَشْرَكْتَ) والموحى إليهم جماعة؟

---

(١) الآيات من (٥٦-٥٩) من سورة الزمر.

(٢) الفتوحات الإلهية ٣/ ٦٠٦.

(٣) الآية (٦٥) من سورة الزمر.

والجواب: أن المعنى ولقد أوحى إلى كل واحد منك ومنهم (لَئِنْ أَشْرَكْتَ).

وقيل: إن فيه إضماراً تقديره: ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك التوحيد؛ ثم ابتدأ فقال: لئن أشركت...

وقيل إن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره: ولقد أوحي إليك لئن أشركت؛ وكذلك أوحي إلى الذين من قبلك [1].

***

قال الله- تعالى- ﴿. . . وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [2].

كيف قال ذلك: ويستحيل في وصفه- جل وعلا- أن يكون جسماً متبعضاً متجزئاً محدوداً؟

والجواب: أن معنى (قَبْضَتُهُ) أي: ملكه وسلطانه وتحت قدرته؛ كما يقال: ما فلان إلا بين أصبعيّ؛ إذا أراد الإخبار عن جريان قدرته عليه. والمراد: أنه يفني السموات والأرض بقدرته.

---

(١) مسائل الرازي ٣٠٢.

(٢) من الآية (٦٧) من سورة الزمر.

وقيل: يفنيها بيمينه أي: بقسمه التي أقسم بها ثم يعيدها [١].

***

يقول المولى- سبحانه-﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾[٢].

وقال- جلت حكمته-﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا ﴾[٣].

كيف عبر سبحانه- عن الذهاب بأهل الجنة والنار بلفظ السَّوْق وفيه نوع إهانة؟

والجواب: أن المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل. والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مواكبهم حثّاً وإسراعاً بهم إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على السلطان؛ فشتان ما بين السَّوْقين!!!

وقيل: إنما ذكر السوق للمتقين إلى الجنة على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم [٤].

***

(١) مشكل الحديث وبيانه ص ٩٥.

(٢) من الآية (٧١) من سورة الزمر.

(٣) من الآية (٧٣) من سورة الزمر.

(٤) مسائل الرازي ٣٠٢-٣٠٣، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٤/ ١٧٦.

يقول ربنا- جل ذكره- في حق الكافرين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[1].

وقال- جلت حكمته- في حق المتقين: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾[2].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: كيف ذكر وصف النار بغير واو، وقرن وصف الجنة بالواو؟

الثاني: أين جواب الشرط الثاني؟

والجواب عن الأول: أن الواو زائدة.

وقيل: إنها واو الثمانية؛ وأبواب الجنة ثمانية.

وقيل: إنها واو الحال؛ والمعنى: جاؤوها وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم، استعجالاً للفرح والسرور إذا رأوا الأبواب مفتحة؛ فالكريم: يعجل المثوبة ويؤخر العقوبة. ولأنهم لو وجدوا بابها مغلقاً لأثر- انتظار فتحه- في كمال كرم الكريم، فصين عنه أهل الجنة؛ بخلاف أبواب النار، فإنها إنما تفتح عند مجيئهم ليكون أشد لحرها؛ ولأن الوقوف على الباب

(١) من الآية (٧١) من سورة الزمر.

(٢) من الآية (٧٣) من سورة الزمر.

المغلق نوع ذل وهوان وهم له أهل[1].

والجواب عن الثاني: أن الجواب محذوف؛ والمقصود من الحذف: أن يدل على أنه بلغ في الكمال إلى حيث لا يمكن ذكره.

وقيل: إن الجواب هو قوله: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴾.

وقيل: إن الجواب محذوف تقديره: فادخلوها خالدين فدخلوها.. فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه.

وقيل: محذوف تقديره في آخر الآية: سُعدوا.

وقيل: إن الجواب: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ والواو زائدة[2].

***

(١) مسائل الرازي ٣٠٣.

(٢) تفسير الخازن ٤/ ٦٤، وزاد المسير ٧/ ٢٠١.

سورة المؤمن

قال الله – تعالى – : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[1].

كيف حصر الجدال في الذين كفروا، مع أن الذين آمنوا قد يجادلون أيضاً في آيات الله: هل هي منسوخة أم محكمة؟ وهل فيها مجاز أم كلها حقيقة؟ وهل هي مخلوقة أم غير مخلوقة؟ وغير ذلك؟

والجواب: أن المراد: الجدال فيها بالتكذيب؛ ودفعها بالباطل والطعن: يقصد إدحاض الحق؛ وإطفاء نور الله – تعالى – ويدل عليه قوله – تعالى – عقيبه: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[2]. فدل ذلك على أن الجدال نوعان: نوع مذموم؛ وهو: الجدال بالتكذيب والعناد، ونوع محمود وهو: الجدال لمعرفة الصواب والاهتداء للحق.

* * *

قال الله – جل وعلا – ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[3].

وقال – سبحانه وتعالى – ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ

---

(١) من الآية: ٤، من سورة غافر.

(٢) من الآية: ٥، من السورة السابقة، ومسائل الرازي ٣٠٣.

(٣) من الآية: ٧، من سورة غافر.

﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (١).

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: ما فائدة وصف حملة العرش بالإيمان؛ وهو مما لا يخفى على أحد؟

الثاني: كيف التوفيق بين استغفار الملائكة للذين آمنوا؛ واستغفارهم لمن في الأرض؟

والجواب عن الأول: أن فائدته: إظهار شرف الإيمان وفضله والترغيب فيه، كما وصف الأنبياء – عليهم السلام – بالصلاح والإيمان في غير موضع من كتابه لذلك، وكما عقب أعمال الخير بقوله – تعالى – ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ (٢).

والجواب عن الثاني: أن المراد: ويستغفرون لأهل الأرض الذين هم المؤمنون، لا لأهل السماء؛ لأن أهل الأرض هم المحتاجون إلى الاستغفار. ويحتمل أن يكون المراد: ويستغفرون لأهل الأرض لإزالة عذاب الاستئصال عنهم.

والأول: أقوى؛ لأن إحدى الآيتين يجب أن تبنى على الأخرى، كما

---

(١) من الآية: ٥، من سورة الشورى.

(٢) من الآية: ١٧، من سورة البلد، مسائل الرازي ٣٠٤.

يبنى المجمل على المفسر.

وقيل: إن آية (غافر) مخصصة لآية (الشورى): والمعنى: ويستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين؛ لوجوب تخصيص العام بالخاص[١].

وهو كسابقه؛ إذ لم يأت بجديد؛ وإن كان قد زاد الأمر إيضاحاً.

***

يقول الله – تعالى – ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾[٢].

كيف صح أن يسمى خلقهم – أمواتا – إماتة؟

والجواب: أن المراد بالإماتتين: أنهم كانوا نطفا لا حياة لهم في أصلاب آبائهم فأحياهم الله – تعالى – في الدنيا، ثم أماتهم بعد أن صاروا أحياء في الدنيا.

والمراد بالإحياءتين: أنه أحياهم الحياة الأولى في الدنيا؛ ثم أحياهم عند البعث؛ ولم يعدوا حياة السؤال لقصر مدتها. ووجه هذا القول: أن الإماتة جعل الشيء معدوم الحياة ابتداء؛ أو: بتصيير كالتصغير والتكبير. ولذلك قيل: سبحان من صغر البعوض وكبّر الفيل، وليس فيهما نقل من

---

(١) دفع إيهام الاضطراب، ص ٢٥٤.

(٢) الآية: ١١، من سورة غافر.

كبر إلى صغر؛ ومن صغر إلى كبر؛ وإنما أريد الإنشاء على تلك الصفات.

والسبب في صحته: أن الصغر والكبر: جائزان معاً على ذات المصنوع الواحد من غير ترجيح لأحدهما. وإذا اختار الصانع أحد الجائزين - وهو متمكن منهما على السواء - فقد صرف المصنوع عن الجائز الآخر؛ فجعل صرفه عنه كنقله منه. ومثل هذه الآية قوله - تعالى - ﴿ ....وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[1]. وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية.

وقيل: معنى الآية: أنهم أميتوا في الدنيا عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم الله في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم؛ ثم أحياهم الله في الآخرة للبعث. ووجه هذا القول: أن الموت سلب الحياة. ولا حياة للنطفة. فالإحياءان ما في القبر والبعث. إذ المقصود: اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به. ولذلك تسبب بقوله: ﴿ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا ﴾ فإن اعترافهم بها من اغترارهم بالدنيا وإنكارهم للبعث.

وقيل: إنما عدت أوقات البلاء والمحنة وهي أربعة: الموتة الأولى؛ ثم الحياة في القبر، ثم الموتة الثانية فيه، ثم الحياة للبعث. فأما الحياة الأولى

---

(١) من الآية: ٢٨، من سورة البقرة.

التي هي من الدنيا؛ فلم تعد لأنها ليست من أقسام البلاء[١].

***

يقول الحق - جلّ وعلا - ﴿ يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٢].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: أن الله - تعالى - لا يخفى عليه شيء في سائر الأيام: برزوا أم لم يبرزوا؛ فما وجه تخصيص ذلك اليوم؟

الثاني: أن الملك لله - تعالى - في هذا اليوم وفي سائر الأيام؛ فما وجه التخصيص؟

والجواب عن الأول: أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا - إذا استتروا بالحيطان والحجب - أن الله - تعالى - لا يراهم، وتخفى عليه أعمالهم. وهم في اعتقادهم أيضاً - مثل ما كانوا يتوهمونه في الدنيا، ويؤيده قوله - تعالى - ﴿ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

والجواب عن الثاني: أنه في هذا اليوم: تنقطع الأسباب، وتزول

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ٦٨، تفسير البيضاوي ٢/ ٣٣٢، ابن كثير ٣/ ٢٣٧، فتح القدير ٤/ ٤٨٤، ومسائل الرازي ٣٠٤.

(٢) الآية: ١٦، من سورة غافر.

(٣) من الآية: ٢٢، من سورة فصلت؛ وانظر: مسائل الرازي ٣٠٤، وتفسير الخازن ٤/ ٦٨.

الوسائط، وتحمى العلائق. ولا يصح إطلاق لفظة الملك على أحد سوى الواحد القهار؛ وهذا سر التخصيص [١].

***

يقول الله – تعالى – ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾ [٢].

كيف يصح ذلك؛ وإنما كان هذا القتل في حال ولادة موسى – عليه السلام – لا في هذه الحال؟

والجواب: أنه في تلك الحال: كان يأمر بقتل الأولاد لما ظهر في الأخبار أنه سيكون هناك من يغلبه من الأنبياء. وفي هذه الحال – أيضاً – كان يأمر بقتلهم لئلا يكثر أتباع موسى – عليه السلام – فهما حالان مختلفان [٣].

***

يقول – عز وجل – ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٣٣٣.

(٢) من الآية: ٢٥، من سورة غافر.

(٣) تنزيه القرآن ٣٦٨.

يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(١).

وقال - تبارك وتعالى - ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴾(٢).

وقال - عز وجل - ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾(٣).

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: كيف التوفيق بينها، والآية الأولى تدل على أن الرجل المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه، وفي الآيتين بعدها دلالة على أنه كان مظهراً لإيمانه، ناصحاً لقومه؟

الثاني: كيف قال المؤمن في حق موسى - عليه السلام - ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ مع أنه صادق في معتقد القائل لهذا القول، وفي نفس الأمر أيضاً، ويلزم من ذلك: أن يصيبهم جميع ما وعدهم لا بعضه فقط؟

---

(١) الآية: ٢٨، من سورة غافر.

(٢) الآية: ٣٠، من السورة السابقة.

(٣) الآية: ٣٨، من السورة السابقة.

والجواب عن الأول: أنه يحتمل في الأول أن يكون كاتماً لإيمانه، ثم – من بعد – لما جربهم وسلم منهم أظهره؛ وذلك ممكن عقلاً وشرعاً.

ويحتمل: أن يكون معرضاً بتلك اللغة؛ وحكى الله عنه على حسب مراده، فيكون بالعربية تصريحاً، وإن كان بتلك اللغة تعريضاً[1].

والجواب عن الثاني: أن لفظة (بعض) صلة؛ أو: بمعنى كل.

وقيل: إن لفظة (بعض) على أصلها؛ وأنه وعدهم النجاة إن آمنوا، والهلاك إن كفروا. فذكر لفظة بعض لأنهم على إحدى الحالتين لا محالة. أو: أنه وعدهم على كفرهم: الهلاك في الدنيا، والعذاب في الآخرة. وكان هلاكهم في الدنيا بعضاً، فمراده: يصيبكم في الدنيا بعض الذي يعدكم. لأنهم أشد خوفاً من العذاب العاجل؛ ولأنهم أقرب إلى التصديق بعذاب الدنيا منهم بعذاب الآخرة.

والسر في ذلك: المبالغة في التحذير؛ لأنه إذا حذرهم من إصابة البعض، أفاد أنه مهلك مخوف، فما بال الكل وفيه إظهار لكمال الاتصاف وعدم التعصب. ولذا قدم احتمال كونه كاذباً؟!![2]

وقيل: إنه ذكر البعض بطريق التنزل والتلطف وإمحاض النصيحة

---

(١) تنزيه القرآن ٣٦٧.

(٢) دفع إيهام الاضطراب، ص ٢٥٤.

من غير مبالغة ولا تأكيد؛ ليسمعوا منه ولا يتهموه، فيردوا عليه وينسبوه إلى ميل ومحاباة لموسى - عليه السلام - كأنه قال: أقل ما يصيبكم البعض؛ وفيه كفاية؛ ونظير الآية قوله - تعالى - ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1].

***

قال الله - تعالى - ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾[2].

كيف جمع بين التولي والإدبار وهما أمر واحد؟

والجواب: أنه تأكيد؛ كقوله - تعالى - ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ﴾[3]. ونظائره كثيرة.

وقيل: إنه استثاره لحميتهم؛ واستجلاب لأنفتهم؛ لما في لفظ مدبرين من التعريض بذكر الدبر؛ فيصير نظير قوله - تعالى - ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[4].

***

يقول الله - جل وعلا - حاكياً عن فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا

---

(١) من الآية: ٢٤، من سورة سبأ، مسائل الرازي ٣٠٤ - ٣٠٥، ومجمع البيان؛ المجلد الخامس ٢٤/ ١٩٤.

(٢) من الآية: ٣٣، من سورة غافر.

(٣) من الآية: ٢٦، من سورة النحل.

(٤) من الآية: ٤٥ن من سورة القمر، مسائل الرازي ٣٠٦.

لَعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ .... ﴾[١].

ما فائدة التكرار؟ وهلا قال: أبلغ أسباب السموات؟

والجواب: أنه إذ أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيماً لشأنه وتعظيماً لمكانه، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها[٢].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[٣].

وعلى هذه الآية يبرز سؤالان:

الأول: أن مثل السيئة سيئة؛ فما معنى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ ﴾؟

الثاني: كيف التوفيق بين قوله – تعالى – ﴿ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ﴾[٤]، وبين جزاء العمل الصالح في هذه الآية؟

---

(١) الآيتان (٣٦ – ٣٧) من سورة غافر.

(٢) مسائل الرازي ٣٠٦.

(٣) الآية: ٤٠، من سورة غافر.

(٤) من الآية: ١٦٠، من سورة الأنعام.

والجواب عن الأول: أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لا يزيد على المقدار المستحق، فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير حساب كما قال – تعالى – في آخر الآية.

والجواب عن الثاني: أن قوله – تعالى – ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾ لمنع النقصان؛ لا لمنع الزيادة؛ كما قال – جل وعلا – ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[1].

* * *

يقول الحق – تبارك وتعالى – ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾[2].

يمكن أن يقال: وقال الذين في النار لخزنتها؛ ويكون أخصر؛ فلم أظهر في مقام الإضمار؟

والجواب: لأن في ذكر جهنم تهويلاً وتفظيعاً؛ أو: لبيان محلهم فيها. ويحتمل أن تكون جهنم: أبعد دركاتها؛ من قولهم: بئر جهنام؛ أي: بعيدة القعر؛ وخزنتها أعلى الملائكة الموكلين بالنار مرتبة؛ ولذلك قصدهم أهل

---

(١) من الآية: ٢٦، من سورة يونس؛ ومائل الرازي ٣٠٦.

(٢) الآية: ٤٩، من سورة غافر.

النار بطلب الدعاء[١].

***

قال الله – تعالى – ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[٢].

كيف اعترفوا بعبادتهم لغير الله – تعالى – بقولهم: ﴿ ضَلُّوا۟ عَنَّا ﴾ ثم أنكروا ذلك بقولهم: ﴿ لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ﴾؟

والجواب: أن المعنى: لم نكن ندعو من قبل شيئا: ينفع ويضر؛ ويسمع ويبصر؛ وهذا كما يقال لكل ما لا يغنى شيئاً: هذا ليس بشيء.

وقيل: إنهم قالوا ذلك كذباً وجحوداً؛ كقولهم ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[٣].

قال الله – تعالى – ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٤].

كيف صح تعليق الخسارة على مجيء بأس الله ومعاينتهم لعذابه؛

---

(١) مسائل الرازي ٣٠٦، وتفسير البيضاوي ٢/ ٣٣٨.

(٢) الآيتان (٧٣ – ٧٤) من سورة غافر.

(٣) من الآية: ٢٣، من سورة الأنعام.

(٤) الآية: ٨٥، من سورة غافر.

والكافرون خاسرون في كل وقت؟

والجواب: أنهم ما كانوا يعتقدون أنهم من الخاسرين؛ فلما نزل بهم العذاب بانت لهم خسارتهم وظهرت: عندما يخسرون الجنة وما فيها من نعيم، ويحصلون في النار بما فيها من أليم العقاب، وذلك هو الخسران المبين.

وقيل: إن خسر هنا بمعنى: هلك [1].

---

(١) زاد المسير ٧/ ٢٣٩، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٤/ ٢١٧.

سورة حم السجدة

قال الله – تعالى – ﴿ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ ﴾[1].

ما فائدة (مِنْ) والمعنى حاصل بدونها؟

والجواب: أنه بدون ذكر (مِنْ) يكون المعنى: أن حجاباً حاصل وسط الجهتين. وأما مع وجود (من) – وهي لابتداء الغاية – فالمعنى: أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك؛ فالمسافة المتوسطة بين جهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لافراغ فيها. وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق؛ ومج أسماعهم له؛ وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

وقيل: إن (مِنْ) ها هنا زائدة للتوكيد[2].

❋ ❋ ❋

يقول الحق – عز وجل – ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[3].

---

(١) من الآية: ٥، من سورة فصلت.

(٢) مسائل الرازي ٣٠٧، زاد المسير ٧/ ٢٤١، وفتح القدير ٤/ ٥٠٦.

(٣) الآيتان (٩ – ١٠) من سورة فصلت.

وقال الله – سبحانه – ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ ﴾[1].

كيف جعلت مدة خلق الأرض بما فيها ضعف مدة خلق السموات؛ مع كون السماء أكبر من الأرض؛ وأكثر مخلوقات وعجائب؟

والجواب: أن السموات وما فيها من عالم الغيب، ومن عالم الملكوت؛ ومن عالم الأمر؛ والأرض وما فيها من عالم الشهادة والملك، وخلق الأول: أسرع من الثاني.

وقيل: إنه فعل ذلك ليُعْلم أن الخلق على سبيل التدريج، والتمهيل في الأرض وما فيها لم يكن للعجز عن خلقها دفعة واحدة، بل كان لمصالح لا تحصل إلا بذلك منها: تعليم عباده كيفية التأني في الأمور؛ وتدريباً لهم على السكينة، والبعد عن العجلة فيها؛ ولهذه الحكمة: خلق العالم الأكبر في ستة أيام؛ والعالم الأصغر – وهو الإنسان – في ستة أشهر.

وقيل: إنما كان ذلك للتنبيه على أن الأرض هي المقصودة بالذات؛ لما فيها من الثقلين؛ ومن كثرة المنافع؛ فزادت مدتها ليكون ذلك أدخل في المنة على ساكنيها، والاعتناء بشأنهم وشأنها، وأيضاً: زادت مدتها لما فيها من الابتلاء بالمعاصي والمجاهدات، والمجادلات والمعالجات.

وقيل: لعل زيادة مدة الأرض على مدة السماء: جريا على ما يتعارف

---

(١) من الآية: ١٢، من السورة السابقة.

من أن بناء السقف أخف من بناء البيت [١]. ولا يخفى ما فيه من خفة فيتأمل!!

***

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [٢].

ما السبب في تخصيص هذه الأعضاء الثلاثة بالذكر، مع أن الحواس خمسة: وهي: السمع والبصر، والشم والذوق والمس؟

والجواب: أن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه؛ لأن إدراك الذوق لا يتأتى حتى يصير طرف اللسان ملامساً لجرم الطعام، وكذلك الشم لا يتأتى حتى يصير الأنف مماسا لجرم المشموم، فكانا داخلين في جنس اللمس.

وقيل: المراد من شهادة الجلود: شهادة الفروج؛ وهو من باب الكنايات، كما قال – تعالى – ﴿ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا ﴾ [٣]، أراد النكاح، وقال – تعالى – ﴿ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ ﴾ [٤]، والمراد: قضاء

---

(١) مسائل الرازي ٣٠٨، والفتوحات ٤/ ٣٢.

(٢) الآية: ٢٠، من سورة فصلت.

(٣) من الآية: ٢٣٥، من سورة البقرة.

(٤) من الآيتين (٤٣، ٦) من سورة النساء والمائدة.

الحاجة. وقال – صلى الله عليه وسلم – «أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه»(١). وعلى هذا التقدير: تكون الآية وعيداً شديداً في إتيان الزنا؛ لأن مقدمة الزنا إنما تحصل بالفخذ(٢).

***

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(٣).

كيف شرط الصبر لبقائهم في النار؛ مع أنهم إن لم يصبروا على عذاب النار وجزعوا، فالنار مثوىً لهم أيضاً؟

والجواب: أن في الكلام إضماراً تقديره: فإن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم على كل حال، ولا ينفعهم الصبر في الآخرة كما ينفع في الدنيا؛ ولهذا قيل: الصبر مفتاح الفرج. وقيل: من صبر ظفر.

وقيل: إن هذا جواب لقول المشركين في حث بعضهم لبعض على إدامة عبادة الأصنام ﴿ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴾(٤)، فقال الله – تعالى – ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ ﴾ على عبادة الأصنام في الدنيا ﴿ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ في

---

(١) ابن كثير ٦/ ١٧٠.

(٢) الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٨.

(٣) من الآية: ٢٤، من سورة فصلت.

(٤) من الآية: ٦، من سورة ص.

العقبى[١].

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٢].

كيف تعرض للأربعة مع أن أحداً لم يعبد الليل والنهار؟ ولم قال ﴿وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ وهو مستفاد من الأول بالطريق الأولى؟

والجواب: أن هذا ردٌّ على قوم عبدوا الشمس والقمر؛ وإنما تعرض للأربعة مع أنهم لم يعبدوا الليل والنهار، للإيذان: بكمال سقوط الشمس والقمر عن رتبة السجودية لهما بنظمهما في المخلوقية في سلك الأعراض التي لا قيام لها بذاتها.

وأما ذكر ﴿وَلَا لِلْقَمَرِ ﴾ مع أنه مستفاد من الأول؛ فلثبوت الحكم بأقوى الدليلين وهو النص[٣].

* * *

(١) مسائل الرازي ٣٠٨.

(٢) الآية: ٣٧، من سورة فصلت.

(٣) الفتوحات الإلهية ٤/ ٤٤، ومسائل الرازي ٣٠٨.

قال الله – تعالى – ﴿...وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴾[١].

وقال – عز وجل – ﴿...وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴾[٢].

في الآية الأولى: دلالة على أن الإنسان بمجرد إصابته بالشر فإن اليأس والقنوط يتسربان إلى قلبه، وفي الثانية: أنه مكثر من الدعاء عندما يمسه الشر؛ فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أنه لا منافاة ولا تعارض بينهما؛ فإن الإنسان – إذا كان كافراً – فإن اليأس والقنوط يستحوذان على قلبه حينما يمسه الشر؛ إذ لا يجد لنفسه مخرجا غير ذلك. أما المؤمن: فإنه يعلم أن الخير والشر بتقدير الله – تعالى – ولا يجد لنفسه بداً – عندما يمسه الشر – من اللجوء إلى الله – تعالى – والإكثار من الدعاء والإلحاح فيه حتى يأتي فرج الله – سبحانه وتعالى –[٣].

وقيل: معناه: قنوط من الضيم، دعاء لله.

وقيل: يئوس قنوط بالقلب، دعاء باللسان.

وقيل: الأول في قوم، والثاني: في آخرين.

وقيل: غير ذلك[٤].

(١) من الآية: ٤٩، من سورة فصلت.

(٢) من الآية: ٥١، من السورة السابقة.

(٣) وهذا على تفسير الإعراض في الآية بأنه مطلق المعاصي التي لا يسلم منها الثقلان، ما خلا الشرك.

(٤) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص ١٧١ بتصرف.

سورة الشورى

قال الله – تعالى – ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١].

كيف عبر بالمضارع؛ والوحي إلى مَنْ هم قبل النبي – صلى الله عليه وسلم – ماضٍ؟

والجواب: أنه إنما ذكر الوحي بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحي، وأن إيحاء مثله بمادته، وهذا لا يوجد في لفظ الماضي.

وقيل: إنه وضع المضارع موضع الماضي كما في قوله – تعالى – ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ﴾[٢].

وقيل: في الكلام إضمار والتقدير: كذلك يوحي إليك وأوحي إلى الذين من قبلك.

وقيل: إنه استعمل المضارع في حقيقته ومجازه، فهو مستعمل في المستقبل بالنظر لما لم ينزل عليه من القرآن إذ ذاك، وفي الماضي بالنظر لما

---

(١) الآية: ٣، من سورة الشورى.

(٢) من الآية: ٢٦ن من سورة الجاثية.

أنزل بالفعل، وبالنظر إلى ما أنزل على الرسل السابقين - عليهم الصلاة والسلام - والمشبه به في (كذلك) هو هذه السورة، أي: كما أوحي إليك هذه السورة، يوحي إليك غيرها من القرآن، ويوحي إلى الذين من قبلك الكتب القيمة.

ووجه الشبه: أن الموحى به في الكل يرجع لأمور ثلاثة: التوحيد والنبوة والبعث؛ فهذا القدر موجود في القرآن وفي غيره من الكتب[1].

***

يقول الحق - جلّ وعلا - ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[2].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: أن قوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ يوهم إثبات مثله؛ لأنه إنما نفى مثل مثله، فكيف ذلك؟

الثاني: ما معنى ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ ﴾؟ وعلام يعود الضمير؟

والجواب عن الأول: أن المثل يقال: للذات، كما في قولهم: مثلك لا

---

(١) مسائل الرازي ٣٠٩، تفسير البيضاوي ٢/ ٣٥٢، والفتوحات ٤/ ٥١.

(٢) الآية: ١١، من سورة الشورى.

يليق به كذا، فمعناه: ليس كذاته شيء. أو هو من باب الكناية؛ لأنه إذا نفى مثل مثله، لزم نفى مثله. إذ لو نفى مثله لكان هو مثل المثل، فيلزم ثبوت مثل المثل، والغرض أنه نفى [١].

والجواب عن الثاني: أن الضمير يعود لجعل، أو للمخلوق، أو للتدبير، أو للرحم الذي دل عليه ذكر الأزواج ومعنى ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ أي: يكثركم بالتزويج، أو يبثكم من الذرء – وهو البث – ففي للسببية كالبكاء، أي يكثركم بسببه – وقيل: إن في بمعنى الباء، أي يذرؤكم به [٢].

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ... ﴾ [٣].

كيف قال: ﴿ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾، والدواب إنما هي في الأرض فقط؟

والجواب: أن ﴿ فِيهِمَا ﴾ بمعنى: فيها؛ باعتبار إطلاق لفظ التثنية على المفرد، كما في قوله – تعالى – ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [٤]. وإنما

(١) مخطوط غير مرقم.

(٢) مسائل الرازي ٣٠٩، تفسير الخازن ٤/ ٩١، فتح القدير ٤/ ٢٥٨، والفتوحات ٤/ ٥٤.

(٣) من الآية: ٢٩، من سورة الشورى.

(٤) الآية: ٢٢، من سورة الرحمن.

يخرج من أحدهما وهو: المالح.

وقيل: إن الدواب ليست في الأرض فقط؛ بل هي – أيضاً – في السماء؛ لأن الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم أيضاً، وهم مبثوثون في السماء، ويؤيد ذلك قوله – تعالى – ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، فتقييده بالأرض: يدل على وجود الدابة في غير الأرض من حيث المفهوم[2].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾[3].

كيف ذكر الانتصار في البغي في معرض المدح؛ وذكر العفو عن الجرم في مواضع أخر في معرض المدح.

والجواب: أن ذلك راجع إلى حالتين: إحداهما: أن يكون الباغي معلناً بالجور، مؤذياً للصغير والكبير؛ فيكون الانتقام منه أفضل، ألا ترى أنه قرنه بذكر الاستجابة لله – سبحانه وتعالى – وإقام الصلاة؟ وسرّ الأفضلية: حتى تنكسر شوكة العصاة، ولتكون العزة لأهل الدين. وفي مثله قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون للمؤمنين أن يذلوا أنفسهم لتجترئ عليهم الفساق. فإذا قدروا عفوا. ثانيهما: أن يقع ذلك ممن لم

(١) من الآية: ٦، من سورة هود.

(٢) مسائل الرازي ٣١٠.

(٣) من الآية: ٣٩، من سورة الشورى.

يعرف بالزلة؛ أفضل؛ وفي مثله نزلت: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[١]، وقوله: ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٣].

وقيل: إن المراد: انتصار المسلمين من الكافرين؛ وتلك رتبة الجهاد.

وقيل: إن المنتصر لم يخرج عن فعل أبيح له؛ وإن كان العفو أفضل؛ ومن لم يخرج من الشرع بفعله حسن مدحه.

وقيل: إن أحدهما رافع للآخر[٤].

وهذا القول الأخير مردود؛ إذ لا يُصار إلى القول به إلا عند عدم إمكان التوفيق؛ وقد أمكن.

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾[٥].

---

(١) من الآية ٢٣٧، من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٤٥، من سورة المائدة.

(٣) من الآية: ٢٢، من سورة النور.

(٤) زاد المسير ٧/ ٢٩٢، والفتوحات ٤/ ٦٩.

(٥) من الآية: ٤٥، من سورة الشورى.

وقال – جل شأنه – ﴿...فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (١).

فالآية الأولى: تدل على أن الكفار ينظرون يوم القيامة بعيون خفية ضعيفة النظر، والثانية: يتوهم منها خلاف ذلك؛ فكيف التوفيق بينهما؟

والجواب: هو ما ذكر صاحب الإتقان؛ من أن المراد بحدة البصر: العلم وقوة المعرفة، قال قطرب: فبصرك أي: علمك ومعرفتك بها قوية؛ من قولهم: بصر بكذا؛ أي: علم؛ وليس المراد: رؤية العين. قال الفارسي: ويدل على ذلك قوله ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾.

وقال بعض العلماء: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: تدرك به ما عميت عنه في دار الدنيا؛ ويدل لهذا قوله – تعالى – ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا﴾ الآية (٢). وقوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الآية (٣). وقوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (٤). ودلالة القرآن على هذا الوجه الأخير ظاهرة؛ فلعله هو: الأرجح، وإن اقتصر صاحب الإتقان على الأول (٥).

***

---

(١) من الآية: ٢٢، من سورة ق.

(٢) الآية: ١٢، من سورة الم السجدة.

(٣) الآية: ٥٣، من سورة الكهف.

(٤) الآية: ٣٨، من سورة مريم.

(٥) دفع إيهام الاضطراب ص ٢٥٨.

يقول الله – تعالى – ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (١).

كيف قدم الإناث أولاً؛ ثم قدم الذكور ثانياً؟ ولم نكَّر الإناث وعرَّف الذكور؟

والجواب: أنه إنما قدم الإناث؛ لأن الآية سيقت لبيان عظمة ملكه؛ ونفاذ مشيئته، وأنه فاعل ما يشاء؛ لا ما يشاء عبيده؛ فكان ذكر الإناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه عبيده أهم. والأهم: واجب التقديم؛ فلما قدمهن وآخر الذكور لذلك المعنى: تدارك تأخيرهم، وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم، لأن التعريف تنويه وتشهير؛ كأنه قال: ويهب لمن يشاء: الفرسان الأعلام المشهورين الذين لا يخفون على أحد. ثم أعطى – بعد ذلك – كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير، فعرَّف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن؛ ولكن لمقتضى آخر فقال ﴿ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ كما قال – تعالى – ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ (٢)، وقال: ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ (٣).

وقيل: قدم النساء لكثرتهن بالنسبة إلى الذكور؛ وقيل: لتطييب

---

(١) الآيتان (٤٩ – ٥٠) من سورة الشورى.

(٢) من الآية: ١٣، من سورة الحجرات.

(٣) من الآية: ٣٩، من سورة القيامة.

قلوب آبائهن [١].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [٢].

وقال – صلى الله عليه وسلم – «رأيت ربي بعيني رأسي ليلة أعرج بي» [٣]. ويقال: إن الله – تعالى – كلم محمداً – صلى الله عليه وسلم – مواجهة بغير حجاب ولا واسطة.

في الآية دلالة على أن الله – تعالى – خص تكليمه للبشر في طريق الوحي، والإسماع من وراء حجاب، وإرسال الرسول.

وظاهر الحديث يوهم خلاف ذلك، فكيف التوفيق؟

والجواب: أن المراد بالوحي الأول هنا: الإشارة؛ ومنه قولهم: وحي العين؛ ووحي الحاجب، إشارتها؛ ومنه قوله – تعالى – ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [٤]، فتكليمه لمحمد – صلى الله عليه وسلم – ليلة

---

(١) مسائل الرازي ٣١٠، وفتح القدير ٤/ ٥٤٤.

(٢) الآية: ٥١، من سورة الشورى.

(٣) المسند ١/ ٢٨٥، مجمع الزوائد ١/ ٧٨، كنز العمال ح ٣٩٠٩.

(٤) من الآية: ١١، من سورة مريم.

المعراج: كان مواجهة بالإشارة[١].

***

قال الله – تعالى – ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٢].

كيف كان لا يعلم الإيمان قبل أن يوحى إليه؛ والأنبياء عليهم السلام – كانوا مؤمنين بالله قبل أن يوحى إليهم؟

والجواب: أن المراد بالإيمان هنا: شرائع الإيمان وأحكامه؛ كالصلاة والصوم ونحوهما.

وقيل: المراد به الكلمة التي بها دعوة الإيمان والتوحيد؛ وهي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والإيمان بهذا التفسير: إنما علمه بالوحي[٣].

---

(١) مسائل الرازي ٣١٠ – ٣١١ بتصرف، ولم يذكر الرازي يرحمه الله دليلاً قوياً على ذلك؛ فهو من باب التخصيص بلا مخصص.

(٢) من الآية: ٥٢، من سورة الشورى.

(٣) مسائل الرازي ٣١١.

سورة الزخرف

قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[(١)].

كيف قال: ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ ولم يقل: أنزلناه، والقرآن ليس بمجعول، لأن الجعل هو: الخلق، ومنه قوله – تعالى – ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[(٢)]، وقوله – تعالى – ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾[(٣)]؟

والجواب: أن الجعل أيضاً يأتي بمعنى القول، ومنه قوله تعالى ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾[(٤)]، وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[(٥)]، أي: قالوا ووصفوا، لا أنه خلقوا، فكذلك ما ها هنا.

وقيل: معنى ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ هنا: أنزلناه، أو بيناه، أو سميناه، أو وصفناه.

وقيل: معنى ﴿ جَعَلْنَٰهُ ﴾ صيرناه، أي: صيرنا هذا الكتاب عربياً[(٦)].

* * *

(١) الآية: ٣ من سورة الزخرف.

(٢) من الآية: ١، من سورة الأنعام.

(٣) من الآية: ٣٩، من سورة القيامة.

(٤) من الآية ٥٧، من سورة النحل.

(٥) من الآية: ٣٠، من سورة إبراهيم.

(٦) مسائل الرازي ٣١١ – ٣١٢، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٥/ ٦٩، وتفسير الخازن ٤/ ١٠١.

قال الله – تعالى – ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ (١).

وقال – جلت حكمته – ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴾ (٢).

في الآية الأولى، أنكر الله – عز وجل – على الكفار تسمية الملائكة إناثاً، فكيف يذكر أوصافهم بلفظ التأنيث في الآية الثانية؟

والجواب: أنه – سبحانه – أقسم بطوائف الملائكة وفرقها، والطوائف والفرق مؤنثة (٣).

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (٤).

كيف أمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – بسؤال المرسلين قبله، وهو ما لقيهم حتى يسألهم؟

والجواب: أن في الكلام إضماراً تقديره: واسأل أتباع من أرسلنا، أو

---

(١) الآية: ١٩، من سورة الزخرف.

(٢) الآيات من (١ – ٥)، من سورة النازعات.

(٣) مسائل الرازي ٣٦٥.

(٤) الآية: ٤٥، من سورة الزخرف.

أمة من أرسلنا قبلك.

وقيل: إنه مجاز عن النظر في أديانهم، والبحث عن مللهم، هل فيها ذلك؟

وقيل: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – حُشر له الأنبياء – عليهم السلام – ليلة المعراج، فلقيهم وأمهم في مسجد بيت المقدس، فلما فرغ من الصلاة نزلت هذه الآية – والأنبياء حاضرون – فقال: لا أسأل قد كفيت [1].

وقيل: إنه خطاب له، والمراد به: أمته [2].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [3].

المراد بالآيات التسع: ما ترادف عليهم من الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والطمس، واليد، والعصا، ونقص الزروع والأنفس والثمرات، فكيف قال: ﴿ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ فإن كان

---

(١) زاد المسير ٧/ ٣١٩ ط. دار الفكر، بيروت.

(٢) مسائل الرازي ٣١٢.

(٣) الآية: ٤٨، من سورة الزخرف.

المراد به: أن كل واحدة منهن أكبر مما سواها، لزم أن تكون كل واحدة فاضلة ومفضولة، وإن كان المراد به: أن كل واحدة منهن أكبر من أخت معينة لها؛ فأيتها هي الكبرى؛ وأيتها هي الصغرى؟

والجواب: أن كل آية من هذه الآيات أكبر من التي قبلها وأعظم قدراً؛ مع كون التي قبلها عظيمة في نفسها، وهي العذاب المذكور، لأنهم عذبوا بهذه الآيات؛ فكانت معجزات لموسى – عليه السلام – وعذاباً لهم.

وقيل: إن الأولى تقتضي علماً، والثانية تقتضي علماً، فإذا ضُمت الثانية إلى الأولى ازداد الوضوح.

وقيل: إن كل واحدة من الآيات إذا انفردت ظن الظان أنها أكبر من سائر الآيات.

وقيل: المراد: أن كل واحدة منهن مختصة بنوع من الإعجاز؛ مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار[1].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ

---

(١) تفسير البيضاوي ٢/ ٣٦٨، فتح القدير ٤/ ٥٥٨، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٥/ ٨٩.

﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[١].

لِمَ قال: ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ والرسول إنما يبين كل خلاف بين أمته؟

والجواب: أنهم كانوا يختلفون فيما يعنيهم من أمر الديانات، وفيما لا يعنيهم من أمور أخرى؛ فكان يبين لهم الشرائع والأحكام خاصة.

وقيل: إن البعض هنا بمعنى: الكل.

والصحيح: أن البعض لا يكون في معنى الكل، وخاصة: هنا. والذي جاء به عيسى في الإنجيل: إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه[٢].

***

يقول المولى – جل وعلا – ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٣].

ما فائدة قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعد قوله – بغتة؟

والجواب: أن فائدته بيان: أنها تأتيهم وهم غافلون مشغولون بأمور

---

(١) الآية: ٦٣، من سورة الزخرف.

(٢) مجمع البيان: المجلد الخامس ٢٥/ ٩٦، ومسائل الرازي ٢١٢ – ٢١٣.

(٣) الآية: ٦٦، من سورة الزخرف.

دنياهم؛ كما قال – تعالى – ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ [١]، فلولا قوله: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ جاز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون حذرون مستعدون لها [٢].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ [٣].

المبلس هو: الآيس من الرحمة والفرج؛ وطالب الفرج بالموت غير مبلس؛ فكيف ذلك؟

والجواب: أن تلك أزمنة متطاولة؛ وأحقاب ممتدة؛ فتختلف فيها أحوالهم فيغلب عليهم اليأس تارة فيسكنون؛ ويشتد ما بهم من ألم العذاب تارة فيستغيثون.

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [٤]،

---

(١) الآية: ٤٩، من سورة يس.

(٢) مسائل الرازي ٣١٣.

(٣) الآيات من (٧٤ – ٧٧)، من سورة الزخرف.

(٤) الآية: ٨١، من سورة الزخرف.

كيف يصح أن يكون أول عابد لمن له ولد؟

والجواب: أن المراد: فأنا أول الآنفين من عبادة من هذا حاله.

ويحتمل أن يريد بذلك: تبعيد أن يكون له ولد؛ لأن عبادته له تمنع من ذلك[1].

***

يقول – جل شأنه – ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

النكرة إذا أُعيدت تعددت؛ كقوله: له عليّ درهم ودرهم؛ وأنت طالق وطالق؛ ولهذا قال ابن عباس – رضي الله عنهما – «لن يغلب عسر يسرين»[3]، فظاهر الآية يقتضي تعدد الآلهة فكيف ذلك؟

والجواب: أن الإله هنا: بمعنى المعبود؛ كما في قوله – تعالى – ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4].

فصار المعنى: وهو الذي في السماء معبود، وفي الأرض معبود، وفي الأرض معبود. والمغايرة ثابتة بين معبوديته في السماء، ومعبوديته في

---

(١) تنزيه القرآن ٣٨١.

(٢) الآية: ٨٤، من سورة الزخرف.

(٣) والأصح: أنه حديث مرفوع؛ رواه الحسن كما في ابن كثير ٧/ ٣٢١.

(٤) من الآية: ٣، من سورة الأنعام.

الأرض؛ لأن العبودية من الأمور الإضافية، فيكفي في تغايرهما: التغاير من أحد الطرفين. فإذا كان العابد في السماء غير العابد في الأرض، صدق أن معبوديته في السماء غير معبوديته في الأرض، مع أن المعبود واحد، والمعنى على الإخبار بالإلهية لا على الكون فيهما.

وقيل: (في) بمعنى: على؛ أي: هو القادر على السماء والأرض؛ كما في قوله ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [1].

وقيل المعنى: وهو إله من في السموات وإله من في الأرض: يعبده أهلهما وكلهم له خاضعون أذلاء بين يديه، وحسن الحذف لطول الكلام [2].

---

(١) من الآية: ٧١ن من سورة طه.

(٢) مسائل الرازي ٣١٣، فتح القدير ٤/ ٥٦٧، وتفسر ابن كثير ٦/ ٢٤٢.

سورة الدخان

قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴾[1].

الخلاف بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين منكري البعث: إنما كان في الحياة بعد الموت؛ لا في الموت؛ فكيف قال: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ﴾ ولم يقل: إلا حياتنا، كما في موضع آخر: ﴿ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ﴾[2]؟ وما معنى وصف الموتة بالأولى؛ كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الموتة الأولى؟

والجواب: أنهم لما قيل لهم: إنكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك. قالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى؛ أي: ما الموتة التي من شأنها ذلك: إلا الموتة الأولى، أي: لا تقع في الوجود موتة تكون بعدها حياة إلا ما كنا فيه من موتة العدم وبعثنا منه إلى حياة الوجود.

وقيل المعنى: ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، ولا قصد فيه إلى إثبات ثانية؛ كما في قولك: حج زيد الحجة الأولى ومات.

---

(١) الآيتان: (٣٤ – ٣٥)، من سورة الدخان.

(٢) من الآية: ٣٧، من سورة المؤمنون.

وقيل: إنهم نفوا بذلك الموتة الثانية في القبر بعد إحيائهم لسؤال منكر ونكير[١].

ويرد هذا القول قولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾ أي: بمبعوثين ولا مُعادين.

***

يقول الله – جل وعلا – ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴾[٢].

كيف يصب العذاب فوق رأس الكافر؟ والعذاب لا يصب؛ وإنما يصب الحميم كما قال – تعالى – ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾[٣]؟

والجواب: أنه استعارة ليكون الوعيد أهول وأهيب؛ ونظيره قوله – تعالى – ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾[٤]، وقوله – تعالى – ﴿ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾[٥].

***

---

(١) مسائل الرازي ٣١٤، والبيضاوي عند تفسيره لهذه الآية.

(٢) الآية: ٤٨، من سورة الدخان.

(٣) الآية: ١٩، من سورة الحج.

(٤) الآية: ١٣، من سورة الفجر.

(٥) الآيتين (٢٥٠، ١٢٦) من سورتي البقرة والأعراف، ومسائل الرازي ٣١٤.

قال الله – تعالى – ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾(1).

كيف سمي بالعزيز؛ وليس عزيزاً؟

والجواب: أنه قيل له ذلك استهزاءً به؛ فكأنه قيل له: إنك أنت الذليل المهين.

وقيل المعنى: إنك أنت العزيز الحكيم عند نفسك؛ أو: العزيز في قومك، الكريم على أهلك(2).

وقيل إنها نزلت في أبي جهل لما قال: أيوعدني محمد – صلى الله عليه وسلم – وليس بين جبليها أعز ولا أكرم مني؟ فلما عذبه الله بكفره قال له: ذق إنك أنت العزيز الكريم في زعمك الكاذب، بل أنت المهان الخسيس الحقير؛ فهذا التقريع نوع من أنواع العذاب(3).

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ يَلۡبَسُونَ مِن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾(4).

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف ساغ أن يقع في القرآن العربي المبين لفظ أعجمي؟

---

(1) الآية: ٤٩، من سورة الدخان.

(2) زاد المسير ٧/ ٣٥٠.

(3) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٠، ودفع إيهام الاضطراب ص ٢٦٠.

(4) الآية: ٥٣، من سورة الدخان.

الثاني: لِمَ وعد أهل الجنة بلبس الاستبرق – وهو غليظ الديباج – مع أن لبس الغليظ من الديباج عند السعداء من أهل الدنيا عيب ونقص؟

والجواب عن الأول: أن اللفظ إذا عُرِّب خرج من أن يكون أعجمياً؛ لأن معنى التعريب: أن يجعل عربيّاً بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه؛ وإجرائه على أوجه الإعراب[1].

والأولى أن يقال: إن القرآن لم يشتمل على ألفاظ أعجمية؛ وما فيه مما يقال عنه: إنه أعجمي؛ فإنما هو مما توافقت فيه اللغات.

والجواب عن الثاني: أنه: كما أن رقيق ديباج الجنة – وهو السندس – لا يماثل رقيق ديباج الدنيا إلا في الاسم فقط، فكذلك غليظ ديباج الجنة.

وقيل: السندس لباس السادة من أهل الجنة، والاستبرق: لباس العبيد والخدم إظهاراً لتفاوت المراتب.

وقيل: السندس ما يلبسونه؛ والاستبرق: ما يفترشونه[2].

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾[3].

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ١١٦.

(٢) مسائل الرازي ٣١٤، ومجمع البيان: المجلد الخامس ٢٥/ ١٢٠.

(٣) من الآية: ٥٦، من سورة الدخان.

كيف وصف أهل الجنة بذلك؛ مع أن الموتة الأولى لم يذوقوها في الجنة؟

والجواب: أن المؤمن عند موته في الدنيا بمنزلته في الجنة؛ لمعاينة ما يعطاه منها، أو: لما يتيقنه من نعيمها؛ فكأنهم ماتوا في الجنة، وعلى هذا فالاستثناء متصل.

وقيل: إنه منقطع، أي: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها.

وقيل: إن إلا بمعنى سوى، نقله الطبري وضعفه، قال ابن عطية: وليس تضعيفه بصحيح، بل كونها بمعنى سوى مستقيم متسق، كما في قوله - تعالى - ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وقوله تعالى ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾.

وقيل: إن (إلا) بمعنى بعد؛ واختاره الطبري وأباه الجمهور؛ لأن مجيء إلا بمعنى بعد، لم يثبت.

وقيل: إنه أراد: لا يذوقون فيها الموت ألبتة؛ فوضع قوله ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ موضع ذلك؛ لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل؛ فهو من باب التعليق بالمحال، كأنه قيل: إن كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل؛ فإنهم يذوقونها في الجنة؛ وهذا عند علماء البيان يسمى: نفي الشيء بدليله [1].

---

(١) مسائل الرازي ٣١٥، والفتوحات الإلهية ٤/ ١١١.

سورة الجاثية

قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1].

ما وجه اختلاف الفواصل الثلاث؟ وكلها آيات على كمال قدرته وبديع صنعته؟

والجواب: أن اختلاف الفواصل الثلاث: لاختلاف الآيات في الدقة والظهور، فأظهروا: السموات والأرض، والنظر الصحيح فيها يفيد العلم بأنها مصنوعة، ولا بد لها من صانع، ويؤدي ذلك إلى الإيمان بالله، والإقرار بأنه القادر على كل شيء. وأدق منها: خلق الإنسان وانتقاله من حال إلى حال، وخلق ما على الأرض من صنوف الحيوانات من حيث إن التفكر فيها وأحوالها: يستلزم ملاحظة السموات والأرض لكونها من أسباب تكون الحيوانات وانتظام أحوالهم.

ولما كانت هذه الآية أدق بالنسبة إلى الأولى، كان التفكر فيها مؤدياً إلى مرتبة اليقين وزوال اللبس. وأدق منها: سائر الحوادث المتجددة في كل

---

(١) الآيات من (٣ – ٥)، من سورة الجاثية.

وقت من نزول المطر وحياة الأرض بعد موتها، وغير ذلك من حيث إن استقصاء النظر في أحوال هذه الحوادث يتوقف على ملاحظة السموات والأرض، لكونها من أسباب هذه الحوادث ومحالها؛ وعلى ملاحظة الحيوانات المبثوثة على الأرض من حيث إن تجدد هذه الحوادث إنما هو لانتظام أحوالها، وتحقق أسباب معاشها.

ولما كانت هذه أدق بالنسبة إلى الأولين؛ وكانت متجددة حينا فحينا؛ بحيث تبعث على النظر والاعتبار كلما تجددت، كان النظر فيها مؤدياً إلى استحكام العلم وقوة اليقين؛ وذلك لا يكون إلا بالعقل الكامل؛ فظهر بهذا التقرير: أن المراد بالمؤمنين والموقنين والعاقلين: من يؤول حالهم إلى هذه الأوصاف[1].

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[2].

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ١١٧، والفتوحات ٤/ ١١٣.

(٢) الآيتان (٢٥ – ٢٦) من سورة الجاثية.

كيف طابق الجواب السؤال؟

والجواب: أنهم ألزموا بما هو مقرون به من أن الله – تعالى – هو الذي أحياهم أولاً ثم يميتهم؛ ومن كان قادراً على ذلك؛ كان قادراً على جمعهم يوم القيامة؛ فيكون قادراً على إحياء آبائهم، ولما كان الإتيان بآبائهم في الدنيا مزاحماً للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه.

وقيل: إنما لم يجبهم إلى ذلك؛ لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد.

وإنما احتج بالإحياء في دار الدنيا؛ لأن من قدر على فعل الحياة في وقت، قدر على فعلها في كل وقت، ومن عجز عن ذلك في وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة؛ وكونه حيّاً، عجز عنه في كل وقت[1].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿...كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٨ هَٰذَا كِتَٰبُنَا ...﴾[2].

كيف صح إضافة الكتاب إلى الأمة؛ وإليه – تعالى –؟

---

(١) مسائل الرازي ٣١٥، الفتوحات الإلهية ٤/ ١٢٠، ومجمع البيان: المجلد الخام ٢٥/ ١٣٧ – ١٣٨.

(٢) الآيتان (٢٨ – ٢٩) من سورة الجاثية.

والجواب: أنه لا منافاة بين الأمرين؛ لأنه كتابهم بمعنى: أنه مشتمل على أعمالهم. وكتاب الله بمعنى: أنه هو الذي أمر الملائكة بكتبه، فقد لابسهم الكتاب بكون أعمالهم مثبتة فيه، ولابسه - سبحانه - بكونه مالكه، وكونه آمراً لملائكته أن يكتبوا فيه أعمالهم، والإضافة تصح بأدنى ملابسة [1].

(١) مائل الرازي ٣١٥، والفتوحات ٤/ ١٢١.

سورة الأحقاف

قال الله – تعالى – ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[1].

وقال – عز وجل – ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[2].

كلامه في الآية الأولى، كلام الشاك في أمره وأمرهم حيث قال: ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ﴾ والكلام في الآية الثانية نص على كمال الخير وتمام النعمة، وحسن العاقبة، بما تضمن من غفران ذنوبه جميعاً ما تقدم منها وما تأخر.

فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أن المراد: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم فيما يوحى إليّ، فبين أن الوحي يأتي في المستقبل بما لا يعلمه في الوقت؛ وقال – تعالى – بعده ﴿ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ فبيّن أنه بعد نزول الوحي ينذر ويحذر[3].

يشير إلى ذلك قوله – عز وجل – ﴿ ...وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ

(١) الآية: ٩، من سورة الأحقاف.

(٢) من الآية: ٢، من سورة الفتح.

(٣) تنزيه القرآن ٣٨٧.

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾[١]، وقوله - جل وعلا - ﴿ ...مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا ... ﴾ الآية[٢].

وهذا ما دعا عكرمة والحسن وقتادة إلى القول بأنها منسوخة بقوله - تعالى - ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ الآية، وذلك أن سورة الأحقاف مكية؛ وسورة الفتح نزلت عام ست مرجعه - صلى الله عليه وسلم - من الحديبية.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا من الحوادث والوقائع، وعلى هذا فلا حاجة إلى تكلف التأويل أو: القول بالنسخ[٣].

* * *

يقول الله - عز وجل - ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٤].

لِمَ قال في وصف الفريقين ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ ﴾ وأهل النار لهم دركات لا درجات كما في الحديث؟

---

(١) من الآية: ١١٣، من سورة النساء.

(٢) من الآية: ٥٢، من سورة الشورى.

(٣) راجع: دفع إيهام الاضطراب ص ٢٦٢.

(٤) الآية: ١٩، من سورة الأحقاف.

والجواب: أن الدرجات: الطبقات من المراتب مطلقاً من غير اختصاص.

وقيل: إن في الكلام إضماراً تقديره: ولكل فريق درجات؛ أو: دركات مما عملوا؛ إلا أنه حذفه اختصاراً لدلالة المذكور عليه.

وقيل: إنه عبّر بالدرجات على جهة التغليب[1].

***

يقول المولى – سبحانه – ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2].

كيف طابق الجواب السؤال؟

والجواب: أنه طابقه من حيث إن قولهم ذلك: استعجال للعذاب الذي توعدهم به؛ بدليل قوله – تعالى – بعده ﴿ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦ ﴾[3]، فقال لهم: لا علم لي بوقت تعذيبكم؛ بل الله – تعالى – هو العالم به وحده[4].

***

(١) مسائل الرازي ٣١٦، والفتوحات ٤/ ١٣١.

(٢) الآيتان (٢٢ – ٢٣) من سورة الأحقاف.

(٣) من الآية: ٢٤، من السورة السابقة.

(٤) مسائل الرازي ٣١٦.

قال – جل شأنه – ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[(١)].

كيف قال – تعالى – في وصف الريح ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ وكم من شيء لم تدمره؟

والجواب: أن المعنى: تدمر كل شيء مرت به من أموال قوم عاد وأملاكهم[(٢)].

* * *

قال – تبارك وتعالى – ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[(٣)].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: أنهم إن أجابوا داعي الله فقد آمنوا؛ فلم أعاد ذكره بلفظ التعيين؟

والثاني: كيف قال ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ ولم يقل: يغفر لكم ذنوبكم؟

والجواب عن الأول: أنه إنما أعاد ذكره لأن الإيمان أهم أقسام

(١) من الآية: ٢٥، من سورة الأحقاف.

(٢) مسائل الرازي ٣١٦.

(٣) الآية: ٣١، من سورة الأحقاف.

المأمور به وأشرفها؛ فلذلك ذكره على التعيين؛ فهو من باب ذكر العام، ثم يعطف عليه أشرف أنواعه.

والجواب عن الثاني: أنه ذكر مَنْ التي للتبعيض؛ لأن من الذنوب ما لا يغفر بالإيمان كمظالم العباد ونحوها، أو: أن الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الإسلام. فإذا أسلموا جرت عليهم أحكام الإسلام؛ فمن أتى بذنب أخذ به ما لم يتب منه، أو يبقى تحت غيب المشيئة: إن شاء الله غفر له، وإن شاء أخذه بذنبه.

وقيل: إن من هنا لابتداء الغاية؛ والمعنى: أنه يقع ابتداء الغفران من الذنوب، ثم ينتهي إلى غفران ترك ما هو الأولى.

وقيل: إن (مِنْ) زائدة؛ والتقدير: يغفر لكم ذنوبكم[1].

(١) مسائل الرازي ٣١٦، وتفسير الخازن ٤/ ١٣١، وفتح القدير ٥/ ٢٦.

سورة محمد

قال الله – تعالى – ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ (١).

لِمَ قال: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾ ولم يسبق لهم ضرب مثل؟

والجواب: أن المعنى كذلك يبين الله للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين.

وقيل: أراد به: أنه جعل أتباع الباطل مثلاً لعمل الكفار، وأتباع الحق مثلاً لعمل المؤمنين، أو: أنه جعل الإضلال مثلاً لخيبة الكفار، وتكفير السيئات مثلاً لفوز المؤمنين.

وقيل المعنى: كما بينت عاقبة الكافر والمؤمن؛ وجزاء كل واحد منهما، أضرب للناس أمثالاً يستدلون بها؛ فيزيدهم علماً ووعظاً.

وقيل: الضمير في (أمثالهم) راجع إلى الناس على أنه – تعالى – يضرب للناس أمثال أنفسهم.

وقيل: المراد بالأمثال هنا: أحوال الفريقين الجارية مجرى الأمثال في

---

(١) الآية: ٣، من سورة محمد.

الغرابة (١).

***

قال الله – عز وجل – ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ (٢).

كيف يهدى الشهداء بعدما قتلوا في سبيل الله؟

والجواب: أن المعنى: سيهديهم إلى محاجة منكر ونكير.

وقيل: المعنى: سيهديهم يوم القيامة إلى طريق الجنة.

وقيل: المراد بالذين قتلوا: الذين قاتلوا؛ بدليل القراءة الأخرى (٣). أعم من أن يقتلوا بالفعل أو لا، فمن قتل بالفعل: يهديه الله ويصلح حاله في الآخرة، ومن لم يقتل: يهديه الله – تعالى – ويصلح حاله في الدنيا؛ فالكلام على التوزيع (٤).

وهذا تأويل وتوجيه حسن.

***

يقول المولى – سبحانه وتعالى – ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

---

(١) مسائل الرازي ٣١٧، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٢٩، الخازن ٤/ ١٣٣، وفتح القدير ٥/ ٣٠.

(٢) الآيتان (٤ – ٥) من سورة محمد.

(٣) فتح القدير ٥/ ٣١ ط، دار الفر.

(٤) مسائل الرازي ٣١٧، والفتوحات ٤/ ١٤٣.

﴿أَقۡدَامَكُمۡ﴾[١].

كيف يصح الوعد لهم بالنصرة؛ مع أنهم في بعض حروبهم – نصروا الله بأن جاهدوا؛ ومع ذلك لم ينصرهم، ولم يثبت أقدامهم؟

والجواب: أنه لم يرد بقوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ بالاستقامة على الطاعة ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ في الدنيا؛ إن يحتمل: أنه يريد أن ينصركم في الآخرة ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ على الثواب؛ لأن ذلك نصرة لهم، فيجري مجرى قوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾[٢]، فكأنه قال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ يجازيكم على النصرة.

ويحتمل: أنه يريد: أن الغلبة لكم على كل حال، وإن غُلبتم في الظاهر؛ لأن المغلوب إذا كان مستحقّاً للثواب فهو المنصور، والغالب إذا كان من أهل العقاب: فهو مخذول غير منصور[٣].

ولعل الأولى كون الآية على ظاهرها؛ فمن نصر دين الله؛ كان حقّاً على الله أن ينصره لقوله – تعالى – ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[٤].

وما هُزم المسلمون قط إلا بسبب خطأ يرتكبونه؛ أو: فعل يكسبونه

---

(١) الآية: ٧، من سورة محمد.

(٢) من الآية: ٤٠، من سورة الشورى.

(٣) تنزيه القرآن ٣٨٩.

(٤) من الآية: ٤٧، من سورة الروم.

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ ﴾[١].

***

قال الله - عز وجل - ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴾[٢].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: كيف التوفيق بين قوله - تعالى - ﴿ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ ﴾ وقوله: ﴿ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ ﴾[٣]. والنهر لا يختم عليه؟

الثاني: كيف تكون المغفرة للمتقين في الجنة والمؤمن المتقي لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة؟

الثالث: ما معنى قوله - تعالى - ﴿ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ ﴾ ؟

والجواب عن الأول: أنه يحتمل أن يكون المذكور في آية (المطففين) معناه: في أوانٍ مختوم عليها؛ وهي غير تلك الخمر التي في الأنهار[٤].

---

(١) من الآية: ٣٠، من سورة الشورى.

(٢) الآية: ١٥، من سورة محمد.

(٣) من الآية (٢٥، ٢٦) من سورة المطففين.

(٤) تفسير الخازن ٤/ ٣٦١.

والجواب عن الثاني: أنه ليس بلازم أن يكون المعنى: ولهم مغفرة فيها؛ لأن (الواو) لا تقتضي الترتيب؛ فيكون المعنى: ولهم فيها من كل الثمرات، ولهم مغفرة قبل دخولهم إليها.

وقيل: إن المعنى: ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما يأكلون ويشربون؛ بخلاف الدنيا، فإن مأكولها ومشروبها يترتب عليه حساب وعقاب، ونعيم الجنة لا حساب عليه، ولا عقاب فيه.

وقيل: إن المراد بمغفرة ربهم لهم في الجنة: أن يستر ذنوبهم، وينسيهم سيئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة.

وقيل: إن المراد بالمغفرة هنا: الرضا، وهو يكون في الجنة حيث قال: فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم[1].

والجواب عن الثالث: أن في الكلام حذفاً للإيجاز والاختصار؛ والمعنى: أمّن كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار؟

أو: مثل الجنة الموصوفة كمثل جزاء من هو خالد في النار.

أو: ليس مثل الجنة التي فيها الثمار والأنهار؛ كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم، وليس مثل أهل الجنة في النعيم أهل النار في العذاب الأليم.

---

(١) الخازن ٤/ ١٣٧، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٣٥، والفتوحات الإلهية ٤/ ١٤٦.

وقيل: المعنى: أفمن كان على بينة من ربه وأُعطى هذه الأشياء، كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار[١].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[٢].

لِمَ قال ذلك لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وهو عالم بذلك قبل أن يوحى إليه وبعده؟

والجواب: أن المعنى: أثبت على ذلك العلم.

وقيل: المعنى: ازدد علماً إلى علمك.

وقيل: المراد: ما علمته استدلالاً فاعلمه خبراً يقيناً.

وقيل: المعنى فاذكر أنه لا إله إلا الله؛ فعبّر عن الذكر بالعلم.

وقيل: إنه يتعلق بما قبله على المعنى: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا إله إلا الله؛ أي: يبطل الملك عند ذلك؛ فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله – عز وجل –.

وقيل: إن هذا إخبار بموته – صلى الله عليه وسلم – والمراد: فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده.

---

(١) مسائل الرازي ٣١٧، وفتح القدير ٥/ ٣٤.

(٢) من الآية: ١٩، من سورة محمد.

وقيل: إنه كان ضيق الصدر من أذى قومه فقيل له: فاعلم أنه لا كاشف لذلك إلا الله.

وقيل: الخطاب له – صلى الله عليه وسلم – والمراد أمته [١].

***

يقول المولى – تبارك وتعالى – ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [٢].

عسى طمع وترج وتوقع؛ وذلك على الله محال؛ لأنه – تعالى – عالم بكل شيء، فكيف ذلك؟

والجواب: أن المعنى: يفعل بكم فعل المترجي المبتلى.

وقيل: مرجع معنى التوقع إلى الخلق كقوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [٣]. أي: أن كل من ينظر إليهم يتوقع منهم ذلك. والمعنى: أنه لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم: كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الإيمان: يا هؤلاء ما ترون؟ هل يتوقع منكم: إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم؛ أو: أعرضتم وتوليتم عن الإسلام

---

(١) مسائل الرازي ٣١٧، فتح القدير ٥/ ٣٥، الخازن ٤/ ١٣٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٣٨.

(٢) الآية: ٢٢، من سورة محمد.

(٣) الآية: ١٤٧، من سورة الصافات.

﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ تناحراً على الولاية، وتجاذباً لها، وتهالكاً على الدنيا، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب؛ أي: أنهم لضعفهم في الدين، وحرصهم على الدنيا أحقاء بأن يتوقع منهم ذلك من عرف حالهم ويقول لهم: هل عسيتم[1].

***

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[2].

كيف أخبر بأنه أصمهم وأعمى أبصارهم؛ وأقفل على قلوبهم؛ ثم يوبخهم على ترك التدبر؟ فهذا كقولك للأعمى: أبصر؛ وللأصم: اسمع؟

والجواب: أن التكليف بما لا يطاق جائز؛ لأن الله أمر بالإيمان لمن سبق في علمه أنه لا يؤمن، فكذلك هنا. والله يفعل ما يريد، لا اعتراض لأحد عليه، فلذلك وبخهم على ترك التدبر مع كونه أصمهم وأعمى أبصارهم، وختم على قلوبهم.

وقيل: إنه قوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ محقق للآية المتقدمة؛ وذلك أن الله – تعالى – لما قال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ

---

(١) الخازن ٤/ ١٣٨، البيضاوي ٢/ ٣٩٦، والفتوحات ٤/ ١٥٠.

(٢) الآيتان (٢٣، ٢٤) من سورة محمد.

﴿أَبْصَـٰرَهُمْ﴾؛ فكان قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة؛ أو: كالتبكيت لهم على إصرارهم على الكفر؛ كأنه – تعالى – قال: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: أبعدهم عنه، أو عن الصدق؛ أو الخير، أو: غير ذلك من الأمور الحسنة ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ لا يسمعون حقيقة الكلام ﴿وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ﴾ فلا يبصرون طريقة الإسلام، فإذا هم بين أمرين: إما لا يتدبرون القرآن فيبعدون عنه؛ لأن الله – تعالى – لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق القرآن، وإما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم لكونها مقفلة.

وقيل: إن قوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ المراد به التأسي.

وقيل: إن قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ راجع للناس، لا بقيد كونه أعماهم وأصمهم وختم على قلوبهم"[1].

* * *

يقول الحق – جل ثناؤه – ﴿ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾[2].

قُرِئ: بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء؛ على ما لم يُسم فاعله. يعنى أُمهلوا ومد لهم في العمر. وقرئ ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ بفتح الألف

(١) الخازن ٤/ ١٤٠، والفتوحات ٤/ ١٥٠.

(٢) من الآية: ١٥، من سورة محمد.

واللام [1]. بمعنى: وأملى لهم الشيطان بأن مدَّ لهم في الأمل. والإملاء، والإمهال: لا يكونان إلا من الله؛ لأنه الفاعل المطلق، وليس للشيطان فعل قط. فكيف أسند إليه ذلك؟

والجواب: أن المسول والمملي هو: الله – تعالى – في الحقيقة؛ وليس للشيطان فعل؛ وإنما أسند إليه ذلك من حيث إن الله – تعالى – قدَّر ذلك على يده ولسانه، فالشيطان يمنيهم، ويزين لهم القبيح، ويقول لهم في آجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم إلى آخر العمر [2].

(١) فتح القدير ٥/ ٣٩.

(٢) الخازن ٤/ ١٤٠.

سورة الفتح

قال الله – تعالى – ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1].

وعلى هاتين الآيتين ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: الفتح مسند لله، فهو من أفعاله. والمغفرة للشخص إنما تكون لأجل شيء من أفعاله لا من أفعال غيره، فكيف رتَّب المغفرة له على فعل الله – سبحانه –؟

الثاني: كيف يكون الفتح علة للمغفرة؟

والثالث: أنه إن كان المراد بما تأخر: الذنب الذي يتأخر وجوده عن الخطاب بهذه الآية، فهو معدوم عند نزولها. فكيف يغفر الذنب المعدوم؟ وإن كان المراد به: ذنباً وجد قبل نزولها، فهو متقدم، فكيف سماه متأخراً؟

والجواب عن الأول: أن الفتح وإن كان فعلاً لله؛ لكنه لما ترتب على فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو الجهاد، صح أن يترتب عليه أي: على الفتح المغفرة للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأفعال العباد تستند إلى الله – تعالى – خلقاً وإيجاداً؛ وتسند إلى العباد مباشرة وكسباً.

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة الفتح.

والجواب: عن الثاني: أن اللام لام كي، وأن الفتح ليس سبباً وعلة للمغفرة، بل لاجتماع ما وعده من الأمور الأربعة، وهي: المغفرة، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيم، والنصر العزيز. فلما انضم إلى المغفرة شيء حادث واقع، حسن معنى (كي). وقبل الفتح لم يكن إتمام النعمة والنصر العزيز حاصلاً، وإن كان الباقي حاصلاً، كأنه قيل: يسرنا لك فتح مكة، ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين، وأعراض العاجل والآجل. وهذا الكلام غير جيد، فإن اللام داخلة على المغفرة، فهي علة الفتح. فكيف يصح أن تكون معللة؟ والمراد بالعلة هنا: الغائية لا الباعثة؛ لأنه – تعالى – لا يبعثه شيء على شيء.

وقيل: إن الفتح سبب للمغفرة من حيث إنه جهاد للعدو، وسبب لدخول مكة والطواف بالبيت.

وقيل: إن قوله ﴿ لِيَغْفِرَ ﴾ مردود إلى قوله ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ [1]، ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ و ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾ [2].

وقيل: هو راجع إلى قوله في سورة النصر ﴿ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ

(١) من الآية: ١٩، من سورة محمد.

(٢) من الآية: ٥، من سورة الفتح.

تَوَّابَۢا ﴾[1]، ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾.

وقيل: إن المراد بقوله: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ﴾ التعريف بالمغفرة؛ والتقدير: إنا فتحنا لك لتعرف أنك مغفور لك معصوم.

وقيل: المراد: إن الله فتح لك؛ لكي يجعل الفتح علامة لغفرانه لك، فكأنها لام الصيرورة.

وقيل: هي لام القسم؛ وهو خطأ؛ فإن لام القسم لا تكسر، ولا ينصب بها[2].

والجواب عن الثالث: أن المراد بما تقدم: قصة مارية، وبما تأخر: قصة امرأة زيد، وهذا تخصيص بلا مخصص؛ كما أنه ليس في هاتين القصتين ذنب.

وقيل: المراد بما تقدم: ما وجد منه، وبما تأخر: ما لم يوجد منه. على معنى: أنه موعود بمغفرته على تقدير وجوده، أو: على طريق المبالغة كقولهم: فلان يضرب مَنْ لا يلقاه، بمعنى: أنه يضرب كل أحد، فكذا هنا معناه: ليغفر لك الله كل ذنب. فالحاصل أن الذنب المتأخر متقدم على نزول الآية؛ وإن كان متأخراً بالنسبة إلى شيء آخر قبله؛ أو: متأخراً عن

---

(١) من الآية: ٣، من سورة النصر.

(٢) مسائل الرازي ٣١٨، وفتح القدير ٥/ ٤٤.

نزولها وهو موعود بمغفرته، أو على طريق المبالغة كما بينا، وهذا أولى.

وقيل: المعنى: ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة، وما تأخر بعدها والمراد بالذنب بعد الرسالة: ترك ما هو الأولى، وسمي ذنباً في حقه لجلالة قدره؛ وإن لم يكن ذنباً في حق غيره.

ويرد على هذا القول: أن الذنوب الحاصلة قبل الإسلام معفو عنها لعامة الخلق، فكيف بالأنبياء؟!!

أما ما قيل من أن المعنى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾: يعني: ذنب أبويك: آدم وحواء – عليهما السلام – ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾ من ذنوب أمتك.

وما قيل: إن المعنى: ما تقدم من ذنب أبيك إبراهيم، وما تأخر من ذنوب النبيين من بعده.

وما قيل: إن المعنى: ما تقدم من ذنب يوم بدر، وما تأخر من ذنب يوم حنين.

فكل هذه الأقوال: كالقول الأول؛ وكلها بعيدة عن معنى القرآن [1].

وقيل: إن الذنب مصدر، والمصدر: تجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً، فيكون هنا مضافاً إلى المفعول، والمراد: ما تقدم من ذنبهم إليك في منعهم إياك عن مكة، وصدهم لك عن المسجد الحرام. ويكون

---

(١) مسائل الرازي ٣١٨، وفتح القدير ٥/ ٤٤.

معنى المغفرة على هذا التأويل: الإزالة والنسخ لأحكام أعدائه من المشركين عليه، أي: يزيل الله – تعالى – ذلك عنك، ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة؛ فستدخلها فيما بعد. ولذلك جعله جزاءً على جهاده، وغرضاً في الفتح ووجهاً له، ولو أنه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ ...﴾ معنى مفعول؛ لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح. فلا يكون غرضاً فيه. وأما قوله ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فلا يمتنع أن يريد به: ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك[1].

وهذا قول متكلف وفيه بعد محقق.

وقيل: إن هذا القول ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ خرج مخرج التعظيم؛ وحسن الخطاب؛ كما قيل في قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾[2].

وهذا ضعيف؛ لأن العادة جرت في مثل هذا أن يكون على لفظ الدعاء[3].

***

---

(١) مجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٥٢.

(٢) من الآية: ٤٣، من سورة التوبة.

(٣) مجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٥٢.

قال الله – عز وجل ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (١).

كيف قال: ﴿ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾؛ وهو مهدي إلى الصراط المستقيم، ومهدية به أمته أيضاً؟

والجواب: أن المعنى ويزيدك هدىً.

وقيل: المعنى: ويثبتك على الهدى.

وقيل: المعنى: ويهديك صراطاً مستقيماً في كل أمر تحاوله (٢).

***

يقول المولى – سبحانه – ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (٣).

الفاء في (فعلم) للتعقيب؛ وعلم الله قبل الرضا؛ لأنه – تعالى – علم ما في قلوبهم من الصدق والإيمان، فرضي عنهم، فكيف يفهم التعقيب في قوله: ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾؟

والجواب: أن قوله ﴿ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ متعلق بقوله ﴿ إِذْ يُبَايِعُونَكَ ﴾ فيكون تقديره: لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك فعلم

(١) من الآية: ٢، من سورة الفتح.

(٢) مسائل الرازي ٣١٨.

(٣) من الآية: ١٨، من سورة الفتح.

ما في قلوبهم من الصدق؛ إشارة إلى أن الرضا لم يكن عند المبايعة فحسب، بل عند المبايعة التي عندها تحقق علم الله بصدقهم، والفاء في قوله - ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ للتعقيب؛ لأنه - تعالى - لما علم ما في قلوبهم: رضي عنهم فأنزل السكينة عليهم"[1].

***

يقول الله - جل وعلا - ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[2].

ما فائدة قوله: ﴿وَأَهْلَهَا﴾ بعد قوله ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا﴾؟

والجواب: أن الضمير في (بها) لكلمة التوحيد، وفي (أهلها) للتقوى؛ فظهرت الفائدة، لكن يرد عليه: أن كلمة التوحيد: لم يرد لها ذكر فيما سبق.

وقيل: إن في الكلام تقديماً وتأخيراً؛ والتقدير: كانوا أهلها وأحق بها، أي: كان المؤمنون أهلاً لتلك الكلمة وأحق بها من المشركين.

وقيل: المعنى: وكانوا أحق بنزول السكينة عليهم وأهلها.

وقيل المعنى: وكانوا أحق بمكة أن يدخلوها وأهلها. وقد يكون

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ١٥١.

(٢) من الآية: ٢٦، من سورة الفتح.

حق أحق من غيره، ألا ترى أن الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح، أحق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك؟!!

وقيل المعنى: ﴿ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا ﴾ من المشركين. (و) كانوا (أهلها) في علم الله – تعالى –.

وقيل المعنى: وكانوا أحق بها (وأهلها) أي والمستأهلين لها[١].

* * *

قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾[٢].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: ما وجه تعليق الدخول بمشيئة الله – تعالى – في أخباره – سبحانه – ؟

والثاني: ما فائدة قوله ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ بعد قوله ﴿ ءَامِنِينَ ﴾؟

والجواب عن الأول: أن (إن) بمعنى:إذ؛ كما في قوله – تعالى – ﴿ ... وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٣].

---

(١) مسائل الرازي ٣١٩، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٧٧، زاد المسير ٧/ ٤٤٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٠٤.

(٢) من الآية: ٢٦، من سورة الفتح.

(٣) من الآية ٢٧٨، من سورة البقرة.

وقيل: إنه استثناء من الله – تعالى – فيما يعلم، تعليماً لعباده أن يستثنوا فيما لا يعلمون.

وقيل: إنه على سبيل الحكاية لرؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم – فإنه رأى أن قائلاً يقول له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾.

وقيل: إن الاستثناء متعلق بقوله – تعالى – ﴿ءَامِنِينَ﴾؛ فأما الدخول فليس فيه تعليق، فكأنه قال: لتدخلن المسجد الحرام وأنتم آمنون إن شاء الله؛ لأن الأمن داخل المسجد الحرام قد يتغير.

وقيل: إن الاستثناء من الدخول، وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة، وقد مات منهم أناس في السنة؛ فيكون تقديره: لتدخلن كلكم إن شاء الله؛ إذ علم الله أن منهم من يموت قبل السنة، أو يمرض فلا يدخلها، فأدخل الاستثناء لئلا يقع في الخبر خلف.

وقيل: لما لم يقع الدخول في عام الحديبية، وكان المؤمنون يريدون الدخول، ويأبون الصلح قال: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ لا بقوتكم وإرادتكم، ولكن بمشيئة الله – تعالى –.

وقيل: إن المشيئة هنا لتحقيق الخبر وتوكيده، وليست من الاستثناء في شيء [1]. فهي كقوله – صلى الله عليه وسلم – «وإنا إن شاء الله بكم

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٥٩، الخازن ٤/ ١٦١، مجمع البيان: المجلد السادس: ٢٦/ ٧٨.

لاحقون»[1]، مع أنه لا شك في الموت؛ وهذا أولى وأوفق.

والجواب: عن الثاني: أن المعنى ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ في حال الدخول ﴿ تَخَافُونَ ﴾ عدوكم أن يخرجكم منه في المستقبل.

أو: ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ من عدوكم في رجوعكم؛ لأن قوله: ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ في حال الإحرام؛ لأنه لا قتال فيه؛ وقوله: ﴿ لَا تَخَافُونَ ﴾ يرجع إلى كمال الأمن بعد الإحرام وفي حال الرجوع[2].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾[3].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: أين المعلل بقوله – تعالى – ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾؟

والثاني: ما معنى التبعيض هنا ﴿ مِنْهُم ﴾ وكل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – موصوفون بالإيمان والعمل الصالح وغيرهما من

---

(١) إرواء الغليل ٣/ ٢٣٥ ط، المكتب الإسلامي.

(٢) مسائل الرازي ٣١٩، وتفسير الخازن ٤/ ١٦١.

(٣) الآية: ٢٩، من سورة الفتح.

الصفات الحميدة التي ذكرها الله – تعالى – في هذه الآية؟

والجواب عن الأول: أنه تعليل لما دلّ عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وقوتهم؛ كأنه قال: إنما كثرهم وقواهم ليغيظ بهم الكفار.

وقيل: هو قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأهل مكة بعدما أسلم: لا يعبد الله سرّاً بعد اليوم.

وقيل: هو علة لقوله – ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾، فإن الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك[1].

والجواب عن الثاني: أن (من) هنا لبيان الجن لا للتبعيض، كما في قوله – تعالى – ﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ ﴾[2].

---

(١) مسائل الرازي ٣١٩، تفسير الخازن ٤/ ١٦٢، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٠٦.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٠، وهذا النص من الآية: ٣٠، من سورة الحج.

سورة الحجرات

قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

كيف قال ﴿ لَا تُقَدِّمُواْ ﴾ والمراد به نهيهم: أن يتقدموا هم على رسول الله بقول أو فعل، لا أن يقدموا غيرهم؟

والجواب: أن قدَّم هنا: لازم بمعنى تقدم؛ كما في قولهم: بين وتبين؛ وفكر وتفكر؛ ووقف وتوقف.

وقيل المعنى: لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر الله ورسوله به، أو: لا تقدموا فعلاً قبل أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم–.

وعلى هذا فالفعل قَدَّم متعد؛ وحذف مفعوله لقصد التعميم، أو: ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل؛ كقولهم: هو يعطى ويمنع[2].

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا

---

(١) الآية: ١، من سورة الحجرات.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٠، وفتح القدير ٥/ ٥٨.

تَشۡعُرُونَ ﴾[١].

على هذه الآية يبرز سؤالان:

الأول: ما فائدة قوله: ﴿ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ بعد قوله ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾؟

الثاني: كيف قال ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ أي: مخافة أن تحبط أعمالكم. مع أن الأعمال إنما تحبط بالكفر لا بغيره من المعاصي. ورفع الصوت في مجلس النبي – صلى الله عليه وسلم – ليس بكفر، كيف وقد روي أن الآية نزلت في أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – لما رفعا أصواتهما بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان جهوري الصوت، فربما تأذى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصوته[٢].

والجواب عن الأول: أن فائدته تحريم الجهر في مخاطبته – صلى الله عليه وسلم – باسمه، نحو قولهم: يا محمد، ويا أحمد، فهو أمر لهم بتوقيره وتعظيمه في المخاطبة، وأن يقولوا: يا رسول الله، ويا نبي الله ونحو ذلك. ونظيره قوله – تعالى – ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم

---

(١) الآية: ٢ن من سورة الحجرات.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٦٧، ٣٦٨.

بَعۡضًا ﴾[1].

وقيل: إن قوله: ﴿ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ المراد به: إذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم حدّاً يبلغ صوته؛ بل يكون كلامكم دون كلامه ليتميز منطقه. والمراد بقوله ﴿ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ ﴾ أنكم إذا كلمتموه وهو صامت، فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعونها فيما بينكم. فحصل التغاير. إذ الأول مخصوص بمكالمته معهم، والثاني: مخصوص بسكوته.

وقيل: إن الأول نهي عن أن يكون جهرهم أقوى من جهره كما هو صريح قوله: ﴿ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ والثاني: نهي عن مساواة جهرهم لجهره[2].

والجواب عن الثاني: أن المعنى: لا تستخفوا به؛ فإن الاستحقاف به ربما أدى خطؤه إلى عمده؛ وعمده كفر يحبط العمل.

وقيل: حبوط العمل: مجاز عن نقصان المنزلة وانحطاط المرتبة.

وقيل: معنى ﴿ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ أي: مخافة أن ينحبط ثواب ذلك العمل؛ لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) من الآية: ٦٣، من سورة النور.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٠، والفتوحات الإلهية ٤/ ١٧٥.

وتوقيره، لاستحقوا الثواب، فلما فعلوا على خلاف ذلك الوجه، استحقوا العقاب، وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم.

وقيل المعنى: إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك: فيغضب الله – تعالى – لغضبه؛ فيحبط عمل مَنْ أغضبه وهو لا يدري، كما جاء في الصحيح: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله – تعالى – لا يلقي لها بالاً: يكتب له بها الجنة؛ وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله – تعالى – لا يلقي لها بالاً، يهوي بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض»(١).

* * *

يقول المولى – سبحانه وتعالى – ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾(٢).

ما موقع لكن، وشرطيتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفياً وإثباتاً؟

والجواب: أنها مفقودة من حيث اللفظ، حاصلة من حيث المعنى؛

---

(١) السلسلة الصحيحة ح٨٨٨، المسند ٣/ ٤٦٩، إتحاف ٧/ ٤٦٨، مسائل الرازي ٣٢١، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٨٥، وتفسير ابن كثير ٦/ ٣٧٠.

(٢) الآية: ٧، من سورة الحجرات.

لأن الذين حبَّب إليهم الإيمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم، فوقعت لكن في موقعها من الاستدراك. وهذا مبني على تقدير أن يكون المخاطبون بقوله ﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ ﴾ من اعتمد على نبأ الفاسق إلى العمل بمقتضاه. ويكون المخاطبون بقوله: ﴿ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ﴾ المؤمنين الكاملين الذين لم يعتمدوا على كل ما سمعوه.

وقيل المعنى: فاتركوا عبادة الجاهلين فإن الله – تعالى – لم يترككم عليها، ولكن الله حبب إليكم الإيمان.

وقيل المعنى: فتثبتوا في الأمور كما يليق بالإيمان، فإن الله حبب إليكم الإيمان (١).

الثاني: إن كان الفسوق والعصيان بمعنى واحد، فما فائدة الجمع بينهما؛ وإن كان العصيان أعم من الفسق؛ فذكره مغنٍ عن ذكر الفسوق لدخوله فيه. فلِمَ جمع بينهما؟

والجواب: أن المراد بالفسوق هنا: الكذب. وبالعصيان: بقية المعاصي. وإنما أفرد الكذب بالذكر: لأنه سبب نزول الآية.

وقيل: الفسوق: الخروج عن الطاعة، والعصيان: جنس ما يُعصى الله به. فيكون من باب ذكر العام بعد الخاص.

---

(١) مسائل الرازي ٣٢١، والفتوحات الإلهية ٤/ ١٧٩.

وقيل: الكفر: تغطية نعم الله بالجحود، والفسق: الخروج عن القصد، والعصيان: الامتناع عن الانقياد[١].

* * *

قال الله – جلّ وعلا – ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[٢].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: كيف يقال: إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد وقد فرق الله – سبحانه – بينهما؟

الثاني: لِمَ قال: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ بعد قوله: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ ﴾ وهو شبه تكرار من غير استقلال بفائدة متجددة؟

والجواب عن الأول: أنهما في اللغة متغايران؛ فالإيمان هو: التصديق بالقلب؛ والإسلام هو: الانقياد الظاهري؛ كما أنهما في الشرع مختلفان مفهوماً، متحدان ما صدقا، إذ الإيمان هو: التصديق بالقلب بشرط التلفظ بالشهادتين، والإسلام بالعكس. والذي يَدَّعي اتحادهما لا يريد به أنهما حيث استعملا كانا بمعنى واحد، بل يريد به أن أحد معاني الإيمان هو:

---

(١) مسائل الرازي ٣٢١، فتح القدير ٥/ ٦٠، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٠٩.

(٢) من الآية ١٤، من سورة الحجرات.

الإسلام.

وقيل: إن بينهما عموماً وخصوصاً. وبين العام والخاص فرق. فالإيمان لا يحصل إلا بالقلب، والانقياد قد يحصل بالقلب، وقد يحصل باللسان. فالإسلام أعم؛ والإيمان أخص، لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص لا يكون أمراً غيره. فالعام والخاص: مختلفان في العموم، متحدان في الوجود. فكذلك المؤمن والمسلم.

فالمنفي هنا: الإيمان بالقلب؛ بدليل قوله - تعالى - ﴿ وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ ﴾ يعني: لم تصدقوا بقلوبكم ﴿ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا ﴾ أي: استسلمنا وانقدنا خوف السيف، ولا شك في الفرق بين الإيمان والإسلام بهذا التفسير [1].

والجواب عن الثاني: أنه تكرار، لكنه مستقل بفائدة متجددة؛ لأنه علم من الأول: نفي الإيمان عنهم؛ ومن الثاني: نفيه مع توقع حصوله؛ إذ أن منفي (لمَّا) متوقع الحصول [2].

* * *

(١) مسائل الرازي ٣٢١ - ٣٢٢، الفتوحات ٤/ ١٨٦، وتفسير الخازن ٤/ ١٧٣.

(٢) الفتوحات ٤/ ١٨٦.

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[1].

كيف يقال: إن العمل ليس من الإيمان؛ وقد جعله الله – تعالى – منه في هذه الآية؟

والجواب: أن المعنى: إنما المؤمنون إيماناً كاملاً؛ كما في قوله – تعالى – ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2]، وقوله – صلى الله عليه وسلم – «الرجل من يصبر على الشدائد».

ويُرَدّ على هذا الجواب: أن المنفي في أول الآية عن الأعراب: نفس الإيمان الكامل، فلا يناسب أن يكون المثبت بعد ذلك الإيمان ا لكامل، بل نفس الإيمان[3].

ويُرَدّ هذا الاعتراض: بأن المنفي عن الأعراب نفس الإيمان، لا الإيمان الكامل، إذ لا عبرة بالقول الظاهري ما لم يقترن بالاعتقاد القلبي،

---

(١) الآية: ١٥، من سورة الحجرات.

(٢) من الآية: ٢٨، من سورة فاطر.

(٣) مسائل الرازي ٣٢٢.

ويدل عليه قوله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[١]، أي: يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم آمنوا بقلوبكم.

وقيل: المعنى: إنما المؤمنون الذي آمنوا إيماناً صحيحاً خالصاً من مواطأة القلب واللسان[٢].

---

(١) من الآية: ١٣٦، من سورة النساء.

(٢) فتح القدير ٥/ ٦٨.

سورة ق

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ ... ﴾[1].

أين جواب القسم؟

والجواب: أنه مضمر تقديره: إنهم مبعوثون بعد الموت.

وقيل: جوابه قوله – تعالى – ﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ ... ﴾.

وقيل: هو قوله – تعالى – ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ ﴾[2]، واللام محذوفة لطول الكلام تقديره: لقد علمنا؛ كما في قوله – تعالى – ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[3].

وقيل: هو قوله – تعالى – ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ ... ﴾[4].

وقيل: ليس قسماً؛ وإنما هو اسم للسورة.

وقيل: اسم من أسماء الله.

وقيل: اسم من أسماء القرآن.

---

(١) الآيتان (١ـ ٢) من سورة ق.

(٢) من الآية: ٤، من السورة السابقة.

(٣) الآية: ٩، من سورة الشمس.

(٤) من الآية: ١٨، من سورة ق.

وقيل: هو مفتاح اسمه القدير والقادر، والقاهر، والقريب [١]، والقابض، والقدوس، والقيوم.

وقيل معناه: قضى الأمر، أو قضى ما هو كائن.

وقيل: هو جبل محيط بالأرض [٢].

***

يقول المولى – سبحانه وتعالى – ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ [٣].

كيف قال: ﴿ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴾ وأراد به: الحب الحصيد؛ فأضاف الشيء إلى نفسه؛ والإضافة تقتضي المغايرة بين المضاف والمضاف إليه؟

والجواب: أن المعنى: وحب الزرع الحصيد. أو: النبات الحصيد.

وقيل: إن إضافة الشيء إلى نفسه جائزة عند اختلاف اللفظين، كما في قوله – تعالى – ﴿ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [٤]، و﴿ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [٥]، و﴿ وَلَدَارُ

---

(١) هو أقرب إلى الصفات من الأسماء.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٢، والخازن ٤/ ١٧٤.

(٣) الآية: ٩، من سورة ق.

(٤) من الآية: ٩٥، من سورة الواقعة.

(٥) من الآية: ١٦، من سورة ق.

﴿ٱلْآخِرَةِ﴾[١]، و﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾[٢].

* * *

قال جلّ وعلا – ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٣].

قرب المكان لا يليق بوصف الله – سبحانه – فكيف قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾؟

والجواب: أن المراد بقرب الله – عز وجل – من العبد: قرب الكرامة والرحمة، والمراد بقرب العبد من الله – تعالى – قرب الطاعة والعبادة؛ وكذلك: البعد؛ ونظير هذه الآية قوله – تعالى – ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾[٤]، وقوله – تعالى – ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[٥]، وقوله – تعالى – ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾[٦].

* * *

---

(١) من الآية (١٠٩، ٣٠) من سورتي يوسف والنحل.

(٢) من الآية: ١٦، من سورة الأحقاف، ومسائل الرازي ٣٢٢.

(٣) الآية: ١٦، من سورة ق.

(٤) الآية: ٨٥، من سورة الواقعة.

(٥) الآية: ٩، من سورة النجم.

(٦) الآية: ١٩، من سورة العلق.

يقول الله – تعالى – ﴿ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١).

كيف قال ﴿ قَعِيدٌ ﴾، ولم يقل: (قعيدان)؟ وهو وصف للملكين اللذين سبق ذكرهما بقوله – تعالى – ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ ﴾؟

والجواب: أن المعنى: عن اليمين قعيد؛ وعن الشمال قعيد، إلا أنه حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه.

وقيل: إن فعيلاً يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع؛ قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (٢).

وقيل: إنما لم يقل: قعيدان رعاية لفواصل السورة (٣).

* * *

يقول الله – جل شأنه – ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ (٤).

لِمَ قال: ﴿ أَلْقِيَا ﴾ والخطاب لواحد، وهو مالك خازن النار؟

والجواب: أنه أقام تثنية الفاعل مقام تثنية الفعل للتأكيد باتحادهما حكماً، كأنه قال: ألق ألق.

وقيل: إن العرب كثيراً ما يرافق الرجل منهم اثنين، فكثر على

---

(١) الآية: ١٧، من سورة ق.

(٢) من الآية: ٤، من سورة التحريم.

(٣) مسائل الرازي ٣٢٣.

(٤) الآية: ٢٤، من سورة ق.

ألسنتهم خطاب الاثنين فقالوا: خليلّ، وصاحبيّ وقفا، فجاء على هذا الباب.

وقيل: إنه أمر للملكين اللذين سبق ذكرهما بقوله – تعالى – ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ [١].

يقول المولى – تبارك وتعالى – ﴿ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ [٢].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لِمَ قال: ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ ولم يقل غير بعيدة؛ وهو وصف للجنة؟

الثاني: ما فائدة قوله ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ بعد قوله: ﴿ وَأُزْلِفَتِ ﴾ بمعنى قربت؟

الثالث: كيف التقريب مع أن الجنة مكان، والأمكنة يقرب منها وهي لا تقرب؟

والجواب عن الأول: أنه على زنة المصادر كالدبيب، والصليل؛ والمصادر يستوي في الوصف بها: المذكر والمؤنث.

وقيل: إنه على حذف الموصوف؛ أي: مكاناً غير بعيد.

وقيل: إنما قال: ﴿ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾، ولم يقل: غير بعيدة؛ لأن الجنة بمعنى

---

(١) الآية: ٢١، من السورة السابقة، مسائل الرازي ٣٢٣ – ٣٢٤.

(٢) الآية: ٣١، من سورة ق.

البستان [١].

والجواب عن الثاني: أن الفائدة: هي التأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل.

والجواب عن الثالث: أن الجنة لا تنقل، ولا يؤمر المؤمن – في ذلك اليوم – بالانتقال إليها مع بعدها. لكن الله – تعالى – يطوي المسافة التي بين المؤمن والجنة، فهو التقريب ولا يقال على هذا ليس إزلاف الجنة من المؤمن بأولى من إزلاف المؤمن من الجنة؛ فما فائدة قوله: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ ﴾؟ لأن ذلك إكرام للمؤمن، وبيان لشرفه؛ وأنه ممن يمشى إليه.

أو: أن المراد: قرب الدخول فيها، لا بمعنى القرب المكاني. أو: أن الله – تعالى – قادر على نقل الجنة من السماء إلى الأرض، فيقر بها المؤمن.

ويحتمل: أن أزلفت بمعنى: جمعت محاسنها؛ لأنها مخلوقة.

أو: أن المعنى: قرب حصولها، وذلك بالفراغ من الحساب، وظهور علامات الفوز على وجوه المتقين؛ وهو كقوله – تعالى – ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٩٠ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴾ [٢].

* * *

---

(١) مسائل الرازي ٣٢٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤١٦.

(٢) الآيتان (٩٠، ٩١) من سورة الشعراء.

قال – جل ذكره – ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1].

لِمَ قال: ﴿ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ وكل إنسان له قلب، بل كل حيوان؟

والجواب: أن المراد بالقلب هنا: العقل. ولما كان القلب موضعاً للعقل كنيَّ به عنه[2]، ولكن في محل العقل خلاف، هل هو القلب أو الرأس.

وقيل: إن المراد: لمن كان له قلب واع؛ لأن من لا يعي قلبه، فكأنه لا قلب له. ويؤيد ذلك قوله – تعالى – ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾[3].

---

(١) الآية: ٣٧، من سورة ق.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٤.

(٣) الآية: ٧٩، من سورة الأعراف.

سورة الذاريات

قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴾[١].

كيف قال: ﴿ لَصَادِقٌ ﴾ والصادق: وصف القائل لا وصف الوعد؟

والجواب: أن صادق بمعنى مصدوق؛ كقوله ﴿ عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[٢]، بمعنى: مرضية؛ وقوله ﴿ مَّآءٍ دَافِقٍ ﴾ أي: مدفوق.

وقيل: معناه: لصدق؛ أي: لخبر صدق لا بد من كونه. والمصدر: قد جاء على وزن اسم الفاعل؛ كقولهم: قمت قائماً؛ وقولهم: لحقت بهم اللائمة: أي: اللوم[٣].

***

يقول المولى – سبحانه – ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾[٤].

لِمَ قال: ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ والمتقون لا يكونون في الجنة في العيون؟

والجواب: أن المعنى: أنهم في بساتين؛ فيها عيون جارية؛ أي: في خلال الجنات: عيون جارية. أي أنهم في الجنات، والعيون الكثيرة محدقة

---

(١) الآية: ٥، من سورة الذاريات.

(٢) من الآية: ٢١، من سورة الحاقة.

(٣) مسائل الرازي ٣٢٥، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٦/ ٧.

(٤) الآية: ١٥، من سورة الذاريات.

بهم من كل ناحية؛ فهم في مجموعها لا في كل عين. ونظيره قوله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴾ (١)، لأنه بمعنى أنهار، إلا أنه عدل عنها رعاية للفواصل (٢).

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (٣).

الضمير (فيها) عائد على قرى قوم لوط، وهي ليست موجودة، فكيف توجد فيها العلامة؟

والجواب: أن الضمير عائد إلى تلك الناحية والبقعة، لا إلى قرى قوم لوط – عليه السلام –.

وقيل: إن الضمير عائد إلى قرى قوم لوط، ولكن (في) هنا بمعنى (من) كما في قوله – تعالى – ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ (٤)، وقوله – تعالى – ﴿ وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ (٥)، ويؤيد هذا الوجه مجيئه مصرحاً به في سورة

---

(١) الآية: ٥٤، من سورة القمر.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٥، فتح القدير ٥/ ٨٤، وتفسير الخازن ٤/ ١٨١.

(٣) الآية: ٣٧، من سورة الذاريات.

(٤) من الآية: ٨٩، من سورة النحل.

(٥) من الآية: ٥، من سورة النساء.

العنكبوت بلفظ (مِنْ) في قوله – تعالى – ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١).

والآية: آثار منازلهم الخربة، أو الحجارة التي أبقاها الله – تعالى – حتى أدركها أوائل هذه الأمة، أو الماء الأسود الذي يخرج من الأرض(٢).

* * *

قال – سبحانه وتعالى – ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٣).

كيف أخبر – سبحانه – بأنه خلق من كل شيء زوجين. وفي الأشياء ما لا زوج له؛ كالعرش والكرسي والقلم واللوح والجمادات وغير ذلك؟

والجواب: أن المعنى: ومن كل حيوان: خلقنا ذكراً وأنثى.

وقيل: المعنى: ومن كل شيء تشاهدونه خلقنا صنفين: يخالف كل صنف الآخر بعض المخالفة كالليل والنهار؛ والصيف والشتاء؛ والنور والظلمة، والخير والشر، والحياة والموت، والبر والبحر، والسماء والأرض، والشمس والقمر، ونحو ذلك.

---

(١) الآية: ٣٥ن من سورة العنكبوت.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٥.

(٣) الآية: ٤٩، من سورة الذاريات.

وقيل المعنى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الأجناس ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [١].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [٢].

لِمَ كرر قوله ﴿ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾؟

والجواب: أنه إنما كرره عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك؛ ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما أن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وأنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما، فالأول مرتب على ترك الإيمان والطاعة، والثاني على الاشتراك [٣].

* * *

قال – تبارك وتعالى – ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٤].

إذا قلنا: إن الله – عز وجل – خلقهم للعبادة، كان مريداً لها منهم، فكيف أرادها ولم توجد منهم؟ وكيف كفروا وقد خلقهم للإقرار بربوبيته، والتذلل لأمره ومشيئته؟

---

(١) مسائل الرازي ٣٢٥، البيضاوي ٢/ ٤٢٣، وتنزيه القرآن ٤٠٢.

(٢) الآيتان (٥٠، ٥١) من سورة الذاريات.

(٣) الخازن ٤/ ١٨٥، والبيضاوي ٢/ ٤٢٣.

(٤) الآية: ٥٦، من سورة الذاريات.

والجواب عن الأول: أنه عام أريد به خاص؛ وهم المؤمنون، بدليل خروج البعض منه بقوله – تعالى – ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ (١)، ومَنْ خُلق لجهنم لا يكون مخلوقاً للعبادة، ومعنى الآية: وما خلقت الجن المؤمنين والإنس إلا ليعبدون.

وقيل: هو على عمومه، ويعبدون: من باب نسبة الفعل الواحد إلى الجماعة، ولا شك أن العبادة وقعت من البعض، أو أن المراد بالعبادة: التوحيد، وقد وَحَّده الكل يوم أخذ الميثاق، وهذا يختص بالإنسان؛ لأن أخذ الميثاق مخصوص بهم بالآية.

وقيل: المعنى: إلا ليكونوا عبيداً لي، أو إلا ليذلوا ويخضعوا وينقادوا لما قضيته وقدرته عليهم، فلا يخرج عنه أحد منهم.

وقيل: المعنى: إلا ليعبدون إن اختاروا العبادة، لا قسرا وإلجاءً.

وقيل: إلا ليعبدون: العبادة المرادة في قوله – تعالى – ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ (٢)، والعموم ثابت في الوجوه الخمسة.

وقيل: معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا مهيئين ومستعدين ليعبدون، بأن خلقتُ فيهم العقل والحواس، والقدرة التي تتحصل بها العبادة، وهذا

(١) من الآية: ١٧٩، من سورة الأعراف.

(٢) من الآية: ١٥، من سورة الرعد.

لا ينافي تخلف العبادة بالفعل عن بعضهم؛ لأن هذا البعض وإن لم يعبد الله، لكن فيه التهيؤ، تقول: بريت القلب للكتابة، ثم قد تكتب به وقد لا تكتب، كما أن فيه الاستعداد الذي هو الغاية بالحقيقة، والغاية: لا يلزم وجودها.

وقيل: معنى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: إلا ليعرفون؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده، ودليل هذا التأويل: قوله - تعالى - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1]، وقوله - سبحانه - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾[2]، وما أشبه هذا من الآيات.

وقيل المعنى: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر، فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، يدل عليه قوله - تعالى - ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[3]، وقوله - تعالى - ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي

---

(١) من الآية: ٦١، من سورة العنكبوت.

(٢) الآية: ٩، من سورة الزخرف.

(٣) الآيتان (٢٢، ٢٣) من سورة يونس.

ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[١].

والجواب عن الثاني: أنهم تذللوا لقضائه عليهم؛ لأن قضاءه جارٍ عليهم لا يقدرون على الامتناع منه، وإنما خالفه من كفر في العمل بما أمر به، فأما التذلل لقضائه، فإنه غير ممتنع منه[٢].

***

قال الله – تعالى – ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾[٣].

ما فائدة ﴿ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ بعد قوله ﴿ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ﴾؟

والجواب: أن المعنى: ما أريد منهم من رزق لأنفسهم ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ أي: أن يطعموا عبيدي، وإنما أضاف الإطعام إلى ذاته المقدسة؛ لأن الخلق عياله وعبيده، ومن أطعم عيال غيره فكأنه أطعمه، ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح «إن الله – عز وجل – يقول يوم القيامة: يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني...» أي: استطعمك عبدي فلم تطعمه[٤].

وقيل المعنى: ما أريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي، فليشتغلوا بما هم مخلوقون له ومأمورون به، والمراد أن يبين أن شأنه مع عبيده ليس شأن

---

(١) الآية: ٦٥، من سورة العنكبوت.

(٢) الفتوحات ٤/ ٢١٠، مسائل الرازي ٣٢٦، وفوائد في مشكل القرآن ٢٣٧.

(٣) الآية: ٥٧، من سورة الذاريات.

(٤) كنز العمال ح ٤٣٢٧٧.

السادة مع عبيدهم، فإنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم: فمنهم من يحتاج إلى كسب عبده في نيل الرزق، ومنهم من يكون له مال وافر يستغنى به عن حمل عبده على الاكتساب، لكنه يستعين به في قضاء حوائجه، بأن يستخدمه في طبخ الطعام وإحضاره بين يديه ونحو ذلك، وهو - تعالى - مستغنٍ عن جميع ذلك، فظهرت فائدة تكرير قوله: ﴿ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾، فإن الإرادة الأولى متعلقة باكتساب الرزق، والثانية متعلقة بإصلاحه.

وخص الإطعام بالذكر لكونه معظم المنافع المطلوبة من المماليك بعد اشتغالهم بالأرزاق، ونفي الأهم، يستلزم نفي ما دونه بطريق الأولى، كأنه قيل: ما أريد منهم من عين ولا عمل"[1].

ولعل هذا هو الصواب، إذ المعنى الأولى: يستلزم أن الله - سبحانه - لا يريد من عبيده أن يطعموا عياله، بينما هو يريد ذلك بدليل الحديث المذكور.

(١) الفتوحات الإلهية ٤/ ٢١١، ومسائل الرازي ٣٢٦ - ٣٢٧.

سورة الطور

قال الله – تعالى – ﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾[١].

لِمَ قال: ﴿ وَزَوَّجْنَـٰهُم ﴾، مع أن الحور العين في الجنة مملوكات ملك يمين لا ملك نكاح؟

والجواب: أن المعنى قرناهم بهن من قولهم: زوجت إبلي، أي: قرنت بعضها إلى بعض، وليس من التزويج الذي هو عقد النكاح، ويؤيده أن ذلك لا يعدى بالباء بل بنفسه كما قال – تعالى – ﴿ زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾[٢]، ويقال: زوجه امرأة، ولا يقال: بامرأة، والباء لما في التزويج من معنى الإلصاق والوصل والقران، ولذلك عطف (الذين آمنوا) على حور، أي: قرناهم بأزواج حور ورفقاء مؤمنين، أو للسببية[٣]، إذ المعنى: صيرناهم أزواجاً بسببهن[٤].

***

(١) من الآية: ٢٠، من سورة الطور.

(٢) من الآية: ٣٧، من سورة الأحزاب.

(٣) أي: ويحتمل أن تكون الباء للسببية.

(٤) مسائل الرازي ٣٢٧، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٢٥.

يقول المولى – سبحانه وتعالى – ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴾.

الآية الأولى تقتضي عموم رهن كل إنسان بعمله في النار ولو كان من أصحاب اليمين، نظراً للشمول المدلول عليه بلفظه (كل)، والآية الثانية: تدل على عدم شمولها لأصحاب اليمين، واستثنائهم من الارتهان، فما سبيل الجميع بينهما؟

والجواب: أن آية الطور عامة مخصوصة بآية المدثر.

وقيل: إن نفس كل عبد ترهن عند الله – تعالى – بالعمل الصالح الذي هو مطالب به، كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحاً فكها وخلصها، وإلا أوبقها.

وقيل: إن آية الطور جملة من صفات أهل النار وقعت معترضة في صفات أهل الجنة، ويؤيده ما روى عن مقاتل أنه قال: معناه: كل امرئ كافر بما عمل من الكفر مرتهن في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً لقوله –

---

(١) الآيتان (٢١، ٢٢) من سورة الطور.

تعالى - ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ... ﴾ (١).

وقيل: هي عامة، والمعنى: كل إنسان معامل بما يستحقه ويجازى عليه بحسب عمله، إن عمل طاعة أُثيب، وإن عمل معصية عوقب، ولا يؤاخذ أحد بذنب غيره (٢).

وهذا القول يرجع في المعنى إلى القول الأول.

***

قال الله - تعالى - ﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (٣).

كيف قال - تعالى - في حق النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ وكل واحد غيره: لا يكون كاهناً ولا مجنوناً بنعمة الله - تعالى -؟

والجواب: أن المعنى اثبت على ما أنت عليه من الوعظ والتذكير، والباء متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام: هو حال، أي: ما أنت في حال تذكيرك بنعمة ربك - بكاهن ولا مجنون ، أو ما أنت متلبساً بنعمة ربك

---

(١) الآيات من (٣٨ - ٤٠) من سورة المدثر.

(٢) مسائل الرازي ٣٢٧، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٧/ ٣٠، ودفع إيهام الاضطراب ٢٧٥.

(٣) الآية: ٢٩، من سورة الطور.

التي أنعم بها عليك من رجاحة العقل والنبوة بكاهن ولا مجنون كما يقول الكفار.

وقيل: الباء للسببية متعلقة بمضمون الجملة المنفية، والمعنى: انتفى عنك الكهانة والجنون، بسبب نعمة الله عليك، كما تقول: ما أنا بمعسر بحمد الله.

وقيل: الباء للقسم متوسطة بين اسم (ما)، وخبرها، والتقدير: ما أنت ونعمة الله بكاهن ولا مجنون.

وقيل: الباء هنا بمعنى (مع) كما في قوله – تعالى – ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [(١)]، وقوله – تعالى – ﴿ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ﴾ [(٢)]، ويقال: أكلت الخبز بالتمر، أي: معه [(٣)].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [(٤)].

ما معنى الجمع في (أعيننا)؟

---

(١) من الآية: ٢٠، من سورة المؤمنون.

(٢) من الآية: ٥٢، من سورة الإسراء.

(٣) مسائل الرازي ٣٢٧ – ٣٢٨، مجمع البيان المجلد السادس ٢٨/ ٣٣، وفتح القدير ٥/ ٩٩.

(٤) من الآية: ٤٨، من سورة الطور.

والجواب: أنه جمع العين للتفخيم والتعظيم، والمراد: بحيث نراك ونحفظك. ونظيره في معنى العين: قوله - تعالى - ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [١]، ونظيره في الجمع: قوله - تعالى - ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [٢]، وقوله - تعالى - ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا ﴾ [٣].

وقيل: جمع العين: لجمع الضمير، والمبالغة بكثرة أسباب الحفظ [٤].

---

(١) من الآية: ٣٩، من سورة طه.

(٢) من الآية: ١٤، من سورة القمر.

(٣) من الآية: ٧١، من سورة يس.

(٤) مسائل الرازي ٣٢٨، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٢٨.

سورة النجم

قال الله – تعالى – ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[1].

الضلال والغواية أمر واحد، فكيف جمع بينهما؟

والجواب: أن بينهما تغايراً، فالضلال ضد الهدى – وهو المخالفة بفعل المعاصي – والغي: ضد الرشد – وهو جهل من اعتقاد فاسد – فالجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد لا صالحاً ولا فاسداً، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا الثاني يقال له: غي، وعلى هذا فعطف الغواية على الضلال: من باب عطف الخاص على العام؛ للاهتمام بشأن الاعتقاد، والمعنى: ما عدل محمد عن الطريق المستقيم، وما اعتقد باطلاً.

وقيل: الضلال هو: أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً، والغواية: أن لا يكون له طريق إلى مقصده مستقيم، فالغاوي هو: العالم بالحق العادل عنه قصداً إلى غيره، وهو: الجهل المركب.

وقيل: إنه على تقدير اتحادهما يكون ذلك من باب التأكيد باللفظ المخالف مع اتحاد المعنى.

وفي الآية شهادة للرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه راشد تابع

(١) من الآية: ٢، من سورة النجم.

للحق ليس بضال.

وقيل: المعنى: ما ضل في قوله ولا غوى في فعله[١].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[٢].

وقال – تبارك وتعالى – ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾[٣].

وقال – جل وعلا – ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ الآية[٤].

فالآية الأولى تدل بظاهرها على أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا ينطق بشيء إلا عن طريق الوحي، وأنه لا اجتهاد له، والآية الثانية والثالثة وما يشبههما: تثبت اجتهاداً للرسول – صلى الله عليه وسلم – في بعض الأمور، فما سبيل الجمع بينهما؟

والجواب: أن معنى قوله – تعالى – ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ أي: في كل ما يبلغه عن الله فلا يقول شيئاً من تلقاء نفسه، وما هو إلا بوحي من

---

(١) مسائل الرازي ٣٢٨، الفتوحات ٤/ ٢٢٣، الخازن ٤/ ١٩٠، البيضاوي ٢/ ٤٢٨، وتفسير ابن كثير ٦/ ٤٤٢.

(٢) الآيتان (٣، ٤) من سورة النجم.

(٣) من الآية: ٤٣، من سورة التوبة.

(٤) من الآية: ٦٧، من سورة الأنفال.

الله – تعالى – وفي هذا رد على الكفار حيث قالوا: إن محمداً – صلوات الله وسلامه عليه – قد افترى هذا القرآن[1].

كما أنه إن اجتهد – عليه الصلاة والسلام – فلا يكون هذا الاجتهاد إلا بعد أن يأذن الله – تعالى – له فيه، وعلى هذا فكل ما ينطق به – الرسول – صلى الله عليه وسلم – هو وحي: اجتهد أم لم يجتهد، فلا تعارض.

والدليل على ذلك: أن اجتهاده – صلى الله عليه وسلم – في الإذن للمتخلفين عن غزوة تبوك، قد أذن الله له فيه حيث قال: ﴿ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾[2]، فلما أذن للمنافقين عاتبه بقوله ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[3]، فالاجتهاد – في الحقيقة – إنما هو الإذن قبل التبين لا في مطلق الإذن للنص عليه.

ومسألة اجتهاد النبي – صلى الله عليه وسلم – وعدمه من مسائل الخلاف المشهورة عند علماء الأصول، وسبب اختلافهم هو: تعارض هذه الآيات في ظاهر الأمر.

قال مقيده – عفا الله عنه – الذي يظهر أن التحقيق في هذه المسألة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/ ٤٤٢.

(٢) من الآية: ٦٢، من سورة النور.

(٣) الآية: ٤٣، من سورة التوبة.

أنه – صلى الله عليه وسلم – ربما فعل بعض المسائل من غير وحي في خصوصه: كإذنه – صلوات الله وسلامه عليه – للمتخلفين من غزوة تبوك، قبل أن يتبين صادقهم من كاذبهم، وكأسره لأسارى بدر – ثم قبول الفداء منهم – وكأمره بترك تأبير النخيل، وأن معنى قوله – تعالى – ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ لا إشكال فيه، لأن النبي – صلى الله عليه وسلم لا ينطق بشيء من أجل الهوى، ولا يتكلم بالهوى، وقوله – تعالى – ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ يعني: أن كل ما يبلغه عن الله فهو وحي من الله لا بهوى ولا بكذب ولا افتراء[1].

***

يقول – جل وعلا – ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾[2].

وعلى هاتين الآيتين ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: ما فائدة الفاء في قوله ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾؟ وقد وردت في مواضع أخرى بغير فاء، كقوله – تعالى – ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[3]،

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ٢٧٦.

(٢) الآيتان (١٩، ٢٠) من سورة النجم.

(٣) من الآية: ٤، من سورة الأحقاف.

وقوله – سبحانه – ﴿ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ﴾(١).

الثاني: أن الرؤية هنا قلبية لا بصرية، فأين مفعولها الثاني؟

الثالث: كيف وصف الثالثة بالأخرى، والعرب إنما تصف بالأخرى، الثانية لا الثالثة، فظاهر اللفظ يقتضي: أن يكون قد سبقت ثالثة أولى، ثم لحقتها الثالثة الأخرى، فتكون ثالثتان؟

والجواب عن الأول: أنه لما تقدم عظمة الله في ملكوته، وأن رسوله إلى الرسل يسد الآفاق ببعض أجنحته، ويهلك المدائن بشدته وقوته، ولا يمكنه مع هذا أن يتعدى السدرة في مقام جلال الله وعظمته، قال: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ﴾ هذه الأصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء لله مع ما تقدم؟ فقال بالفاء عقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى، ونفاذ أمره في الملأ الأعلى وما تحت الثرى، انظروا إلى اللات والعزى: تعلموا فساد ما ذهبتم إليه(٢).

والجواب عن الثاني: أن المفعول الثاني محذوف تقديره: أفرأيتموها بنات الله وأنداده، فإنهم كانوا يزعمون أن الملائكة وهذه الأصنام بنات الله – سبحانه –(٣).

---

(١) من الآية: ٤٠، من سورة فاطر.

(٢) الفتوحات ٤/ ٢٢٩.

(٣) مسائل الرازي ٣٢٩.

والجواب عن الثالث: أن الأخرى نعت للعزى تقديره: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة؛ لأنها ثالثة الصنمين في الذكر، وإنما أخر الأخرى رعاية للفواصل، كما قال: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [1]، ولم يقل: أخر رعاية للفواصل.

وقيل: إن الثالثة نعت لمناة، والأخرى لها أيضاً، وليست نعتاً للثلاثة، وإلا لقال: الأخريات، وكونها ثالثة بالنظر للفظ وقيل: بالنظر للرتبة، أي: رتبتها عندهم منحطة عن اللتين قبلها، لأنها بمعنى: المتأخرة الوضيعة المقدار، كقوله – تعالى – ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ﴾ [2]، أي: وضعاؤهم ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾ [3]، أي: لأشرافهم.

وقيل: إن هذا فيه نظر، لأن الأخرى إنما تدل على الغيرية، وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم، فإن جاء شيء من ذلك فلقرينة خارجية [4].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ

---

(١) من الآية: ١٨، من سورة طه.

(٢) من الآية: ٣٨، من سورة الأعراف.

(٣) من الآية: ٣٨، من السورة السابقة.

(٤) الفتوحات الإلهية ٤/ ٢٢٨.

ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِى مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴾[١].

كيف أخبر أن الظن لا يقوم مقام العلم، مع أنه يقوم مقام العلم في صورة القياس؟

والجواب: أن المراد بالظن هنا: الظن الحاصل من اتباع الهوى، دون الظن الحاصل من النظر والاستدلال، ويؤيده قوله – تعالى – ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُ ﴾[٢].

وقيل: المراد منه أن الظن لا يغني عن العلم شيئا، ولا يقوم مقامه في الاعتقادات، وأما في الأفعال العرفية أو الشرعية، فإن الظن فيها يتبع عند عدم الوصول إلى اليقين[٣]، ويؤيد هذا قوله قبل هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴾[٤].

***

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِىَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ﴾[٥].

---

(١) الآية: ٢٨، من سورة النجم.

(٢) من الآية: ٢٣، من السورة السابقة.

(٣) مسائل الرازي ٣٢٩، والفتوحات ٤/ ٢٣٢.

(٤) الآية: ٢٧، من سورة النجم.

(٥) الآية: ٣١، من سورة النجم.

كيف يصح تعليل ملك السموات والأرض بالجزاء، وهو ثابت بالذات، وما بالذات لا يعلل؟

والجواب: أن اللام لام العاقبة، إذ الجزاء مترتب على الملك، وليست لام التعليل [١].

***

يقول الله – جل وعلا – ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [٢].

ويقول – تباركت آلاؤه – ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾ [٣].

في الآية الأولى دلالة على أن الإنسان لا ينتفع بعمل غيره، بينما يظهر من الثانية أن الأولاد ينتفعون بسعي آبائهم، فما طريق الجمع بينهما؟

والجواب: ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله – تعالى – ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾.

وهذا مردود بأن الآيتين خبر، ولا نسخ في الخبر، كما أن الآية التي قالوا: إنها ناسخة: خاصة، والآية التي قالوا إنها منسوخة: عامة، والخاص

---

(١) فوائد في مشكل القرآن ٢٣٧.

(٢) الآية: ٣٩، من سورة النجم.

(٣) من الآية: ٢١، من سورة الطور.

لا ينسخ العام، بل يخصصه.

وقيل: إنها مخصوصة بقوم إبراهيم وموسى – عليهما السلام – وهي حكاية لما في صحفهم، فأما هذه الأمة: فلها ما سَعَت وما سُعي لها، ويؤيد هذا ما ورد أن ثواب الصدقة، أو العلم المنتفع به، أو دعاء الأولاد الصالحين، وكذا ثواب الصيام والحج والوفاء بالنذر: يصل ثواب هذا كله إلى الموتى[1].

وقيل: إن الآية إنما دلت على نفي ملك الإنسان لغير سعيه، ولم تدل على نفي انتفاعه بسعي غيره، لأنه لم يقل: وأن لن ينتفع الإنسان إلا بما سعى، وإنما قال: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ ... ﴾ وبين الأمرين فرق ظاهر؛ لأن سعي الغير ملك لساعيه، إن شاء بذله لغيره فانتفع به ذلك الغير، وإن شاء أبقاه لنفسه. وقد أجمع العلماء على انتفاع الميت بالصلاة عليه والدعاء له والحج عنه ونحو ذلك مما يثبت الانتفاع بعمل الغير فيه[2].

وقيل: إن إيمان الذرية هو السبب الأكبر في رفع درجاتهم، إذ لو كانوا كفاراً لما حصل لهم ذلك، فإيمان العبد وطاعته سعي منه في انتفاعه

---

(١) مثل حديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية... ». ومثل حديث: «من مات ولم يصم صام عنه وليه» ومثل حديث: «... نعم حجى عنها... » الحديث. مسلم في الوصية ح١٤، أبو داود ح ٢٨٨٠، المشكاة (مشكاة المصابيح ح٢٠٣٣ ط، المكتب الإسلامي.

(٢) دفع إيهام الاضطراب ص ٢٧٧.

بعمل غيره من المسلمين، كما في صلاة الجماعة، فإن صلاة بعضهم مع بعض، يضاعف بها الأجر، زيادة على صلاته منفرداً، وتلك المضاعفة انتفاع بعمل الغير سعي فيه المصلي بإيمانه وصلاته في الجماعة، يشير إلى هذا قوله – تعالى – ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ...﴾.

وقيل: إن الآية على ظاهرها، ودعاء الولد والصدقة والقراءة عن الميت من سعيه أيضاً، بواسطة اكتسابه للقرابة، أو التربية الشرعية لأولاده، أو الصداقة، أو المحبة من الناس بسبب التقوى والعمل الصالح.

كما قيل: إن السعي الذي حصل به رفع درجات الأولاد: ليس لهم كما هو نص قوله – تعالى – ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ولكنه من سعي الآباء، أقر الله عيونهم بسببه، بأن رفع إليهم أولادهم ليتمتعوا في الجنة برؤيتهم. فالآية تصدق الأخرى ولا تنافيها؛ لأن المقصود بالرفع إكرام الآباء لا الأولاد، فانتفاع الأولاد تبع، فهو بالنسبة إليهم تفضل من الله عليهم بما ليس لهم، كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين، والخلق الذين ينشئهم للجنة (١).

وقيل: المراد بالإنسان هنا: الكافر، والمعنى ليس له من الخير إلا ما

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص٢٧٧.

عمل هو، فيثاب عليه في الدنيا بأن يوسع عليه في رزقه، ويُعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير.

قيل: إن قوله ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ هو: من باب العدل، وأما من باب الفضل فجائز أن يزيد الله ما يشاء من فضله وكرمه.

والخلاصة أن يقال: إن المعنى ليس له إلا أجر سعيه وجزاء عمله، ولا ينفع أحداً عملُ أحد، وأن هذا العموم مخصوص بمثل قوله – تعالى – ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ وبمثل ما ورد في شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء للعباد، ومشروعية دعاء الأحياء للأموات، ونحو ذلك، فكل ما قام الدليل على أن الإنسان ينتفع به وهو من غير سعيه، كان مخصصاً لما في هذه الآية من العموم[1].

* * *

يقول الله – جل شأنه – ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾[2].

كيف صح الإخبار بالآية، ونحن نعلم ما لا يخلق من النطفة من الذكر والأنثى.

(١) مسائل الرازي ٣٢٩، فتح القدير ٥/ ١١٤، دفع إيهام الاضطراب ص ٢٧٧.

(٢) الآيتان (٤٥، ٤٦) من سورة النجم.

والجواب: أن جميع ما فعله من الذكر والأنثى أصل الخلقة فيه: النطفة، وإن كانت ربما تكون بواسطة، وربما لا تكون، وما يوجد على غير هذا الوجه لا نعلم فيه الذكر من الأنثى[١].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴾[٢].

كيف ذكره بالنعم بعد تعديد النقم؟

والجواب: أنه إنما ذكره بالنعم بعد تعديد النقم؛ لأن النقم التي عُدِّدت: هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف في الانزجار عن القبيح، إذ نالتهم تلك النقم بكفرانهم النعم، فهي مشتملة على العبر والمواعظ لكون فيها انتقام من العصاة، وفي ذلك: نصرة للأنبياء والصالحين[٣].

---

(١) تنزيه القرآن ٤٠٦.

(٢) الآية: ٥٥، من سورة النجم.

(٣) مسائل الرازي ٣٣٠، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٧/ ٦٠، وفتح القدير ٥/ ١١٧.

سورة القمر

قال الله – تعالى – ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ﴾[1].

كيف صح الإخبار بهذا، ولو كان القمر قد انشق على الحقيقة لنقل ذلك نقلاً ظاهراً؟

والجواب: أن بعض العلماء يقول: المراد به: وانشق القمر في الساعة؛ لأنه عند الساعة: ينشق القمر، إلى غير ذلك من الشرائط.

والصحيح: ما قاله جمهور العلماء من أنه في أيام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انشق القمر، وهو ظاهر القرآن، فإذا كان قد انشق بالمدينة أو بمكة، وفي سائر الأماكن غيوم تحجب عن رؤية ذلك، وكان أهل ذلك البلد في غفلة عنه إلا طبقة مخصوصة، فليس من الواجب نقل ذلك بالتواتر، بل يجوز أن ينقله الآحاد، وقد نقل عن ابن مسعود وغيره هذا، كما نقل رد الشمس في أيام الرسول – صلى الله عليه وسلم – فلم يجب في نقله الظهور؛ لأن ذلك ظهر آخر النهار لقوم مخصوصين، وقوله:

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة القمر.

﴿ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ ﴾ على وجه التهديد، يدل على أن ذلك قد كان (١).

* * *

يقول المولى – سبحانه وتعالى – ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا ﴾ (٢).

ما فائدة إعادة التكذيب؟

والجواب: أن التكذيب الثاني تفسير وتفصيل لما قبله من التكذيب المبهم، فهو تفصيل بعد إجمال، والفاء تفصيلية، كما في قوله – تعالى – ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي ... ﴾ فالمكذب والمكذب في المكانين واحد.

وقيل: إن التكذيب الأول منهم لله – تعالى – بالتوحيد، والثاني لرسوله بالرسالة (٣).

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (٤).

---

(١) تنزيه القرآن ٤٠٧.

(٢) من الآية: ٩، من السورة السابقة.

(٣) مسائل الرازي ٣٣٠، الفتوحات الإلهية ٤/ ٢٤٣، وفتح القدير ٥/ ١٢٢.

(٤) الآيتان (١١، ١٢) من سورة القمر.

لِمَ قال: ﴿ فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ ﴾ ولم يقل: (فالتقى الماءان)؟

والجواب: أنه أراد به جنس الماء.

وقرأ الجحدري: (فالتقى الماءان) وهي قراءة شاذة[١].

***

يقول الله – جل ثناؤه – ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾[٢].

كيف قال: ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾، والجزاء إنما يكون للكافر لا للمكفور به؟

والجواب: أن (جزاء) مفعول له، والمعنى: فتحنا أبواب السماء وما بعده مما كان يسبب إغراقهم جزاءً لله – تعالى –؛ لأنه مكفور به، فحذف الجار، وأوصل الفعل بنفسه كقوله – تعالى – ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ ﴾[٣]، والجزاء يضاف إلى الفعل، وإلى المفعول كسائر المصادر.

أو أن المعنى: ﴿ جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ أي: فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كان قد كُفر به وجُحد أمره، وهو: نوح – عليه السلام – والتقدير: لمن جحد نبوته وأنكر حقه، وكفر بالله فيه، فهو إما

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٠، وفتح القدير.

(٢) الآية: ١٤، من سورة القمر.

(٣) من الآية: ١٥٤، من سورة الأعراف.

لأنه مكفور به بحذف الجار – كما مر – من الكفر الذي هو ضد الإيمان، أو لأن كل نبي نعمة من الله على قومه، ومنه قوله – تعالى – ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١).

وقال رجل للرشيد: الحمد لله عليك، فقال: ما معنى هذا؟ فقال: أنت نعمة حمدت الله عليها، فكأنه قال: جزاءً لهذه النعمة المكفورة، وكفران النعمة يتعدى بنفسه، قال الله – تعالى – ﴿ وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ (٢).

وقيل: إن (من) بمعنى (ما)، والمعنى جزاء لما كان كُفر من نعم الله – تعالى – على العموم.

وقرأ قتادة (كفر) بالفتح) أي: جزاء للكافرين (٣).

* * *

يقول الله – سبحانه – ﴿ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴾ (٥).

كيف ذكر الصفة في الآية الأولى، وأنثها في الثانية؟

---

(١) الآية: ١٧، من سورة الأنبياء.

(٢) من الآية: ١٥٢، من سورة البقرة.

(٣) مسائل الرازي ٣٣٠ – ٣٣١، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٧/ ٧٠.

(٤) الآية: ٢٠، من سورة القمر.

(٥) من الآية: ٧، من سورة الحاقة.

والجواب: أنه إنما ذكر الصفة في الأولى، لأن الموصوف - وهو النخل - مذكر اللفظ، ليس فيه علامة تأنيث، فاعتبر اللفظ، وفي موضع آخر: اعتبر المعنى، وهو كونه جمعاً فقال: ﴿ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٍ ﴾، ونظيرهما قوله - تعالى - ﴿ لَأٓكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ ﴾[1]، وقال أبو عبيدة: النخل يذكر ويؤنث، فجمع القرآن اللغتين.

وقيل: إنما ذكّر رعاية للفواصل[2].

---

(١) الآيتان من (٥٢ - ٥٤) من سورة الواقعة.

(٢) مسائل الرازي ٣٣١.

سورة الرحمن

قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾[1].

وهذه الآيات يرد عليها سؤالان:

الأول: أيُّ مناسبة بين رفع السماء ووضع الميزان حتى قرن بينهما؟

الثاني: أن معنى ﴿ أَلَّا تَطْغَوْاْ ﴾ أي: لا تجاوزوا فيه العدل، وذلك مغنٍ عما بعده من الجملتين، فما فائدتهما؟

والجواب: عن الأول: أنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي مصدر القضايا والأقدار، أراد وصف الأرض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار، وتسوى به الحقوق والمواجب، سواء كان ذلك بالعدل أو القرآن، أو كل ما تعرف به المقادير، كالمكيال والميزان ونحوهما[2].

والجواب عن الثاني: أن المراد بالطغيان فيه: أخذ الزائد، وبالإخسار فيه، إعطاء الناقص، وأمر بالتوسط الذي هو: إقامة الوزن بالقسط، ونهي عن الطرفين المذمومين، كما أنه لا تكرار بين قوله ﴿ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾

---

(١) الآيات من (٧ – ٩) من سورة الرحمن.

(٢) مسائل الرازي ٣٣١، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٤٠.

وقوله: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾؛ لأن وضع الميزان: المراد به ما تستقيم به المعاملات من الموازين، وقوله ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾ المراد به: كيفية استعماله في المعاملات، فأحد الأمرين مخالف للآخر[1].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾[2].

لِمَ كرر ذكر الرب هنا، ولم يكرره في سورة المعارج ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾[3]، ولا في سورة المزمل ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾[4].

والجواب: أنه إنما كرر ذكر الرب هنا: للتأكيد، وهو أليق منه بذينك الموضعين؛ لأنه موضع الامتنان وتعديد النعم، ولأن الخطاب فيه مع جنسين: وهما الإنس والجن[5].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[6].

---

(١) تنزيه القرآن ٤٠٩، ومسائل الرازي ٣٣١.

(٢) الآية: ١٧، من سورة الرحمن.

(٣) من الآية: ٤٠، من سورة المعارج.

(٤) من الآية: ٩، من سورة المزمل.

(٥) مسائل الرازي ٣٣٢.

(٦) الآيتان (٢٥، ٢٦) من سورة الرحمن.

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: ما الفائدة في تكرار قوله: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إحدى وثلاثين مرة في السورة؟

الثاني: أن بعض الجمل المذكورة ليست من النعم، كقوله – تعالى – ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾، وقوله: ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [١]، فكيف حسن الامتنان بعدها بقوله – تعالى – ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾؟

والجواب عن الأول: أن ذلك التكرير لتقرير النعم وتأكيد التذكير بها، قال ابن قتيبة من مذاهب العرب: التكرار للتوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار للتخفيف والإيجاز، لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون أحسن من اقتصاده في المقام على فن واحد.

ولقد ذكرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة، ثمانية منها: ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منهم عقب آيات ذكر النار وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وبعد هذه السبعة، ثمانية في وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة، وثمانية: أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين

(١) الآية: ٤٤، من سورة الرحمن.

أخذاً من قوله ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (١)، فمن اعتقد الثمانية الأولى وعمل بموجبها، استحق هاتين الثمانيتين من الله، ووقاه السبعة السابقة.

فلما عدد الله – تعالى – في هذه السورة نعماءه، وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته، جعل كل كلمة من ذلك فاصلة بين كل نعمتين، ليفهمهم النعم ويقررهم بها، كقولك للرجل: ألم أبوئك منزلاً وكنت طريداً؟ أفتنكر هذا؟ ألم أحُجّ بك وأنت صرورة (٢)، أفتنكر هذا؟

وروى الحاكم أبو عبد الله في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قرأ علينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال: مالي أراكم سكوتا؟ لَلْجِنُّ كانوا أحسن منكم رَدّاً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية مِنْ مَرَّة ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد (٣).

ففي التكرير: طرد للغفلة، وتأكيد للحجة (٤).

والجواب عن الثاني: أن من جملة الآلاء: دفع البلاء، وتأخير العقاب، فإبقاء من هو مخلوق للفناء نعمة، وتأخير العقاب عن العصاة

(١) الآية: ٦٢، من سورة الرحمن.

(٢) الصرورة هو الذي لم يحج قط.

(٣) المستدرك ٢/ ٤٧٣، وسنن الترمذي ٢/ ١٦١.

(٤) الفتوحات ٤/ ٢٥٤، فتح القدير ٥/ ١٣٣، وزاد المسير ٨/ ١١٠.

أيضاً نعمة، فلذلك امتن علينا بذلك، كما أن هذا الجمل المذكورة، والتي ليست من النعم إذا ما تدبرها المرء وخاف منها صارت زاجرة له عن المعاصي، فكانت نعمة من هذه الناحية [١].

* * *

قال – جل وعلا – ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [٢].

لِمَ قال – تعالى – ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ ﴾ والله – عز وجل – لا يشغله شيء؟

والجواب: أن الفراغ في اللغة على ضربين:

أحدهما: الفراغ من شغل، والآخر: القصد للشيء والإقبال عليه، وهو تهديد ووعيد، مستعار من قولك لمن تهدده: سأفرغ لك، أي: سأجعلك قصدي، فإن المتجرد للشيء: أقوى عليه وأجدّ فيه، وإنما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن، ولأن الله – سبحانه – لا يفعل في يوم القيامة سوى الحساب والجزاء، ومعنى الآية: سنقصد لعقابكم وعذابكم وحسابكم، لا يشغلنا شيء عن شيء.

وقيل: إن الله – سبحانه – وعد على التقوى، وأوعد على المعصية،

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٢، الفتوحات ٤/ ٢٥٤، وتنزيه القرآن ٤١٠.

(٢) الآية: ٣١، من سورة الرحمن.

ثم قال: ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ ﴾ أي: سنقضي لكم بما وعدناكم، ونوصل كلا إلى ما وعدناه (١).

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ (٢).

كيف وعد سبحانه الخائف جنتين؟

والجواب: أن الخطاب للثقلين، فكأنه قيل: لكل خائف من الثقلين: جنتان، جنة للخائف الإنسي، وجنة للخائف الجني.

وقيل: المراد به أن لكل خائف جنتين، جنة لفعل الطاعات، وجنة لترك المعاصي، وقيل: جنة يثاب بها، وجنة يتفضل بها عليه زيادة، لقوله – تعالى – ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ (٣)، أي: الجنة وزيادة.

وقال الفراء: إنما هي جنة واحدة، والتثنية لأجل موافقة رؤوس الآي، قال النحاس: وهذا القول من أعظم الغلط على كتاب الله – تعالى – فإن الله يقول: ﴿ جَنَّتَانِ ﴾، ويصفهما بقوله ﴿ فِيهِمَا ﴾ (٤).

* * *

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٢ – ٣٣٣، البيضاوي ٢/ ٤٤٢، الخازن ٤/ ٢١١، فتح القدير ٥/ ١٣٦، وابن كثير ٦/ ٤٩٢.

(٢) الآية: ٤٩، من سورة الرحمن.

(٣) من الآية: ٢٦، من سورة يونس.

(٤) مسائل الرازي ٣٣٣، وفتح القدير ٥/ ١٤٠.

يقول المولى – سبحانه – ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴾ (١).

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قال ﴿ فِيهِنَّ ﴾ ولم يقل: فيهما، والضمير للجنتين؟

الثاني: كيف قال: ﴿ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٌ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنٌّ ﴾ أي: لم يفتضهن، ونساء الدنيا لا يفتضهن الجان، فما فائدة تخصيص الحور بذلك؟

والجواب: عن الأول: أن الضمير لمجموع الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة وغيرهما مما سبق ذكره.

وقيل: الضمير للجنتين، وإنما جمع لاشتمال الجنتين على قصور ومنازل.

وقيل: الضمير للمنازل والقصور التي دل عليها ذكر الجنتين.

وقيل: الضمير لمجموع الجنان التي دل عليها ذكر الجنتين.

وقيل: الضمير عائد إلى الفرش لأنها أقرب، وعلى هذا القول تكون (في) بمعنى: على، كما في قوله – تعالى – ﴿ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٌ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ (٢).

والجواب عن الثاني: أن المعنى: تلك القاصرات الطرف إنسيات

---

(١) الآية: ٥٦ن من سورة الرحمن.

(٢) من الآية: ٣٨، من سورة الطور.

للإنسي، وجنيات للجني، فلم يطمث الإنسيات إنسي، ولا الجنيات جني.

وفي هذه الآية دلالة على أن الجن يواقعون كما يواقع الإنسي.

وقيل: إن في الآية دليلاً على أن الجني يغشى الإنسية في الدنيا [١].

وهذا: استنتاج باطل، إذ فيه مخرج للفاجرات: أن يفعلن الفاحشة ويقلن: إنه من عمل الجن، وسد الذرائع واجب، وليس للجن على الإنس سلطان، وقد قال أبو الجن ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [٢].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [٣].

ثم قال في وصف هاتين الجنتين: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾ [٤]، ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [٥]، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [٦]، ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ

---

(١) مسائل الرازي ٣٣.

(٢) من الآية: ٢٢، من سورة إبراهيم.

(٣) الآية: ٤٦، من سورة الرحمن.

(٤) الآية: ٤٨، من السورة السابقة.

(٥) الآية: ٥٠، من السورة السابقة.

(٦) الآية: ٥٢، من السورة السابقة.

﴿ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴾ (١)، ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴾ (٢)، ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ (٣).

وقال الله – تعالى – ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (٤).

ثم قال في وصل هاتين الجنتين: ﴿ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴾ (٥)، ﴿ فِيهِمَا عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ (٦)، ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴾ (٧)، ﴿ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴾ (٨)، ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴾ (٩)، ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴾ (١٠).

ومن عجائب القرآن العظيم – التي لا تنقضي – أنه وصف كلاً من الجنتين الأولين والأخريين بصفات ست، وقد نشأ خلاف بين العلماء: أي الجنتين أفضل؟ ومحل النزاع: هو معنى قوله – تعالى – ﴿ وَمِن دُونِهِمَا

(١) الآية: ٥٤، من السورة السابقة.

(٢) الآية: ٥٦، من السورة السابقة.

(٣) الآية: ٥٨، من السورة السابقة.

(٤) الآية: ٦٢، من السورة السابقة.

(٥) الآية: ٦٤، من السورة السابقة.

(٦) الآية: ٦٦، من السورة السابقة.

(٧) الآية: ٦٨، من السورة السابقة.

(٨) الآية: ٧٠، من السورة السابقة.

(٩) الآية: ٧٢، من السورة السابقة.

(١٠) الآية: ٧٦، من السورة السابقة.

جَنَّتَانِ ﴾: فمن ذهب إلى أن المعنى ومن دون تينك الجنتين المتقدمتين: جنتان في المنزلة وحسن المنظر: يرى أن الأوليين أفضل من الآخريين، ومن ذهب إلى أن المعنى: ومن دونهما أي أمامهما وقبلهما، يرى أن الأخريين أفضل من الأوليين، فمعنى دون: على هذا أقرب وأدنى إلى العرش.

وكل من هذين المذهبين يجيب عن الأسئلة الآتية بما يتفق مع مذهبه ومعتقداته، وإليك: الأسئلة وإجابة كل منهما:

الأول: لِمَ ذكر أولاً أهل الجنتين ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾ ولم يذكر أهل الجنتين الآخريين؟

والجواب على المذهب الأول: أن الجنان الأربع: لمن خاف مقام ربه، إلا أن الخائفين لهم مراتب، فالجنتان الأوليان لأعلى العباد رتبة في الخوف من الله – تعالى – والجنتان الأخريان: لمن قصرت حاله في الخوف من الله – تعالى – ولم يذكر أهل الجنتين الأخريين اكتفاء بما ذكر أولاً.

والجواب على المذهب الثاني: بعكس هذا الجواب.

الثاني: لِمَ قال أولاً في وصف الجنتين ﴿ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴾ وقال ثانياً ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾؟

والجواب على المذهب الأول: أنه وصف الأوليين بكثرة الأغصان،

والأخريين بالخضرة وحدها.

وعلى المذهب الثاني: أنه وصف الأخريين فقال: ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾ أي: خضراوان، كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان، وفي ذلك إشعار بأن الغالب عليهما: النبات والريحان المنبسطة على وجه الأرض.

الثالث: كيف قال أولاً: في وصف الجنتين: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾؟

والجواب على المذهب الأول: أن هذين وصفين مختلفان، أولاهما أفضل من الأخرى، فمعنى ﴿ نَضَّاخَتَانِ ﴾ فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين، لأن النضخ دون الجري.

وعلى المذهب الثاني: أن معنى ﴿ نَضَّاخَتَانِ ﴾ أي: بألوان الفاكهة والنعيم، والجواري المزينات، والدواب المسرجات، والثياب الملونات، وهذا يدل على أن النضخ أكثر من الجري.

الرابع: لِمَ قال أولاً في وصف الجنتين ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ وقال ثانياً: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾؟

والجواب على المذهب الأول: أن الوصف الأول عام، والثاني: تخصيص أو تفصيل، ولأصحاب المذهب الثاني أن يقولوا: إن الوصف الثاني – أيضاً – فيه عموم وشمول.

الخامس: كيف قال أولاً في وصف أهل الجنتين ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴾ وقال ثانياً: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾.

والجواب على المذهب الأول: أن الوصف الثاني منزلة رفيعة، والأول: منزلة أرفع منها، إذ أن الديباج أعلى من العبقري - وهو الموشى، والرفرف: كسر الخباء، لا شك أن الفرش المعدة للاتكاء عليها أفضل من فضل الخباء.

وعلى المذهب الثاني: أن الرفرف شيء إذا استوى عليه صاحبه رفرف وهوى به كالأرجوحة يميناً وشمالاً، وارتفاعاً وانخفاضاً، يتلذذ به مع أنسيته، والرفرف أعظم خطراً من الفرش، ثم قال: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ والعبقري: ثياب منقوشة تبسط، فإذا قال خالق - كل شيء ومنه النقوش - إنها حسان، فما ظنك بتلك العباقر؟!!

السادس: لِمَ قال أولاً: في وصف الحور العين ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ وقال ثانياً: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾؟

والجواب على المذهب الأول: أنهن قاصرات الطرف على الأزواج؛ وليس أفضل من أن يكون ذلك من طبعها وسجيتها.

وعلى المذهب الثاني: أنه قال في الأوليين: قصرن طرفهن على أزواجهن، ولم يذكر أنهن مقصورات، فدل ذلك على أن المقصورات

أفضل وأعلى، أي: هي مقصورة قد قصر بها عن أبصار المخلوقين.

السابع: كيف قال أولاً في صفة الحور العين ﴿ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ وقال ثانياً: ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴾؟

والجواب على المذهب الأول: أنه وصف الأخريين بأنهن حسان، ولكن ليس كحسن الياقوت والمرجان.

وعلى المذهب الثاني: أن خيرات جمع خيرة، والخيرة: ما اختارهن الله فأبدع خلقهن باختياره، فاختيار الله لا يشبه اختيار الآدميين، ثم قال: ﴿ حِسَانٌ ﴾ فوصفهن بالحسن، وإذا وصف خالق الشيء شيئاً بالحسن، فانظر ما هناك!! فمن ذا الذي يقدر أن يصف حسنهن؟!!![1].

وأرى أن أصحاب المذهب الأول على صواب لوجوه منها:

الأول: أنه على المذهب الثاني يكون الضمير في قوله ﴿ وَمِن دُونِهِمَا ﴾ راجعاً إلى العرش، وكيف يعود الضمير على غير مذكور في الكلام؟ فالصحيح أنه عائد إلى الجنتين المذكورتين في قوله – تعالى – ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾.

الثاني: أن المعنى القريب لدون هو: نقيض فوق، يقال: فلان دون فلان، أي: أقل منه، واستعمالها في غير ذلك يحتاج إلى قرينة، ولا قرينة.

---

(١) بتوضيح وتصرف من الفتوحات الإلهية ٤/ ٢٦٧ (نقلاً من تذكرة القرطبي ونوادر الأصول للترمذي).

الثالث: أن الله – تعالى – عقب على صفة الجنتين الأولين بقوله ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [١]، ولم يعقب على صفة الجنتين الأخريين.

الرابع: أن الله – تعالى – ذكر أهل الجنتين الأولين، وهم الخائفون لمقام ربهم، وهل هناك درجة أعلى من درجة هؤلاء؟!!

ولو كانت الجنتان الأخريان أفضل، لذكر الله – تعالى – أصحابهما ترغيباً في التحلي بصفاتهم، جعلني الله – تعالى – وإياكم ممن يسكنون أعالي الجنان، امتثالاً لوصية النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: «إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس... » الحديث [٢].

---

(١) الآية: ٦٠، من سورة الرحمن.

(٢) موارد الظمآن للهيثمي ح١٥٨٦ ط، المكتب الإسلامي.

سورة الواقعة

قال الله – تعالى – ﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾[1].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: ما فائدة التكرار في قوله ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾؟

الثاني: لِمَ أخر ذكر السابقين، وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين؟

والجواب عن الأول: أن فائدة التكرار: التأكيد مقابلة لما سبقه من التأكيد، وكأنه – تعالى – قال: والسابقون هم المعروف حالهم المشهور وصفهم.

وقيل المعنى: والسابقون إلى طاعة الله: هم السابقون إلى جنته وكرامته[2].

والجواب عن الثاني: أنه ذكر في السورة من الأمور الهائلة عند قيام الساعة تخويفاً لعباده، فإما محسن فيزداد رغبة في الثواب، وإما مسيء

(١) الآيات من (٨ – ١١) من سورة الواقعة.

(٢) مسائل الرازي ٣٣٤.

فيرجع عن إساءته خوفاً من العقاب، فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا، ثم ذكر ما يقابلهم وهم أصحاب الشمال ليرهبوا، ثم ذكر السابقين وهم الذين لا يحزنهم الفزع الأكبر، ليجتهد أصحاب اليمين في القرب من درجتهم.

وقيل: إنما أخر ذكرهم مع كونهم أسبق الأقسام وأولاهم في الفضل، ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم، على أن إيرادهم بعنوان السبق مطلقاً: معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه[1].

***

يقول الله – جل وعلا – ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴾[2].

ما السر في وصف الولدان بالتخليد، مع أنه ليس مخصوصاً بهم، بل كل أهل الجنة مخلدون فيها: لا يشيبون ولا يهرمون، بل يبقى كل واحد – أبدا – على صفته – التي دخل الجنة عليها؟

والجواب: أن المعنى: أنهم لا يتحولون عن شكل الولدان وهي – الطراوة وحسن القد، بخلاف أولاد الدنيا، فإنهم يتغيرون بالشيخوخة والكبر، والمراد بخلود أهل الجنة مطلقاً: عدم الفناء.

---

(١) الفتوحات ٤/ ٢٧١، والخازن ٤/ ٢١٧.

(٢) الآية: ١٧، من سورة الواقعة.

وقيل: معنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مقرطون، والخلد: القرط.

وقيل: معنى ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾: مسورون.

وعلى هذين القولين: فلا إشكال[1].

وفي فتح الرحمن قال: «والمراد بهم هنا: ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً، ولا حسنة لهم ولا سيئة، وقيل: ولدان على نسق واحد، أنشأهم الله لأهل الجنة - يطوفون عليهم - من غير ولادة؛ لأن الجنة لا ولادة فيها، وقيل: أطفال المشركين وهم خدم أهل الجنة» أ.هـ.

* * *

قال الله - عز وجل - ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ﴾[2].

وقال - سبحانه - ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾[3].

ما وجه تشبيه الحور العين باللؤلؤ المكنون، والولدان باللؤلؤ المنثور؟ وكيف شبه الولدان باللؤلؤ المنثور دون المنظوم؟

والجواب: أنه لما كانت الحور العين لا تمتهن بالخدمة، شبهت باللؤلؤ

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٤، والفتوحات الإلهية ٤/ ٢٧٢.

(٢) الآيتان (٢٢، ٢٣) من سورة الواقعة.

(٣) الآية: ١٩، من سورة الإنسان.

المكنون، ولما كانت الولدان للخدمة، في الخدمة شبهت باللؤلؤ المنثور لانتشارهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وتفريقهم، بدليل قوله – تعالى – ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ ﴾ ولو كانوا وقوفاً صفّاً لشبهوا بالمنظوم.

وقيل: إنما شبههم باللؤلؤ المنثور؛ لأنه أراد تشبيههم باللؤلؤ الذي لم يثقب بعد؛ لأنه إذا ثقب نقصت مائيته وصفاؤه، واللؤلؤ الذي لم يثقب لا يكون إلا منثوراً.

وقيل: إنما شبههم الله – تعالى – باللؤلؤ المنثور، لأن اللؤلؤ المنشور على البساط أحسن منظراً من المنظوم[1].

* * *

قال الله – تبارك وتعالى – ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴾[2].

كيف قدم الفاكهة على اللحم، والظاهر: العكس، وماذا في تخصيص الفاكهة بالتخير، واللحم بالاشتهاء؟

والجواب: أن في كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة، والذي يظهر فيه: أن اللحم والفاكهة إذا حضرا عند الجائع: تميل نفسه إلى

---

(١) مسائل الرازي ٣٦١، وفتح القدير ٥/ ٣٥١.

(٢) الآيتان (٢٠، ٢١) من سورة الواقعة.

اللحم، وإذا حضرا عند الشبعان: تميل نفسه إلى الفاكهة، فالجائع مشته، والشبعان غير مشته، بل هو مختار، وأهل الجنة إنما يأكلون: لا من جوع، بل للتفكه، فميلهم إلى الفاكهة أكثر فيتخيرونها، ولهذا كثرت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم بخلاف اللحم، وإذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه، نفسه إليه أدنى ميل، ولهذا قدم الفاكهة على اللحم.

* * *

يقول الحق – جل شأنه – ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[1].

وقال – جلت حكمته – ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾[2].

لِمَ قال أولاً: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾ وقال ثانياً: ﴿ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴾؟

والجواب: أن الآية الأولى في السابقين الأولين، وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين، والآية الثانية في أصحاب اليمين، وهم كثيرون من الأولين والآخرين.

وقيل: إن هذه الآية الثانية ناسخة للأولى، واستدل بحديث عروة ابن رويم ونحوه[3].

---

(١) الآيتان (١٣، ١٤) من السورة السابقة.

(٢) الآيتان (٣٩، ٤٠) من السورة السابقة.

(٣) فتح القدير ٥/ ١٤٩.

ولكن ادعاء النسخ هنا لا وجه له لثلاثة أوجه:

أحدها: أن علماء النسخ لم يوافقوا على هذا. والثاني: أن الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ. والثالث: أن الثلة بمعنى: الفرقة والفئة، واشتقاقهما من القطعة، والثّل: الكسر والقطع، فعلى هذا قد يجوز أن تكون الثلّة في معنى القليل "[1].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٥٣) فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴾ [2].

لِمَ أنَّث ضمير الشجر ثم ذكره؟

والجواب: أن تأنيث الضمير: لكون الشجر اسم جنس، واسم الجنس يجوز تذكيره وتأنيثه (لغتان).

وقيل: إن تأنيث الضمير في ﴿ مِنْهَا ﴾، وتذكيره في ﴿ عَلَيْهِ ﴾ على معنى الشجر ولفظه، وقرئ ﴿ مِن شَجَرٍ ﴾ فيكون التذكير للزقوم فإنه تفسيرها [3].

* * *

(١) الخازن ٤/ ٢٢٠، وزاد المسير ٨/ ١٤٣.

(٢) الآيات من (٥٢ – ٥٤) من سورة الواقعة.

(٣) الفتوحات ٤/ ٢٧٦، والبيضاوي ٢/ ٤٤٨.

يقول المولى – سبحانه – ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾[1].

ما الحكمة من قوله: ﴿ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴾ مع أنهم مصدقون أنه خلقهم بدليل قوله – تعالى – ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾؟

والجواب: أنهم وإن كانوا مصدقين بألسنتهم، إلا أنهم لما كان مذهبهم على خلاف ما يقتضيه التصديق، فكأنهم مكذبون به، والمعنى: هل تصدقون بالخلق متيقنين محققين التصديق بالأعمال الدالة عليه[2]

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا ﴾[3]

وقال – جل ذكره – ﴿ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا ﴾[4]

جواب لو لا بد أن يقترن باللام، فلِمَ تركت في الآية الثانية؟

والجواب: أن اللام لا بد منها في جواب (لو) إلا أنها حذفت في الثانية اختصاراً لدلالة الأولى عليها.

وقيل: إن أصل هذه اللام للتأكيد، فذكرت مع المطعوم دون

---

(١) الآية: ٥٧، من سورة الواقعة.

(٢) مسائل الرازي ٣٣٥، والبيضاوي ٢/ ٤٤٨.

(٣) الآية: ٦٥، من سورة الواقعة.

(٤) الآية: ٧٠، من سورة الواقعة.

الشرب؛ لأن المطعوم مقدم وجوداً ورتبة، لأنه إنما يحتاج إلى الماء تبعا له، ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب، فلما كان الوعيد بفقد المطعوم أشد وأصعب، أكد تلك الجملة مبالغة في التهديد[1]

***

قال الله – تعالى – ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾[2]

التسبيح: التنزيه عن السوء، فما معنى باسم؟ وهلا قال: فسبح ربك العظيم؟

والجواب: أن الباء زائدة والاسم بمعنى: الذات، فصار المعنى: ما قلتم.

وقيل: إن الاسم بمعنى: الذكر، والمعنى فسبح بذكر ربك.

وقيل: إن الذكر فيه مضمر، والمعنى: فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك.وقيل: إن المراد من التسبيح: الصلاة والمعنى: فصل باسم ربك، أي: افتتح الصلاة بالتكبير.

وقيل: الفاء في (فسبح) لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي: نزهه عما لا يليق بشأنه، والباء متعلقة بمحذوف، أي: فسبح ملتبساً باسم ربك

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٥.

(٢) الآية: ٧٤، من سورة الواقعة.

للتبرك به.

وقيل: الباء للتعدية؛ لأن (سبح) يتعدى بنفسه تارة، ويتعدى بالحرف أخرى، والأول أولى[١]

* * *

يقول – جل وعلا – ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾[٢]

ويقول – سبحانه – ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾[٣]

فالآية الأولى تقتضي أنه لم يقسم بهذا القسم، والثانية نزل على خلاف ذلك، فما طريق التوفيق بينهما؟

والجواب: من وجوه:

الأول: أن (لا) النافية يتعلق بنفيها بكلام الكفار، فمعناها إذاً ليس الأمر كما يزعمه الكفار المكذبون للرسول، وعليه فقوله (أقسم) إثبات مؤتنف.

الثاني: أن لفظة (لا) صلة، على عادة العرب، فإنها ربما لفظت بلفظة ﴿ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝٩٢ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾[٤]. يعني: أن تتبعني، وقوله ﴿ مَا

---

(١) فتح القدير ٥/ ١٦٢، ومسائل الرازي ٣٣٥.

(٢) الآيتان (٧٥، ٧٦) من سورة الواقعة.

(٣) الآيتان (٩٢، ٩٣) من سورة طه.

(٤) من الآية: ١٢، من سورة الأعراف.

مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [١]، يعني: أن تسجد على أحد القولين، ويدل له قوله في سورة – ص – ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ ﴾ [٢]، الآية، وقوله ﴿ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [٣]، وقوله ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤]، أي: فوربك، وقوله ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ﴾ [٥]، أي: والسيئة: وقوله ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [٦]، على أحد القولين. وقوله: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٧]، على أحد القولين. وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ ... ﴾ [٨]، على أحد الأقوال الماضية.

وما ذكره الفراء من أن لفظة (لا) لا تكون صلة إلا في الكلام الذي فيه معنى الجحد، فهو أغلبي لا يصح على الإطلاق، بدليل بعض الأمثلة المتقدمة التي لا جحد فيها، كهذه الآية على القول بأن (لا) فيها صلة، وما ذكره الزمخشري من زيادة (لا) في أول الكلام دون غيره فلا دليل عليه.

---

(١) من الآية: ٧٥، من سورة ص.

(٢) من الآية: ٢٩، من سورة الحديد.

(٣) من الآية: ٦٥، من سورة النساء.

(٤) من الآية: ٣٤، من سورة فصلت.

(٥) الآية: ٩٥، من سورة الأنبياء.

(٦) من الآية: ١٠٩، من سورة الأنعام.

(٧) من الآية: ١٥١، من السورة السابقة.

(٨) الآية: ٢، من سورة القيامة.

الوجه الثاني: أن (لا) نفي لكلام المشركين المكذبين للنبي – صلى الله عليه وسلم – وقوله (أقسم) إثبات مستأنف، وهذا القول: وإن قال به كثير من العلماء، فليس بوجيه عندي لقوله – تعالى – في سورة القيامة: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [1]، يدل على أنه لم يرد الإثبات المؤتنف بعد النفي، بقوله ﴿أُقۡسِمُ ﴾.

الوجه الثالث: أنها حرف نفي أيضاً، ووجه أن إنشاء القسم يتضمن الإخبار عن تعظيم المقسم به، فهو نفي لذلك الخبر الضمني على سبيل الكناية، والمراد: أنه لا يعظم بالقسم، بل هو في نفسه عظيم أقسم به أولاً، وهذا القول ذكره صاحب الكشاف، وصاحب روح المعاني ولا يخلو عندي من بعد.

الوجه الرابع: أن اللام لام الابتداء: أشبعت فتحتها، والعرب ربما أشبعت الفتحة بألف، والكسرة بياء، والضمة بواو [2].

---

(١) الآية: ٢، من سورة القيامة.

(٢) دفع إيهام الاضطراب ٢٨٤.

سورة الحديد

قال الله – تعالى – ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

كيف قال: ﴿ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾، ثم قال: ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾؟

والجواب: أن الخطاب مع أهل الكتاب، والمعنى: إن كنتم مؤمنين بموسى وعيسى – عليهما السلام – فإن شريعتهما تقتضي الإيمان بمحمد – صلى الله عليه وسلم –.

وقيل: المعنى: إن كنتم مؤمنين بالميثاق الذي أخذه عليكم يوم أخرجكم من ظهر آدم – عليه السلام –.

وقيل: المعنى: أي: عذر لكم في ترك الإيمان، والرسول يدعوكم إليه، ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج، وقد ركب الله – تعالى – فيكم العقول، ونصب لكم الأدلة، ومكنكم من النظر، وأزاح عللكم، فما لكم لا تؤمنون إن كنتم مؤمنين بموجب ما، فإن هذا الموجب لا مزيد له.

---

(١) الآية: ٨، من سورة الحديد.

وقيل: (إنْ) هنا بمعنى (إذْ)[1].

***

يقول – عز وجل – ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ﴾[2].

الاستواء لا يتم إلا بذكر اثنين، كقوله – تعالى – ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ ﴾[3]، وقوله: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[4]، فلِمَ لم يذكر هنا مع من لا يستوي؟

والجواب: أنه محذوف تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، ومن أنفق وقاتل من بعد الفتح، وإنما حذف لدلالة ما بعده عليه[5].

***

يقول المولى – سبحانه – ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٧، والفتوحات الإلهية ٤/ ٢٨٧.

(٢) من الآية: ١٠، من سورة الحديد.

(٣) من الآية: ١٠٠، من سورة المائدة.

(٤) من الآية: ٢٠، من سورة الحشر.

(٥) مسائل الرازي ٣٣٧.

﴿حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾[(١)].

لِمَ قال ﴿وَأَقْرَضُوا﴾، وقوله ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ﴾ على قراءة التشديد مغن عنه، لأن المراد بالقرض: الصدقة؟

والجواب: أنه أعيد ذكره توطئة لوصفه بالحسن[(٢)].

وفي هذا نظر؛ لأن الصدقة هي ما أعطيته في ذات الله – تعالى – والقرض: ما أعطيته على سبيل الرد والرجوع.

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[(٣)].

إن الله – تعالى – قد حكم لكل مؤمن بكونه صديقاً، فكيف يقال: إن أعلى الدرجات بعد درجة الأنبياء درجة الصديقين؟ وكيف ذكر – سبحانه – هؤلاء المذكورين بكونهم شهداء، ومنهم من لم يقتل؟

والجواب عن الأول: أن كل مؤمن صديق.

وقيل: إن الصديق هو: كثير الصدق، وهو الذي كل أقواله،

---

(١) الآية: ١٨، من سورة الحديد.

(٢) الفتوحات ٤/ ٢٩١.

(٣) من الآية: ١٩، من سورة الحديد.

وأفعاله، وأحواله: صدق، فعلى هذا، يكون المراد به: بعض المؤمنين لا كلهم، وقد روى عن الضحاك أنها نزلت في ثمانية نفر سبقوا أهل الأرض - في زمانهم - إلى الإسلام، وهم: أبو بكر، وعثمان، وعلي، وحمزة بن عبد المطلب، وطلحة، والزبير، وسعد، وزيد، وألحق بهم عمر - رضي الله عنهم - فصاروا تسعة.

والجواب: عن الثاني أن المعنى: لهم أجر الشهداء.

وقيل: إنه جمع شهيد، بمعنى شاهد، فمعناه: أنهم شاهدون عند ربهم على أنفسهم بالإيمان.

وقيل: إنه مبتدأ منقطع عما قبله، لا معطوف عليه، ومعناه: والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم [1].

❊❊❊

قال الله - عز وجل - ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [2].

كيف نهى عن الفرح والحزن، ولا أحد يملك نفسه عند مضرة تناله أن لا يحزن، ولا عند منفعة تناله أن لا يفرح؟

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٧.

(٢) الآية: ٢٣، من سورة الحديد.

والجواب: أنه ليس المراد بذلك الحزن والفرح الذي لا ينفك عنه الإنسان بطبعه قسراً وقهراً، بل المراد به الحزن المخرج لصاحبه إلى الذهول عن الصبر والتسليم لأمر الله – تعالى – ورجاء ثواب الصابرين، والفرح المطغي الملهي عن الشكر، نعوذ بالله منهما [١].

يقول المولى – سبحانه – ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [٢].

***

لِمَ قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾، والميزان لم ينزل من السماء؟

والجواب: أن المراد بالميزان هنا: العدل، وقيل: العقل، وقيل: السلسلة التي أنزلها الله – على داود – عليه السلام – .

وقيل: هو الميزان المعروف، أنزله جبريل، فدفعه إلى نوح – عليهما السلام – وقال له: مر قومك يزنوا به [٣].

***

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٨.

(٢) من الآية: ٢٥، من سورة الحديد.

(٣) مسائل الرازي ٣٣٨.

قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ ﴾[١].

كيف قال ﴿ وَءَامِنُواْ ﴾ وهم مؤمنون؟

والجواب: أن المعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى – عليهما السلام – آمنوا بمحمد – صلى الله عليه وسلم – فيكون خطاباً لليهود والنصارى خاصة، وعليه الأكثرون.

وقيل: المعنى: يا أيها الذين آمنوا بالله في العلانية باللسان: اتقوا الله وآمنوا برسوله في السر بتصديق القلب[٢].

---

(١) من الآية: ٢٨، من سورة الحديد.

(٢) مسائل الرازي ٣٣٩.

سورة المجادلة

قال الله – تعالى – ﴿ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾[١].

المظاهر يقول لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي، فشبه زوجته بأمه، فكيف وصف كلامه بأنه ﴿ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾؟ والزور: الكذب، وهذا ليس بكذب؟

والجواب: أن قوله هذا، إن كان خبراً فهو كذب، وإن كان إنشاءً فكذلك، لأنه جعله سبباً للتحريم، والشرع: لم يجعله سبباً لذلك، وأيضاً؛ فإنما وصف بذلك لأن الأم مؤبدة التحريم، والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار، فهو زور محض.

وقيل: معنى ﴿ وَزُورًا ﴾ محرفاً عن الحق، فإن الزوجة لا تشبه الأم[٢].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾[٣].

---

(١) من الآية: ٢، من سورة المجادلة.

(٢) الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٠٠، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٥٩.

(٣) من الآية: ٧، من سورة المجادلة.

لأي معنى: خصص الله – تعالى – الثلاثة والخمسة بالذكر في النجوى دون غيرهما من الأعداد؟

والجواب: أن قوماً من المنافقين تخلوا للتناجي على هذين العددين مغايظة للمؤمنين، فنزلت الآية على صفة حالهم تعريضاً بهم وتسميعاً لهم، وزيد فيها ما يتناول كل متناجيين غير تلك الطائفتين، وهو قوله – تعالى – ﴿وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾.

وقيل: إنما خصص الله – تعالى – هذين العددين، لأن العدد الفرد أشرف من الزوج، فالله – تعالى – وتر يحب الوتر، والثلاثة أول الأوتار، فخص العددان المذكوران بالذكر تنبيهاً على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور.

وقيل: إنما خصص الله – تعالى – هذين العددين بالذكر؛ لأن أغلب عادات المتناجين: أن يكونوا ثلاثة أو خمسة.

وقيل: إنما خص الثلاثة والخمسة، لأن أقل ما يكفي في المشاورة: ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين في النفي والإثبات، والثالث: كالمتوسط الحاكم بينهما، فحينئذ: تحمد تلك المشاورة، ويتم ذلك الغرض، وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لا بد من واحد يكون حكماً

بينهم مقبول القول(١).

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾(٢).

وقال – جل وعلا – ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ﴾ الآية(٣).

فالآية الأولى تدل على طلب تقديم الصدقة، قبل المناجاة، والثانية تدل على الإعفاء من ذلك، فما الجمع بينهما.

والجواب: ظاهر وواضح، وهو أن الثانية ناسخة للأولى(٤).

قال الله – تعالى – ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٥).

ما فائدة التقييد بقوله – ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾؟ والكذب يعم ما علم وما لم يعلم؟

والجواب: أن الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته، وما لا يعلم

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٩، والفتوحات ٤/ ٣٠٢، فتح القدير ٥/ ١٨٦، وتفسير الخازن ٤/ ٢٣٩.

(٢) من الآية: ١٢، من سورة المجادلة.

(٣) من الآية: ١٣، من سورة المجادلة.

(٤) دفع إيهام الاضطراب ص ٢٩٠.

(٥) من الآية: ١٤، من سورة المجادلة.

ولكن لما كان المنافقون قد سبوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه مع اليهود، وحلفوا كاذبين أنهم ما فعلوا: كان التقييد بقوله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ نهاية في بيان ذمهم[1].

***

قال – تبارك وتعالى – ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2].

وقال – سبحانه وتعالى – ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[3].

كيف التوفيق بين الآيتين، والآية الأولى تمنع الجمع بين الإيمان بالله واليوم الآخر، وبين مودة الكافرين، والثانية تبيح للمؤمنين أن يبروا الكافرين؟

والجواب: أن المودة المحظورة هي: مؤازرتهم ونصرهم ومناصحتهم وإرادة الخير لهم، ديناً ودنيا – مع كفرهم – وأما ما سوى ذلك من المخالطة والمعاملة والمعاشرة، التي لا مساس لها بالعقيدة، فلا

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٩، البيضاوي ٢/ ٤٦٢ن وتفسير ابن كثير ٦/ ٥٨٩.

(٢) من الآية: ٢٢، من سورة المجادلة.

(٣) الآية: ٨، من سورة الممتحنة.

حظر فيها، ويرشد إلى هذا إيثار لفظة المودة في الأولى، والبر في الثانية، ولا يخفى الفرق بينهما، فالبر: مجرد الصلة، أما المودة فهي الحب[١].

وقيل: المؤمن الموصوف بهذه الصفة - وهي الإيمان الصحيح بالله واليوم الآخر، والذي يتوافق فيه الظاهر مع الباطن - لا يمكن أن يوالي الكفار ويحبهم، ويصادقهم بقلبه، وإن كان أباه، أو ابنه، أو أحداً من عشيرته، فمودة الكفار تقدح في صحة الإيمان، وتطعن في وجوده، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع منه، ورعايته أحق من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة، وقد نزلت هذه الآية في عبد الله بن عبد الله بن أبي: لما هم بقتل أبيه المنافق، وفي أبي بكر الصديق لما صك أباه أبا قحافة حيث سمعه يسب النبي - صلى الله عليه وسلم ودعا ابنه إلى البراز يوم بدر، وفي أبي عبيدة بن الجراح الذي قتل أباه يوم أحد، وفي مصعب بن عمير الذي قتل أخاه عبيد بن حمنة يوم أحد، وذلك لكفرهم[٢].

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ٢٤٣ بتصرف.

(٢) زاد المسير ٨/ ١٩٩، فتح القدير ٥/ ١٩٣، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣٠٨.

سورة الحشر

قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ ﴾(١).

التبوؤ: اتخاذ المكان منزلاً، والإيمان ليس مكانا يتبوأ، فكيف تبوؤوا الإيمان؟

والجواب: أن في الكلام إضماراً تقديره: والذين تبوؤوا الدار وأخلصوا الإيمان، أو وآثروا الإيمان.

وقيل: ليس في الكلام إضمار، ولكنه مجاز، ومعناه: أنهم جعلوا الإيمان مستقراً وموطناً لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا دار الهجرة كذلك، وهي المدينة.

وقيل: المعنى: تبوؤوا دار الهجرة ودار الإيمان، فحذف المضاف من الثاني، والمضاف إليه من الأول، وعوض عنه اللام.

وقيل: تبوؤوا مضمناً معنى لزموا، والتقدير: لزموا الدار والإيمان، ومعنى ﴿ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾: من قبل هجرة المهاجرين، فلا بد من تقدير

(١) من الآية: ٩، من سورة الحشر.

مضاف؛ لأن الأنصار إنما آمنوا بعد إيمان المهاجرين[١].

***

قال – تبارك وتعالى – ﴿ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[٢].

كيف أخبر بأنهم لا ينصرونهم، ثم قال ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ﴾، وحرف الشرط إنما يدخل على ما يحتمل وجوده وعدمه؟

والجواب: أن المعنى: ﴿ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ ﴾ على الفرض والتقدير، كقوله – تعالى – للنبي – صلى الله عليه وسلم – ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[٣]، وقوله – تعالى – ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[٤]، والله – تعالى – كما يعلم ما يكون قبل كونه، فهو يعلم ما لا يكون، أن لو كان كيف يكون؟

وقيل: إنه قد بين بقوله – تعالى – ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ أنه لا نصرة يجدونها بعد هذه النصرة، وعلى ذلك صح[٥].

***

---

(١) مسائل الرازي ٣٣٩ – ٣٤٠، البيضاوي ٢/ ٤٦٦، زاد امسير ٨/ ٢١٢، وفتح القدير ٥/ ٢٠١.

(٢) الآية: ١٢، من سورة الحشر.

(٣) من الآية: ٦٥، من سورة الزمر.

(٤) من الآية: ٢٢، من سورة الأنبياء.

(٥) تنزيه القرآن ٤٢٠، ومسائل الرازي ٣٤٠.

يقول الحق – جل شأنه – ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[١].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: إن تعلقت (من) بأشد، لزم ثبوت الخوف لله – تعالى – كما تقول: زيد أشد خوفاً في الدار من عمرو، وذلك محال، وإن كانت (من) متعلقة بالخوف فأين الذين فضل عليه المخاطبون، وأيضاً: فإن الآية تقتضي إثبات زيادة الخوف للمؤمنين، وليس المراد ذلك باتفاق المفسرين؟

والجواب: أن الرهبة هنا: مصدر رهب المبني للمفعول؛ لأن المخاطبين مرهوب منهم لا راهبون، فكأنه قيل: أشد مرهوبية، يعني: أنكم في صدورهم أهيب من الله فيها.

والثاني: كيف يستقيم التفضيل بأشدية الرهبة مع أنهم كانوا لا يرهبون الله؛ لأنهم لو رهبوه لتركوا النفاق والكفر.

والجواب: أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم، وكانوا يظهرون للمؤمنين رهبة شديدة من الله – تعالى –[٢].

* * *

(١) الآية: ١٣، من سورة الحشر.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٠، الفتوحات ٤/ ٣١٨، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٦٦.

يقول الله – عز وجل – ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

لِمَ قال إبليس ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ وهو لا يخاف الله – تعالى – لأنه لو خافه لما خالفه ثم أضل عبيده؟

والجواب: أن المراد بالخوف هنا: الخوف في يوم القيامة، وذلك بخلاف قوله ﴿ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ فذلك خوفه من ملائكة الله في الدنيا.

وقيل: ليس قول الشيطان ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ﴾ على حقيقته، إنما هو على وجه التبري من الإنسان، فهو تأكيد لقوله ﴿ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾[2].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: ما فائدة تنكير نفس وغد؟ وكيف أراد بالغد يوم القيامة؟

---

(١) الآية: ١٦، من سورة الحشر.

(٢) مجمع البيان: المجلد السادس ١٨/ ٣٧، وفتح القدير ٥/ ٢٠٥.

(٣) الآية: ١٨، من سورة الحشر.

الثاني: ما فائدة تكرار الأمر بالتقوى؟

والجواب عن الأول: أن فائدة تنكير النفس هي: بيان أن الأنفس الناظرة في معادها قليلة جدّاً، كأنه قيل: ولتنظر نفس واحدة في ذلك، وأين تلك النفس؟

وفائدة تنكير الغد: تعظيمه وإبهام أمره، كأنه قيل: لغد لا تعرف النفس كنه عظمته وهوله، فالتنكير فيه: للتعظيم، وفي النفس: للتقليل أو للتعريض بغفلة كلهم عن هذا النظر الواجب(١).

وأما كونه أراد بالغد يوم القيامة، وإن كان يطلق على الوقت الذي بيننا وبينه ليلة واحدة، فلأن الغد يطلق أيضاً على مطلق الزمان المستقبل، كما يطلق الأمس على مطلق الزمان الماضي كقوله – تعالى – ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾(٢).

وقيل: إنما أطلق على يوم القيامة اسم الغد تقريباً له، كقوله – تعالى – ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾(٣)، وقوله – تعالى – ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾(٤)، وكأنه – تعالى – قال: إن يوم القيامة لقربه يشبه

---

(١) الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٢٠.

(٢) من الآية: ٢٤، من سورة يونس.

(٣) من الآية: ١، من سورة القمر.

(٤) من الآية: ٧٧، من سورة النحل.

ما ليس بينكم وبينه إلا ليلة واحدة، ولهذا روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «اعمل لليلة صبيحتها يوم القيامة»، قالوا: وأراد بتلك الليلة ليلة الموت"[1].

وقيل: إنما أطلق على يوم القيامة اسم الغد؛ لأن الدنيا أي زمانها كيوم، والآخرة كغده، لاختصاص كل منهما بأحكام وأحوال متشابهة، وتعقيب الثاني للأول، فلفظ الغد حينئذ: استعارة.

والجواب عن الثاني: أنه إنما كرر الأمر بالتقوى؛ لأن الأولى للتوبة عما مضى من الذنوب، والثانية لاتقاء المعاصي في المستقبل.

وقيل: المراد بالأول: أن يتقوا الله في حفظ ما فعلوا من الطاعات، والمراد بالثاني: أن يتقوا الله في جميع ما كلفوا، ولذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾.

وقيل: معنى الأول: اتقوا الله في أداء الواجبات؛ لأنه مقرون بالعمل، فإن ﴿مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾: عبارة عن أعمال الخير، ومعنى الثاني: واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات والمحارم، وذلك لاقترانه بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ وهو كالوعيد على المعاصي.

وقيل: إن الأمر الثاني تأكيد للأول، والتقوى هي: التجنب عن كل

---

(١) مسائل الرازي ٣٤١، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣٢٠.

ما يؤثم من فعل أو ترك، فهي تشملهما، ولا وجه للتوزيع[١].

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢].

ما معنى خشوع الجبل من نزول القرآن عليه؟

والجواب: أن المعنى أنه– سبحانه – لو جعل في جبل – على قساوته – تمييزاً كما جعل في الإنسان، ثم أنزل عليه القرآن، لتشقق خشية من الله – تعالى – وخوفاً أن لا يؤدي حقه في تعظيم القرآن، والمقصود: توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبر قوارعه وزواجره.

وقيل المعنى: لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن، ويشعر به مع غلظة وجفاء طبعه وكبر جسمه، لخشع لمنزله، وتصدع من خشية الله تعظيماً لشأنه، فالإنسان أحق بهذا لو عقل الأحكام التي فيه.

وقيل المعنى: لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل، لكان هذا القرآن

---

(١) الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٢٠، الخازن ٤/ ٢٥٣، البيضاوي ٢/ ٤٦٧، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٣٧، وتنزيه القرآن ٤٢١.

(٢) الآية: ٢١، من سورة الحشر.

يصدعه.

وقيل: إن المراد به ما يقتضيه الظاهر، بدلالة قوله ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ (١)، وهذا وصف للكافر بالقسوة، حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع، ويدل على أن هنا تمثيل قوله: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ﴾ (٢).

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ (٣).

ما الفرق بين الخالق والبارئ حتى عطف – تعالى – أحدهما على الآخر؟

والجواب: أن الخالق هو: المقدر للأشياء على مقتضى حكمته، والبارئ هو الموجد لها بريئاً من التفاوت.

وقيل: الخالق: المبدئ، والبارئ: المعيد (٤).

---

(١) من الآية: ٧٤، من سورة البقرة.

(٢) مجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٣٩، ومسائل الرازي ٣٤١ – ٣٤٢.

(٣) من الآية: ٢٤، من سورة الحشر.

(٤) مسائل الرازي ٣٤٢، البيضاوي ٢/ ٤٦٨، وتفسير ابن كثير ٦/ ٦١٥ – ٦١٧.

سورة الممتحنة

قال الله – تعالى – ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (١).

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: مماذا استثنى قوله – تعالى – ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾؟

الثاني: أن قوله: ﴿ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ثابت لإبراهيم – عليه السلام – ولغيره، فيتأسى به فيه، وعطفه على المستثنى: يقتضي أنه لا يتأسى به فيه، وأنه لا يجوز لغيره؟

والجواب عن الأول: أنه مستثنى من قوله: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾؛ لأنه – سبحانه – أراد بالأسوة الحسنة قوله الذي حكاه عنه – وعن أتباعه وأشياعه ليقتدوا به ويتخذوه سنة يستنون بها، واستثنى – سبحانه – استغفاره لأبيه؛ لأنه كان عن موعدة وعدها إياه (٢).

---

(١) الآية: ٤، من سورة الممتحنة.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٢.

والجواب عن الثاني: أنه لم يرد به ظاهره الذي هو مناط الإيراد، بل أريد به معنى آخر خاص بإبراهيم لا يتأسى به فيه، وهو أنه يملك له الاستغفار دون غيره، وملكه الاستغفار لأبيه، أي: قدرته عليه شرعاً، وجوازه له، لا يتأسى به فيه، فقوله: ﴿وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ من تمام القول المستثنى، ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع أجزائه.

والمعنى: ما أغنى عنك، وما أدفع عنك من عذاب الله شيئاً والجملة في محل نصب حال من فاعل ﴿لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ﴾ فالاستثناء متوجه إلى الاستغفار لا إلى هذا القيد، فإنه إظهار للعجز وتفويض للأمر إلى الله، وذلك من خصال الخير[1].

***

يقول المولى – سبحانه – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

وعلى هذه الآية ترد ثلاثة أسئلة:

---

(١) البيضاوي ٢/ ٤٧٠، فتح القدير ٥/ ٢١٢، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣٢٦.

(٢) الآية: ١٢، من سورة الممتحنة.

الأول: ما وجه بيعة النساء، وهن لسن من أهل النصرة بالمحاربة؟

الثاني: لِمَ اقتصر في البيعة على النواهي دون الأوامر؟

الثالث: ما وجه التقييد بالمعروف، مع كونه - صلى الله عليه وسلم - لا يأمر إلا به؟

والجواب عن الأول: أنه أخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والأنفس والأزواج، وكان ذلك في صدر الإسلام، ولئلا ينفتق بهن فتق لما وضع من الأحكام، فبايعهن النبي - صلى الله عليه وسلم - حسما لذلك. كما أن موضوع النصرة بالمحاربة لم يكن كل شيء. فهناك من الأمور ما لا يقل أهمية عنه، وهي تلك التي تضمنتها البيعة، فهي دعائم بقاء الأمة وتوطيد الإسلام، وقد بايع النبي - صلى الله عليه وسلم - الرجال، ولم تتضمن البيعة النصرة بالمحاربة، فعن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: كنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به فهو كفارة له...» الحديث[1].

والجواب عن الثاني: أنه ذكر في البيعة خصالاً ستّاً صرح فيهن

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٦٣٥، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٥٦.

بأركان النهي في الدين، ولم يذكر أركان الأمر وهي ستة أيضاً: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والاغتسال من الجنابة؛ لأن النهي دائم في كل الأزمان وكل الأحوال، فكان الاشتراط للتنبيه على الدائم آكد.

وقيل: اقتصر في البيعة على النواهي دون الأوامر؛ لأن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها، ولا يحجزهن عنها شرف النسب، فخصت بالذكر لذلك.

وقيل: لم يذكر الأوامر في البيعة لوضوح كونها من أركان الدين وشعائر الإسلام[1].

والجواب عن الثالث: أنه قيد (بالمعروف) في بيعة النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يكون تنبيهاً على أن غيره أولى بذلك وألزم له، يعني أنه إذا قيد معصية الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالمعروف مع جلالة قدره وعلو منزلته لأنه لا يأمر إلا بالمعروف، فما ظنك بطاعة غيره في المعصية.

وقيل: إن الفائدة سرعة تبادر الإفهام إلى قبح المعصية منهن لو وقعت، من غير توقف الفهم على شيء[2].

---

(١) فتح القدير ٥/ ٢١٦، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣٣٣.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٣، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣٣٣.

سورة الصف

قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾(١).

كيف يكون الوعد بالخير سبب مقت عند الله، وهو حسن شرعاً، سواء وفَّى به أم لم يوف به؟

والجواب: أنه على رأي من قال: إن الآية نزلت في قوم كانوا يقولون: قاتلنا في الزمن الماضي، وفعلنا الخير، ولم يكونوا فعلوه، فهذا كذب وتسميع، وهو: سبب مقت، ومن قال: إنها نزلت في قوم سألوا أن يعملوا أحب الأشياء إلى الله فيطيعوه بها، فأمروا بالجهاد في قضية أحد فلم يوفوا، فعلى قول هؤلاء يتعين الإشكال، إذ قولهم السابق حسن كله، فيضمر على رأي هؤلاء: كبر مقتاً عند الله: إخلاف أن تقولوا ما لا تفعلون(٢).

***

قال الله – عز وجل – ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي

---

(١) الآيتان (٢، ٣) من سورة الصف.

(٢) فوائد في مشكلة القرآن ٢٤٤.

﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [1].

ما فائدة (قد)، والمعنى ظاهر بدونها؟

والجواب: أن فائدتها التأكيد، كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه.

وقيل: فائدتها التكثير، لأن (قد) مع الفعل المضارع: تأتي تارة للتقليل، كقولهم: إن الكذوب قد يصدق، وتارة تأتي للتكثير [2].

***

يقول الحق – سبحانه – ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [3].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قال: (أحمد)، ولم يقل: (محمداً)، مع أنه أشهر أسماء النبي – صلى الله عليه وسلم –.

والثاني: كيف أشار بهذا إلى البينات وهي مؤنثة؟

والجواب عن الأول: أنه إنما قال: (أحمد) لأنه مذكور في الإنجيل

---

(١) من الآية: ٥، من سورة الصف.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٣.

(٣) الآية: ٦، من سورة الصف.

بعبارة تفسيرها: أحمد، لا محمد، وإنما كان كذلك لأن اسمه في السماء أحمد، وفي الأرض محمد، فنزل في الإنجيل: اسمه السماوي، وأحمد، أبلغ في معنى الحمد من محمد، من جهة كونه مبنياً على صيغة التفضيل.

وقيل: محمد أبلغ من جهة كونه على صيغة التفضيل الذي هو: التكثير.

والجواب عن الثاني: أن المعنى: هذا الذي جئت به، فالإشارة إلى المأتي به [١].

***

قال الله – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾ [٢].

ما وجه صحة التشبيه؟ وظاهره: تشبيه كونهم أنصار الله بقول عيسى عليه السلام ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾؟

والجواب: أن التشبيه محمول على المعنى، تقديره: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاراً لعيسى – عليه السلام – حين قال لهم ﴿ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ [٣].

---

(١) مسائل الرازي ٣٤٣.

(٢) من الآية: ١٤، من سورة الصف.

(٣) مسائل الرازي ٣٤٤.

سورة الجمعة

قال الله – تعالى – ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[١].

لِمَ قال: ﴿ بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ وقد قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾[٢] ؟ وما وجه الامتنان في أنه بعث نبيّاً أميّاً؟

والجواب: أن عمومية رسالته – صلى الله عليه وسلم – مستفادة من دليل آخر، وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي مَنْ عداهم، ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر، كما قال – تعالى – ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[٣]، ومعنى (منهم) أي: من جنسهم، كما قال – تعالى – ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾[٤].

وقيل: الأمي هو الذي على ما خلق عليه، كأنه منسوب إلى أمه، وأما وجه الامتنان في أنه بعث نبيّاً أميّاً، فهو لموافقة ما تقدمت البشارة به في كتب الأنبياء، أو لمشاكلة حاله – صلى الله عليه وسلم – لأحوالهم، فيكون

---

(١) من الآية: ٢، من سورة الجمعة.

(٢) من الآية: ٢٨، من سورة سبأ.

(٣) من الآية: ٤٤، من سورة الزخرف.

(٤) من الآية: ١٢٨، من سورة التوبة.

أقرب إلى موافقتهم له، أو انتقاء سوء الظن عنه في أن ما دعاهم إليه تعلمه من كتب قرأها وحكم تلاها، فلئلا يظن به أنه يعلم كتب من قبله، كان - صلى الله عليه وسلم - أمياً، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[1].

* * *

قال الله - عز وجل - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾[2].

كيف أمر بالسعي، والسعي: العدو، والعدو إلى صلاة الجمعة وإلى كل صلاة مكروه؟

والجواب: أن المراد بالسعي: القصد، وليس هو السعي على الأقدام، ولكن على النيات والقلوب، ويؤيده قوله - تعالى - ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[3]، وقول الداعي في دعاء القنوت: وإليك نسعى ونحفد، وليس المراد به: العدو والإسراع بالقدم.

---

(١) الآية: ٤٨، من سورة العنكبوت، زاد المسير ٨/ ٢٥٨، الفتوحات ٤/ ٣٤١، وتفسير الخازن ٤/ ٢٦٤، ومخطوطة فتح الرحمن - سورة الجمعة.

(٢) من الآية: ٩، من سورة الجمعة.

(٣) الآية: ٣٩، من سورة النجم.

وقيل: إن المراد بالسعي: الذهاب والمشي والمضي إلى الصلاة، وكان ابن مسعود يقرؤها (فامضوا) [1]، ويقول: لو قرأتها (فاسعوا) لسعيت حتى يسقط ردائي.

وقيل: المراد بالسعي: العمل، ويكون المعنى: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله بالتفرغ له والاشتغال بالطهارة ونحوها [2].

(١) فتح القدير ٥/ ٢٢٧.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٤، وزاد المسير ٨/ ٢٦٤.

سورة المنافقون

قال الله – تعالى – ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[1].

ما فائدة قوله – تعالى – ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ ؟

والجواب: أنه لو اتصل التكذيب بقولهم: لربما توهم أن قولهم في حد ذاته كذب، فأتبع بهذا القول المعترض به لدفع هذا الإيهام، وأما الشهادة بكذبهم ففي غير هذه الشهادة.

وقيل: إنه تكذيب لهم في هذه الشهادة أيضاً، لأنهم أضمروا خلاف ما أظهروا، ولم يعتقدوا أنه رسول الله بقلوبهم، فكذب ضميرهم وسماهم كاذبين لذلك، فالكذب عدم مطابقة الخبر للواقع والاعتقاد، وعلى هذا فقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ تأكيد[2].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ﴾[3].

---

(١) الآية: ١، من سورة المنافقون.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٤ – ٣٤٥، والفتوحات الإلهية ٤/ ٣٦٤.

(٣) من الآية: ٣، من سورة المنافقون.

المنافقون ما برحوا على الكفر، فكيف قال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾؟

والجواب: أن المعنى: أنهم آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، وثم للترتيب الإخباري لا الإيجادي.

وقيل: إنما قال ذلك: لأنهم جددوا الكفر بعد إظهار الإيمان.

وقيل: نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا، والأول: أولى كما يفيده السياق[1].

***

يقول المولى – سبحانه – ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[2].

لِمَ لَمْ يقل: هي العدو، وهو الظاهر؟

والجواب: أن (عَلَيْهِمْ) هو ثاني مفعولي (يَحْسَبُونَ) والتقدير: يحسبون كل صيحة واقعة عليهم، وذلك لجبنهم وهلعهم، فالوقف على قوله – تعالى – (عَلَيْهِمْ) وقوله: (هُمُ الْعَدُوُّ) ابتداء كلام.

---

(١) مسائل الرازي ٣٤٥، الفتوحات الإلهية ٤/ ٣٤٦، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٨٢، وفتح القدير ٥/ ٢٣٠.

(٢) الآية: ٤، من سورة المنافقون.

وقيل: إن قوله: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ صلة ﴿يَحْسَبُونَ﴾ والمفعول الثاني ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ والتقدير: يحسبون أهل كل صيحة عليهم هم العدو.

وعلى هذا يكون الضمير للكل، وجمعه بالنظر إلى الخبر، لكن ترتب قوله: ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ عليه يدل على أن الضمير للمنافقين، فالأول أظهر بدليل عدم نصب العدو[1].

(١) مسائل الرازي ٣٤٥، والبيضاوي ٢/ ٤٧٨.

سورة التغابن

قال الله – تعالى – ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[1].

لِمَ قدم الكافر على المؤمن في الذكر؟

والجواب: أن الواو لا تعطي رتبة، ولا تقتضي ترتيباً، كما قال – تعالى – ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[2]، وقال – تعالى – ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[3]، وقال – سبحانه – ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[4]، وقال – تعالى – ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[5].

وقيل: إنما قدم الكافر على المؤمن، لأنه الأغلب عند نزول القرآن[6].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ

(١) من الآية: ٢، من سورة التغابن.

(٢) من الآية: ١٠٥، من سورة هود.

(٣) من الآية: ٢٠، من سورة الحشر.

(٤) من الآية: ٣٢، من سورة فاطر.

(٥) من الآية: ٤٩، من سورة الشورى.

(٦) مسائل الرازي ٣٤٦، وفتح القدير ٥/ ٢٣٥.

يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾[١].

لِمَ قال: ﴿ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ ﴾، وهو يوهم وجود التولي والاستغناء معاً، بعد مجيء رسلهم إليهم، والله – تعالى – لم يزل غنيّاً؟

والجواب: أن المعنى: وظهر استغناء الله – تعالى – بسلطانه عن كل شيء فضلاً عن طاعة عباده وإيمانهم، حيث لم يلجئهم إلى الإيمان، ولم يضطرهم إليه مع قدرته – تعالى – على ذلك، وإنما كلفهم لنفعهم لا لحاجة منه إلى عبادتهم.

وقيل المعنى: واستغنى الله بما أظهره لهم من البرهان، وأوضحه من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد وتهدي إلى الإيمان[٢].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾[٣].

الهداية سابقة على الإيمان، لأنه لولا سبق الهداية لما وجد الإيمان، فكيف قال: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ ﴾؟

والجواب: أنه ليس المراد (يَهۡدِ) قلبه للإيمان، كما قال – تعالى –

---

(١) الآية: ٦، من سورة التغابن.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٦، مجمع ا لبيان: المجلد السادس ٢٨/ ٩٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٨٠.

(٣) من الآية: ١١، من سورة التغابن.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ [1]، بل المراد: يهدي قلبه لليقين عند نزول المصائب، فيعلم: أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، أو يهدي قلبه للرضا والتسليم عند نزول المصائب، أو يهدي قلبه للاسترجاع عند نزول المصائب. وهو أن يقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [2]، أو يهدي قلبه: أي: يجعله ممن إذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر، أو يهدي قلبه لاتباع السنة إذا صح إيمانه.

وقرئ: (يهدأ) بفتح الدال وبالهمزة [3]، من الهدوء وهو: السكون فمعناه: ومن يؤمن بالله إيماناً خالصاً، يسكن قلبه، ويطمئن عند نزول المصائب والمحن، ولا يجزع ويقلق [4].

---

(١) من الآية: ١٢٥، من سورة الأنعام.

(٢) من الآية: ١٥٦، من سورة البقرة.

(٣) فتح القدير ٥/ ٢٣٧.

(٤) مسائل الرازي ٣٤٦.

سورة الطلاق

قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[1].

لِمَ أفرد الخطاب أولاً، ثم جمعه ثانياً.

والجواب: أنه أفرد – سبحانه – النبي – صلى الله عليه وسلم – أولاً بالخطاب تعظيماً له، لأنه إمام أمته وقدوتهم، وإظهاراً لتقدمه ورياسته، ولبيان أنه – وحده – في حكم كلهم، وساد مسد جميعهم.

وقيل: إنه خطاب له – صلى الله عليه وسلم – ولأمته، والتقدير: يا أيها النبي وأمته إذا طلقتم، فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه.

وقيل: إنه خطاب لأمته فقط، بعد ندائه – صلى الله عليه وسلم – وهو من تلوين الخطاب، خاطب أمته بعد أن خاطبه.

وقيل: إنه على إضمار قول، أي: يا أيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم النساء[2].

* * *

(١) من الآية: ١، من سورة الطلاق.

(٢) مسائل الرازي ٣٤٦، والفتوحات ٤/ ٣٥٤.

قال الله – عز وجل – ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[١].

كيف صح معنى الآية، ونحن نرى كثيراً من الأتقياء مضيقاً عليهم رزقهم؟

والجواب: أن المعنى يجعل له مخلصاً من هموم الدنيا والآخرة، فعن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «مخرجاً من شبهات الدنيا، ومن غمرات الموت، ومن شدائد يوم القيامة»[٢].

وقيل: ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة.

والصحيح أن هذه الآية عامة، وأن الله يجعل لكل متق مخرجاً من كل ما يضيق على مَنْ لا يتقي، ولهذا قال النبي – صلى الله عليه وسلم – «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ وجعل يقرؤها ويعيدها»[٣].

وأما تضييق رزق الأتقياء، فهو مع ضيقه وقلته، يأتيهم من حيث لا يأملون ولا يرجون، وتقليله: لطف بهم ورحمة ليتوفر حظهم في الآخرة

(١) الآيتان (٢، ٣) من سورة الطلاق.

(٢) مرسل عن قتادة: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٨.

(٣) الكاف الشاف ح ١٧٤ ط. دار المعارف.

ويخف حسابهم، ولتقل عوائقهم عن الاشتغال بمولاهم، ولا يشغلهم الرخاء والسعة عما خلقوا له من الطاعة والعبادة، ولهذا اختار الأنبياء والأولياء والصديقون الفقر على الغنى [1].

***

يقول المولى – جل وعلا – ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [2].

كيف أخبر بأن من يثق به فيما نابه، كفاه الله شر ما أهمه، وقد رأينا كثيراً من الناس يتوكل على الله في بعض أمورهم وحوائجهم، ولا يكفيهم الله – تعالى – همها؟

والجواب أنه محال أن يتوكل أحد على الله حق التوكل ولا يكفيه همه، بل ربما قلق وضجر، واستبطأ قضاء حاجته بقلبه أو بلسانه – أيضاً – ففسد توكله، وإليه الإشارة بقوله – تعالى – ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: نافذ حكمه، يبلغ ما يريده من قضاياه وتدابيره على ما أراده، ولا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب، ولا يقدر أحد على منعه عما يريده، وبقوله – تعالى – ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: جعل لكل شيء من الفقر

---

(١) مسائل الرازي ٣٤٧.

(٢) الآية: ٣، من سورة الطلاق.

والغنى والمرض والصحة، والشدة والرخاء، ونحو ذلك مقداراً، وجعل لكل أجلاً ومنتهى ينتهي إليه، لا يتقدم عنه ولا يتأخر، ولا زيادة ولا نقصان.

وقيل: بين لكل شيء مقداراً، بحسب المصلحة في الإباحة والإيجاب، والترغيب والترهيب، كما بين في الطلاق والعدة وغيرهما.

وقيل المعنى: من اتقى الله وجانب المعاصي، وتوكل عليه، فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية، ولم يرد الدنيا؛ لأن المتوكل قد يصاب في الدنيا، وقد يقتل، ومعنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: فلا بد من كونه ينفذه، سواء حصل توكل أم لا، فهو قاضٍ أمره فيمن توكل عليه، وفيمن لم يتوكل، لكن من توكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً.

وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ أي: تقديراً لا يتعداه في مقداره وزمانه وأحواله، وإن اجتهد جميع الخلائق في أن يتعداه، فمن توكل استفاد الأجر وخف عنه الألم، وقذف في قلبه السكينة، ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك، وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التي يعتقد أنها هي المنجية. فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط.

جف القلم بما أنت لاق فلا يزاد في المقادير شيء ولا ينقص منها شيء [١]، وهذا أوفق وأحسن.

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ ﴾ [٢].

كيف علق العدة بالشك، مع أن عدتهن تلك، سواء وجد شك أم لا؟

والجواب: أن المراد بالشك: الجهل بمقدار عدة الآيسة والصغيرة، وإنما علقها به لأنه لما نزل بيان عدة ذوات الأقراء في سورة البقرة، قال بعض الصحابة: قد بقي الكبار والصغار، لا ندري كم عدتهن؟ فنزلت هذه الآية على هذا السبب، فلذلك جاءت مقيدة بالشك والجهل [٣].

فالمراد بالارتياب ها هنا: ارتياب المخاطبين في مقدار عدة الآيسة والصغيرة كم هو؟ وليس المراد به: ارتياب المعتدات في اليأس من المحيض، أو اليأس من الحمل للسبب الذي ذكر في نزوله الآية؛ ولأنه لو

---

(١) مسائل الرازي ٣٤٧، الفتوحات ٤/ ٣٥٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ١٠٨.

(٢) من الآية: ٤، من سورة الطلاق.

(٣) مسائل الرازي ٣٤٨.

أريد بذلك النساء، لتوجه الخطاب إليهن فقيل: إن ارتبتن، أو ارتبن؛ لأن الحيض إنما يعلم من جهتهن[1].

وقيل المعنى: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ﴾ فلا يحضن ﴿إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ﴾ فلا تدرون لكبرهن ارتفع حيضهن أم تعارض؟ ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ﴾ وهن اللواتي أمثالهن يحضن، لأنهن لو كن في سن من لا تحيض، لم يكن للارتياب معنى.

وقيل: المعنى: إن شككتم فلم تدروا دمهن دم حيض أو استحاضة، فعدتهن ثلاثة أشهر[2]، وهذان القولان أولى وأحسن، إذ لا يطلق الريب على عدم العلم.

* * *

يقول المولى – جل شأنه – ﴿سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا﴾[3].

وقال – جلت حكمته – ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾[4].

في الآية الأولى: وعد بمجيء اليسر بعد العسر، وفي الثانية: جاءا

---

(١) زاد المسير ٨/ ٢٩٣.

(٢) مجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ١٠٨.

(٣) من الآية: ٧، من سورة الطلاق.

(٤) الآية: ٦، من سورة الانشراح.

مقترنين، فما التوفيق بينهما؟

والجواب: أن المراد بقوله – تعالى – (مع): بعده، لأن الضدين لا يجتمعان [١].

* * *

يقول الله – سبحانه – ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾.

كيف نسب العتو إلى القرية؟

وكيف عبر عن الحساب والعذاب بلفظ الماضي مع أن الحساب والعذاب المرتبين على العتو إنما هما في الآخرة لا في الدنيا؟

والجواب: أن هذا مجاز مشهور والمراد: عتا أهلها، وإنما جيء به على لفظ الماضي تحقيقاً له وتقريراً؛ لأن المنتظر من وعد الله – تعالى – ووعيده – آت – لا محالة [٢]. وما هو كائن فكأنه قد حصل، ونظيره قوله – تعالى – ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [٣]، وما أشبهه.

وقيل المعنى: حاسبها الله – تعالى – بعملها في الدنيا فجازاها

---

(١) مسائل الرازي ٣٤٨.

(٢) من الممكن أن يتخلف الوعيد إلا إذا كان مترتباً على الشرك والموت عليه.

(٣) من الآية: ٥٠، من سورة الأعراف.

بالعذاب، وهو قوله – تعالى – ﴿ وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة، وهو عذاب الاستئصال.

وقيل: إن في الآية تقديماً وتأخيراً تقديره: فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط، والسيف، وسائر المصائب والبلايا، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً، وقيل: الحساب الشديد هو الذي ليس فيه عفو[1].

(١) مسائل الرازي ٣٤٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ١١٣.

سورة التحريم

قال الله – تعالى – ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[1].

قوله: ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ ﴾ إن كان المراد به: الفرد، فأي فرد هو؟ وأيضاً، فإنه لا يناسب مقابلة الملائكة الذين هم جمع، وإن كان المراد به الجمع، فهلا كان مكتوباً في المصحف بالواو؟ ولِمَ لم يقل: ظهراء، وهو خبر عن الجمع وهم: الملائكة؟

والجواب: أنه فرد أريد به الجمع، كقولك: لا يفعل هذا الفعل. الصالح من الناس: تريد به الجنس. وكقولك: لا يفعله من صلح منهم. وكقوله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾[2]، وقوله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴾[3]، وقوله – تعالى – ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا ﴾[4]، وقوله – تعالى – ﴿ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ﴾[5]، ونظائره كثيرة.

وأما (ظهير) فهو فرد وضع موضع الجمع، أو أنه اسم على وزن

---

(١) من الآية: ٤، من سورة التحريم.

(٢) الآية: ١٩، من سورة المعارج.

(٣) الآية: ٢، من سورة العصر.

(٤) من الآية: ١٧، من سورة الحاقة.

(٥) من الآية: ٦٧، من سورة غافر.

المصدر: كالزميل، والدبيب والصليل [1]، فيستوي فيه الفرد والمثنى والجمع، أو أن فعيلاً، يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع، بدليل قوله – تعالى – ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [2].

***

يقول الحق – تبارك وتعالى – ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [3].

وعلى هذه الآية: ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: أنه إنما تثبت الخيرية للأزواج الأبدال بهذه الصفات؛ لو لم تكن تلك الصفات ثابتة في نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – وهي ثابتة فيهن.

الثاني: كيف أخليت الصفات كلها من الواو، وأثبتت بين الثيبات والأبكار؟

الثالث: أن هذه الصفات إنما ذكرت في معرض المدح، وأي مدح في كونهن ثيبات؟

---

(١) الزميل من المزاملة على البعير أي: الركوب عليه مجتمعين، والدبيب صوت كل من يدب على الأرض، والصليل: صوت السيوف: لسان العرب (زمل، دبب، صلل).

(٢) الآية: ١٨، من سورة ق، مسائل الرازي ٣٤٩.

(٣) الآية: ٥ من سورة التحريم.

والجواب عن الأول: أن المراد به: خيراً منكن في حفظ قلبه ومتابعة رضاه، مع اتصافهن بتلك الصفات المشتركة بينكن وبينهن.

والجواب عن الثاني: أنه وسط العاطف بينهما لأنهما صفتان متضادتان: لا تجتمعان فيهن اجتماع سائر الصفات لتنافيهما، ولأنهما في حكم صفة واحدة، إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار، فلم يكن بد من الواو، ومن جعلها واو الثمانية فقدمها، لأن واو الثمانية، لا يفسد الكلام بحذفها، بخلاف هذه.

والجواب عن الثالث: أن التثييب: مدح من وجه، فإن الثيب أقبل للميل بالنقل، وأكثر تجربة وعقلاً، والبكارة مدح من وجه، فإنها أطهر وأطيب، وأكثر مراغبة وملاعبة [١].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [٢].

والجواب: أنهما ليسا في معنى واحد، فإن معنى الأولى: أنهم يقبلون أوامره ويلتزمونها ومعنى الثانية: أنهم يؤدون ما يؤمرون به، لا يتثاقلون عنه، ولا يتوانون فيه، فحصلت المغايرة.

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٠، وتفسير البضاوي ٢/ ٤٨٧.

(٢) من الآية: ٦، من سورة التحريم.

وقيل المعنى: لا يعصون الله فيما مضى، ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل.

وقيل المعنى: لا يخالفون فيما أمرهم به ونهاهم عنه ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامره والانتقام من أعدائه.

وقيل: المراد بالأمر الأول: الأمر بالعبادات والطاعات، وبالأمر الثاني: تعذيب أهل النار.

وقيل: الأمر الثاني: تأكيد للأول[1].

* * *

يقول - تبارك وتعالى - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[2].

لِمَ قال ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾، ولم يقل: (توبة نصوحة)؟

والجواب: أن فعولاً من أوزان المبالغة التي يستوي في لفظها الذكور والإناث، كقولهم: امرأة صبور، وشكور، ونحوهما[3].

* * *

(١) مسائل الرازي ٣٥٠، تفسير الخازن ٤/ ٢٨٧، والفتوحات ٤/ ٣٦٨.

(٢) من الآية: ٨، من سورة التحريم.

(٣) مسائل الرازي ٣٥٠.

يقول الحق – جل ذكره – ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ ﴾[1].

ما فائدة قوله: ﴿ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ بعد قوله: ﴿ تَحْتَ عَبْدَيْنِ ﴾؟

والجواب: أن الفائدة هي: مدحهما والثناء عليهما بإضافتهما إليه إضافة التشريف والتخصيص، كما في قوله – تعالى – ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾[2]، وقوله – تعالى – ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴾[3]، وهو: مبالغة في المعنى المقصود، وهو أن الإنسان لا ينفعه إلا صلاح نفسه لا صلاح غيره، وإن كان ذلك الغير في أعلى مراتب الصلاح والقرب من الله – تعالى –[4].

* * *

قال – جل وعلا – في وصف مريم ﴿ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾[5].

لِمَ قال: ﴿ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ والظاهر من القانتات؟

والجواب: أن المعنى: وكانت من القوم القانتين، أي: المطيعين لله – تعالى – يعني: رهطها وأهلها، فكأنه – تعالى – قال: وكانت من بنات

(١) من الآية: ١٠، من سورة التحريم.

(٢) من الآية: ٦٣، من سورة الفرقان.

(٣) الآية: ٢٩ن من سورة الفجر.

(٤) مسائل الرازي ٣٥٠.

(٥) من الآية: ١٢، من سورة التحريم.

الصالحين.

وقيل: إن الله – تعالى – لما تقبلها في النذر وأعطاها مرتبة الذكور الذين كان لا يصلح النذر إلا بهم، عاملها معاملة الذكور في بعض الخطاب إشارة إلى ذلك، وقال – تعالى – ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [1].

وقيل: إنما قال: ﴿مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ دون القانتات: رعاية للفواصل [2].

وقيل: إن التذكير للتغليب، والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عُدَّت من جملتهم [3].

---

(١) من الآية: ٤٣، من سورة آل عمران.

(٢) قد سبق التنبيه على أن رعاية فواصل الآي، لا ينبغي أن تكون هدفاً في كلام الله – سبحانه – فليس هو صنعة يراعى فيها مقومات الجودة والإتقان.

(٣) مسائل الرازي ٣٥١، وتفسير البيضاوي ٢/ ٤٨٨.

سورة الملك

قال الله – تعالى – ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾[١].

لِمَ قدم الموت على الحياة، والظاهر: العكس؟

والجواب: أنه إنما قدم الموت؛ لأنه هو المخلوق أولاً، فقد أراد به خلق الموت في الدنيا، والحياة في الآخرة، ولو سلم أن المراد به، الحياة في الدنيا، فالموت سابق عليها لقوله – تعالى – ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾[٢]، وهذا على أن المراد بالموت: العدم، لا سلب الحياة، ولأن تقديم الموت على الحياة، أدعى إلى حسن العمل.

وقيل: إنما قدم ذكر الموت على الحياة، لأنه إلى القهر أقرب، كما قدم البنات على البنين في قوله – تعالى – ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴾[٣].

وقيل: إنما قدم الموت على الحياة، لأن أصل الأشياء: عدم الحياة،

---

(١) من الآية: ٢، من سورة الملك.

(٢) من الآية: ٢٨، من سورة البقرة.

(٣) من الآية: ٤٩، من سورة الشورى، ووجه الشبه: الدلالة على القوة والقهر والحكمة.

والحياة عارضة لها[1].

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾[2].

كيف نفى – سبحانه – عن خلقه التفاوت مع أن في خلقه تفاوتاً عظيماً؟

والجواب: أن المراد بالتفاوت هنا: الخلل والعيب والنقصان في مخلوقه – تعالى – الذي هو السموات، ويؤيده قوله – تعالى – ﴿ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ أي: من شقوق وصدوع في السماء. والمعنى: لا ترى فيها اختلافاً ولا اضطراباً، ولا تنافراً ولا نقصاً ولا عيباً، ولا خللاً ولا شقوقاً، ولا عوجاً ولا أمتا، بل هي مستوية مستقيمة دالة على خالقها، فقد اتفقت من هذه الحيثية وإن اختلفت صورها وصفاتها.

وقيل: إن نفي التفاوت عام في مخلوقاته – سبحانه – فلا ترى فيها اختلافاً ولا تناقضاً من طريق الحكمة، بل ترى أفعاله كلها سواء في

---

(١) مسائل الرازي ٣٥١، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٦، وفتح القدير ٥/ ٢٥٨.

(٢) الآية: ٣، من سورة الملك.

الحكمة، وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئات [١].

***

قال – تبارك وتعالى – ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ [٢].

لِمَ قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ وهو – سبحانه – منزه عن كل مكان وجهة؟

والجواب: أن المعنى: ءأمنتم عذاب من في السماء، سلطانه وأمره ونهيه وتدبيره، وإنما خصّ السماء؛ لأنها مسكن ملائكته، ومحل عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ، ومنها تنزل أقضيته وكتبه وأوامره ونواهيه.

وقيل: المراد بقوله ﴿ مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ الملك الموكل بعذاب العصاة.

وقيل: إنما خاطبهم بهذا مجاراة لهم على حسب اعتقادهم إذ كانوا يعتقدون التشبيه [٣].

والصحيح أن يقال: أأمنتم العالي على خلقه – بلا تشبيه ولا تجسيم ولا تعطيل ولا تكييف – أن يعذبكم بالخسف وغيره من عذاب الاستئصال؟

---

(١) مسائل الرازي ٣٥١، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٧، فتح القدير ٥/ ٢٥٩، وابن كثير ٧/ ٦٩.

(٢) من الآية: ١٦، من سورة الملك.

(٣) مسائل الرازي ٣٥٢، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١٤، مخطوطة فتح الرحمن – سورة الملك.

سورة القلم

قال الله – تعالى – ﴿ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴾[١].

والمعنى: ولا يقولون إن شاء الله، فكيف سمي الشرط استثناءً؟

والجواب: أنه سماه استثناء لأنه في معناه، فقولك: لأخرجن إن شاء الله، ولا أخرج إلا أن يشاء الله: واحد.

وقيل: إن المراد به حقيقة الاستثناء، أي: أنهم لا يستثنون حق المساكين من ثمرتهم. والجمهور على الأول[٢].

* * *

يقول الله – سبحانه وتعالى – ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾[٣].

كيف سمي الاستثناء تسبيحا؟ لأن المعنى: لو تستثنون؟

والجواب: أنه سماه تسبيحاً لاشتراكهما في معنى التعظيم؛ لأن الاستثناء تفويض إليه، وإقرار بأنه لا يقدر أحد على أن يفعل فعلاً إلا بمشيئته، والتسبيح: تنزيه له عن السوء.

وقيل: إنما كان استثناؤهم قول: سبحان الله.

---

(١) من الآية: ١٨ن من سورة القلم.

(٢) مسائل الرازي ٣٥٢، وتفسير الخازن ٤/ ٢٩٦.

(٣) الآية: ٢٨، من سورة القلم.

وقيل المعنى: لو لا تنزهون أنفسكم وأموالكم عن حق الفقراء!!

وقيل المعنى: هَلاَّ تعظمون الله بعبادته واتباع أمره.

وقيل المعنى: هَلاَّ تذكرون نعم الله عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من أموالكم.

وقيل المعنى: هلا نزهتم الله – تعالى – عن الظلم واعترفتم بأنه لا يظلم، ولا يرضى منكم بالظلم.

وقيل المعنى: لِمَ لا تصلون؟ [1].

***

يقول المولى – جل شأنه – ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [2].

وعلى هاتين الآيتين: ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لِمَ قال: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾، ولا تكليف في الآخرة؟

الثاني: ما كيفية دعائهم إلى السجود في قوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾؟

الثالث: لِمَ قال: ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾، مع أن الصحة ليست شرطاً لوجوب

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٢، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٣٠.

(٢) الآيتان (٤٢، ٤٣) من سورة القلم.

الصلاة؟

والجواب عن الأول: أنهم لا يُدعَون إليه تكليفاً وتعبداً، ولكن توبيخاً وتعنيفاً على تركه في الدنيا.

وقيل: إن شدة الأمر، وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم إلى السجود وإن كانوا لا ينتفعون به، وليس أنهم يؤمرون به، وهكذا كما يفزع الإنسان إلى السجود إذا أصابه هول من أهوال الدنيا.

والجواب عن الثاني: أن المراد بالآية: دعاؤهم إلى الجماعات بآذان المؤذن حين يقول: حيّ على الصلاة، فعبّر عن الصلاة بالسجود؛ لأنه من أركانها، بل هو أعظم الأركان وغايتها، كما عبر عنها بالركوع وبالقرآن.

والجواب عن الثالث: أن الصحة وإن لم تكن شرطاً لوجوب الصلاة، لكنها شرط في وجوب الخروج إلى الصلاة.

وقيل معنى: ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي: يستطيعون الأخذ بما أمروا به، والترك لما نهوا عنه، ولذلك ابتلوا، وقال مجاهد وقتادة: يؤذن المؤذن يوم القيامة، فيسجد المؤمن، وتصلب ظهور المنافقين، فيصير سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة، وفي الخبر: «أنه تصير ظهور المنافقين كالسفافيد» [1].

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٢، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٨/ ٣٣، والسفافيد جمع: السفود، وهي الحديد التي يشوى بها اللحم، لسان العرب (سفد).

سورة الحاقة

قال الله – تعالى – ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[١].

لِمَ قال ﴿ صَرْصَرٍ ﴾، ولم يقل: (صرصرة) كما قال: ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾؟

والجواب: أن الصرصر: وصف مخصوص بالريح لا يوصف به غيرها، فأشبه باب: حائش، وطامث، وحامل، بخلاف عاتية، فإن غير الريح من الأسماء المؤنثة يوصف به[٢].

***

يقول الله – جل وعلا – ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾[٣].

كيف خاطب النبي – صلى الله عليه وسلم- بهذا، وهو ما رآهم ولا يراهم فيها؟

والجواب: أن (فِيهَا) ظرف لقوله – تعالى – (صَرْعَىٰ) لا لقوله: (فَتَرَى)، والرؤية هنا رؤية العلم والاعتبار، فصار المعنى: فتعلمهم صرعى في تلك الليالي والأيام بإعلامنا حتى كأنك تشاهدهم.

---

(١) الآية: ٦، من سورة الحاقة.

(٢) مسائل الرازي ٣٥٣.

(٣) الآية: ٧، من سورة الحاقة.

وقيل: الكلام هنا على سبيل الفرض والتقدير، أي: لو كنت حاضراً هذه الواقعة لأبصرتهم كذلك[1].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[2].

ثم قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[3].

المراد بالنفخ في الصور هنا: النفخة الأولى، وهي نفخة الصعق، بدليل ما ذكر بعدها من فساد العالم العلوى والسفلى، والعرض إنما يكون بعد النفخة الثانية، وبين النفختين من الزمان ما شاء الله – تعالى – فكيف قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾؟

والجواب: أنه وضع اليوم موضع الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وما بعدهما[4].

* * *

(١) مسائل الرازي ٣٥٣، والفتوحات ٤/ ٣٩٤.

(٢) الآية: ١٣، من سورة الحاقة.

(٣) الآية: ١٨، من السورة السابقة.

(٤) مسائل الرازي ٣٥٤.

قال - تبارك وتعالى - ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴾[1].

لِمَ عَبَّر بالظن عن علم المؤمن بالحساب؟

والجواب: أن المراد بالظن هنا: اليقين والعلم، والظن يطلق بمعنى اليقين، كما في قوله - تعالى - ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[2].

قال الضحاك: كل ظن في القرآن من المؤمن فهو يقين، ومن الكافر فهو شك، وقال مجاهد: ظن الآخرة: يقين، وظن الدنيا: شك.

وقيل: لعله عبر عنه بالظن: إشعاراً بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً.

وقيل المعنى: إني ظننت أن يأخذني الله بسيئاتي فقد تفضل عليّ بعفوه ولم يؤاخذني[3].

* * *

(١) الآيتان (١٩، ٢٠) من سورة الحاقة.

(٢) الآية: ٤٦، من سورة البقرة.

(٣) مسائل الرازي ٣٥٤، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ٤٤، فتح القدير ٥/ ٢٨٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٠٠.

يقول الله – تعالى – ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[١].

قد ذكر في هذا الموضع وفي غيره أن الناس قسمان: أصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فكيف قال في سورة الانشقاق ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾[٢]؟

والجواب: أنه لا يمتنع فيمن أوتي كتابه بشماله: أن يكون فيهم من أوتي كتابه بشماله فقط، وفيهم من يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، فلا يعد ذلك مختلفاً، ويحتمل: أن في كل من يؤتى كتابه بشماله أن يؤتى على هذا الوجه، فلا يتنافض ذلك أيضاً[٣].

***

قال – عز من قائل – ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[٤].

لِمَ قال ذلك، والقرآن كلام الله – عز وجل – لا قول جبريل – عليه السلام –؟

والجواب: أن المراد بالرسول هنا: النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) الآية: ٢٥، من سورة الحاقة.

(٢) الآية: ١٠، من سورة الانشقاق.

(٣) تنزيه القرآن ٤٥٥.

(٤) الآية: ٤٠، من سورة الحاقة.

والمعنى: أنه يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله لا من تلقاء نفسه – كما تزعمون – وهذا هو الصحيح، لأنهم لم يصفوا جبريل – عليه السلام – بالشعر والكهانة، وإنما وصفوا بهما محمداً – صلى الله عليه وسلم – .

وأما ما قالوا: إن الرسول هو: جبريل، واستدلوا بقوله – تعالى – ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ (١)، فالمعنى عليه: إنه لرسالة رسول كريم.

وقد صح: إضافة القرآن إلى الله – تعالى – كما قال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ ﴾ (٢)، وقال: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، لأنه هو المتكلم به على الحقيقة، والمظهر له في اللوح المحفوظ، وصح إضافته إلى جبريل – عليه السلام – وإلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – إذ أن كلاً منهما مبلغ عند الله – تعالى – ما أوحي إليه، وفي لفظ رسول ما يدل على ذلك، ولأن ما يسمع منهم كلامهم، والإضافة يكفي فيها أدنى ملابسة (٣).

---

(١) الآيتان (١٩، ٢٠) من سورة التكوير.

(٢) من الآية: ٢٩، من سورة ص.

(٣) مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ٤٩، الفتوحات ٤/ ٤٠٢، الخازن ٤/ ٣٠٦، ومسائل الرازي ٣٥٤.

سورة المعارج

قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾[1].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: لِمَ قال: ﴿ خُلِقَ هَلُوعًا ﴾، والإنسان في حال خلقه ما كان موصوفاً بهذه الصفات؟

الثاني: حاصل هذه الصفات: أن الإنسان نفور من المضار، طالب للراحة، وهذا هو اللائق بالعقل، فلِمْ ذمه الله – تعالى –؟

والجواب عن الأول: أن هلوعاً، وجزوعاً، منصوبة على أنها أحوال مقدرة أو محققة؛ لكونها طبائع جبل الإنسان عليها، والمعنى: مقدراً فيه، الهلع، والجزع، والمنع، كما في قوله – تعالى – ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ﴾[2]، وهم ليسوا محلقين حال الدخول.

والجواب عن الثاني: أنه إنما ذمَّه عليه لقصور نظره على الأمور

---

(١) الآيات من (١٩ – ٢٠) من سورة المعارج.

(٢) من الآية: ٢٧، من سورة الفتح.

العاجلة، والواجب عليه أن يكون شاكراً راضياً في كل حال [١].

* * *

يقول المولى – جل وعلا – ﴿ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾ [٢].

ثم قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴾ [٣].

هل هناك فرق في المعنى بين الآيتين؟

والجواب: أن المراد بالدوام: المواظبة والملازمة أبداً.

وقيل: المراد بالدوام: سكونهم فيها بحيث لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً، واختاره الزجاج وقال: اشتقاقه من الدائم بمعنى: الساكن، كما جاء في الحديث: أنه – صلى الله عليه وسلم –: «نهى عن البول في الماء الراكد»، ولكن قوله (على) ينفي هذا المعنى، فإنه لا يقال: هو على صلاته ساكن، بل يقال: هو في صلاته ساكن. والمراد بالمحافظة عليها: أداؤها على أكمل وجوهها جامعة لجملة سننها وآدابها، فالدوام يرجع إلى نفس الصلاة والمحافظة على أحوالها.

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٥، الفتوحات ٤/ ٤٠٦، وفتح القدير ٥/ ٢٩٢.

(٢) الآية: ٢٣، من سورة المعارج.

(٣) الآية: ٣٤، من السورة السابقة.

وقيل: الآية الأولى في النوافل، والثانية في الفرائض والواجبات.

وقيل: هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة.

وقيل: المراد يحافظون عليها بعد فعلها من أن يفعلوا ما يحبطها ويبطل ثوابها [١].

(١) مسائل الرازي ٣٥٥، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ٥٩، وفتح القدير ٥/ ٢٩٣.

سورة نوح

قال الله – تعالى – ﴿ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

إن كان المراد به: تأخيرهم عن الأجل المقدر لهم في الأزل فهو محال لقوله ﴿ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾[2]، وإن كان المراد به: تأخيرهم إلى مجيء الأجل المقدر لهم في الأزل، فما فائدة تخصيصهم بهذا، وهم وغيرهم في ذلك سواء، على تقدير وجود الإيمان منهم وعدم وجوده؟

والجواب: أن المعنى: ويؤخركم عن العذاب إلى منتهى آجالكم على تقدير الإيمان، فلا يعذبكم في الدنيا – كما عذب غيركم من الأمم الكافرة فيها. أو أنه – سبحانه – قضى أنهم إن آمنوا: عمرهم ألف سنة، وإن لم يؤمنوا أهلكهم بالعذاب لتمام خمسمائة سنة، فقيل لهم: آمنوا يؤخركم إلى هذا الأجل، ثم أخبر – سبحانه – أنه إذا جاء ذلك الأجل لا يؤخر، كما يؤخر هذا الوقت، ولم تكن لديكم حيلة، فبادروا في أوقات الإمهال والتأخير إلى التوبة.

---

(١) من الآية: ٤، من سورة نوح.

(٢) من الآية: ١١، من سورة المنافقون.

وقيل: التأخير بمعنى البركة في أعمارهم إن آمنوا، وعدم البركة فيها إن لم يؤمنوا[١].

ولعل أفضل هذه الأقوال هو: الأول، إذ يرد على القول الثاني: أن الأجل محدود، سواء آمنوا أم لم يؤمنوا، ويرد على القول الثالث: أن البركة في الأعمار إنما يقال بها في الزيادة على الأجل، ولا يتأتى القول بها في الوصول إلى أحد الأجلين.

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٢].

كيف أمرهم بالاستغفار، وهو إنما يصح من المؤمن دون الكافر؟

والجواب: أن المعنى: استغفروا ربكم من الشرك بالتوحيد[٣]، أو أنه إنما طلب منهم الاستغفار، وهو عبادة، والعبادة لا تصح بدون إيمان. فكأنه طلب منهم الإيمان أولاً، ثم الاستغفار؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

***

(١) فتح القدير ٥/ ٢٩٧، أضواء على متشابهات القرآن ٢/ ٢٧٦، ومسائل الرازي ٣٥٥، ٣٥٦.

(٢) الآية: ١٠، من سورة نوح.

(٣) مسائل الرازي ٣٥٦.

يقول المولى – جل وعلا – ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾[1].

والجواب: أن المراد: وجعل القمر بينهن وبين الأرض نوراً، أو لما جمع السماء أجمع بلفظة واحدة، جاز في نور القمر – وهو ينالها – أيضاً – كما ينال الأرض أن يقول ذلك[2].

* * *

قال الله – جل وعلا – ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[3].

كيف يطلق على الحيوان أنه نبات؟

والجواب: أنه استعارة للإنشاء والإخراج من الأرض بواسطة آدم – عليه السلام – .

وقيل المعنى: أنه أنشأ جميع الخلق باغتذاء ما تنبته الأرض ونما فيها.

وقيل المعنى: والله أنبت لكم من الأرض النبات.

وقيل المعنى: أنبتكم من الأرض بالكبر بعد الصغر، وبالطول بعد القصر[4].

---

(١) الآيتان (١٥، ١٦) من سورة نوح.

(٢) تنزيه القرآن ٤٣٧.

(٣) الآية: ١٧، من سورة نوح.

(٤) مسائل الرازي ٣٥٦، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ٧١.

ولعل أشبه هذه الأقوال بالصواب: هو القول الأول، لقول الله – تعالى – ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ (١)، ومن المعروف: أن آدم – عليه السلام – هو الذي خلق من تراب.

***

قال الله – تعالى – ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴾ (٢).

لمِ دعا نوح – عليه السلام – على قومه بهذا مع أنه أرسل ليهديهم ويرشدهم؟

والجواب: أنه إنما دعا عليهم بعد ما أعلمه الله – تعالى – أنهم لا يؤمنون، وهو قوله – تعالى – ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ (٣).

وقيل إنما أراد بالضلال في أمر الدنيا وما يتعلق بها، لا في أمر الآخرة (٤).

ويرجح القول الأول: دعاء نوح – عليه السلام – بقوله ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾.

***

---

(١) من الآية: ٢٠، من سورة الروم.

(٢) من الآية: ٢٤، من سورة نوح.

(٣) من الآية: ٣٦، من سورة هود.

(٤) مسائل الرازي ٣٥٦، والخازن ٤/ ٣١٥.

يقول الحق - تبارك وتعالى - ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾[1].

كيف علم نوح - عليه السلام - أن أولادهم يكفرون، حتى وصفهم بالفجور والكفر في حال ولادتهم - وهم أطفال؟

والجواب: أنه أراد أنهم لا يلدون إلا من يفجر ويكفر إذا بلغ، أو وصفهم بما يؤولون إليه من الفجور والكفر، وإنما علم ذلك بإعلام الله إياه.

وقيل: إنما قال ذلك من منطلق خبرته بهم، ومكثه بين أظهرهم: ألف سنة إلا خمسين عاماً، فعرف طباعهم وأحواله، وكان الرجل منهم ينطلق إليه بإبنه ويقول: إحذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي حذرني منه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك، وتقليد الآباء أمر معلوم من العادة بالضرورة إلا من رحم ربي[2].

(١) الآيتان (٢٦، ٢٧) من سورة نوح.

(٢) مسائل الرازي ٣٥٦، الفتوحات ٤/ ٤١٥، وتفسير ابن كثير ٧/ ١٢٩.

سورة الجن

قال الله – تعالى – ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴾ (١).

المراد بعبد الله: النبي – صلى الله عليه وسلم – فلِمَ لم يقل: رسول الله، أو نبي الله؟

والجواب: أنه – صلى الله عليه وسلم – لم يكن في ذلك المقام مرسلاً إليهم، بل اتفق مرورهم به وجوازهم عليه، فلو قال – تعالى – رسول الله، أو نبي الله، لأوهم ذلك قصد أداء الرسالة إليهم.

وقيل: وهو الظاهر – أنه إنما ذكر لفظ العبد: للتواضع، فإنه واقع موقع كلامه عن نفسه، والإشعار بما هو المقتضى لقيامه (٢).

وفي إضافة لفظ العبد إلى الله مزيد إجلال وتعظيم، إذ فيها إشعار بأن تعظيمه من تعظيم الله، وطاعته من طاعة الله.

* * *

يقول الله – عز وجل – ﴿ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴾ (٣).

---

(١) الآية: ١٩، من سورة الجن.

(٢) مسائل الرازي ٣٥٧، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥١١.

(٣) الآية: ٢٥، من سورة الجن.

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: أن الأمد اسم للغاية، والغاية تكون زماناً قريباً، وزماناً بعيداً، ويؤيده قوله – تعالى – ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [1]، فكيف قال: ما أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً؟

الثاني: أن قوله – صلى الله عليه وسلم – «بعثت أنا والساعة كهاتين» [2]، يدل على علمه بقرب وقوع القيامة، فكيف التوفيق؟

والجواب عن الأول: أنه أراد بالقريب الحال، وبالمجعول له الأمد المؤجل – سواء كان الأجل قريباً أو بعيداً، والمعنى: ما أدري أهو متوقع في كل ساعة فيكون واقعاً الآن؟ أو قريباً من هذا الأوان بحيث يتوقع عن قرب، أم مؤجل ضربت له غاية وأمداً فلا يتوقع دون ذلك الأمد، فهو في كل حال متوقع، فكونوا على غاية الحذر؛ لأنه لا بد من وقوعه، لا كلام فيه، وإنما الكلام في تعيين وقته وليس إليّ [3].

والجواب عن الثاني: أن المراد بقرب وقوعه الذي علمه هو: أن ما بقي من الدنيا أقل مما انقضى، فهذا القدر من القرب معلوم، وأما معرفة القرب على التعيين فغير معلوم [4].

---

(١) من الآية: ٣٠، من سورة آل عمران.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ١٣١، مسلم في الفتن ح١٣٥، المسند ٣/ ١٢٤.

(٣) مسائل الرازي ٣٥٧، والفتوحات ٤/ ٤٢٤.

(٤) الفتوحات الإلهية ٤/ ٤٢٤.

سورة المزمل

قال الله – تعالى – ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١].

وقال – عز وجل – ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ...﴾[٢].

وقال – جل وعلا – ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[٣]، ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[٤].

ففي الآية الأولى: دلالة على وجوب قيام الليل إلا قليلاً منه على النبي – صلى الله عليه وسلم – وحده. وفي الثانية: دلالة على وجوب ذلك على الأمة، فأمر القدوة أمر لأتباعه. وفي الثالثة: دلالة على خلاف ما سبق. فما طريق الجمع بينها؟

والجواب: ظاهر، وهو: أن الأخير ناسخ للأول، ثم نسخ الأخير بعد ذلك بالصلوات الخمس[٥].

* * *

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة المزمل.

(٢) من الآية: ٢٠، من سورة المزمل.

(٣) من الآية: ٢٠، من السورة السابقة.

(٤) من الآية: ٢٠، من السورة السابقة.

(٥) راجع دفع إيهام الاضطراب ٣٠٤.

يقول المولى – سبحانه – ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾[1].

ما معنى وصف القرآن بالثقل؟

والجواب: أن المعنى: أنه كان يثقل نزول الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يعرق عرقاً شديداً في اليوم الشاتي.

وقيل المعنى: أن العمل بما فيه من التكليف ثقيل شاق.

وقيل المعنى: أنه ثقيل في الميزان يوم القيامة.

وقيل المعنى: أنه ثقيل على المنافقين.

وقيل المعنى: أنه كلام له وزن ورجحان، كما يقال للرجل العاقل: رزين راجح.

وقيل المعنى: أنه ليس بسفساف، لأن السفساف من الكلام يكون خفيفاً.

وقيل المعنى: ثقيلاً، لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس راسخة بالتوحيد.

وقيل المعنى: ثقيلاً بمعنى كريم، مأخوذ من قولهم: فلان ثَقُلَ علي، أي: كَرُمَ علي.

---

(١) الآية: ٥، من سورة المزمل.

والأولى: أن جميع هذه المعاني موجودة فيه [1].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ [2].

وقال – سبحانه – ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ [3].

فالآية الأولى: شبهت الجبال بالكثيب المهيل، بينما شبهتها الثانية بالصوف المنفوش، فما وجه الجمع بينهما؟

والجواب: أنه لا تعارض، فالأسلوب: تشبيه بليغ، فالجبال تطحن طحناً شديداً كما في قوله – تعالى – ﴿ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴾ [4]، وهي حينئذ تشبه الرمل المتهايل (الكثيب المهيل)، وتشبه أيضاً: الصوف المنفوش، والحاصل: أنهما تشبيهان: ذكر كل منهما في سورة ليتضح المعنى اتضاحاً كاملاً [5].

* * *

قال – تعالى – ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ [6].

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٧، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ٩٤، والفتوحات ٤/ ٤٢٨.

(٢) من الآية: ١٤، من سورة المزمل.

(٣) الآية: ٥، من سورة القارعة.

(٤) الآية: ٥، من سورة الواقعة.

(٥) راجع دفع إيهام الاضطراب ص ٣٠٤.

(٦) من الآية: ١٨، من سورة المزمل.

كيف قال: ﴿ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾، ولم يقل: منفطرة به، والسماء مؤنثة؟

والجواب: أنه على النسبة، أي: ذات انفطار.

وقيل: المراد بالسماء: السقف، وهو مذكر.

وقيل: المعنى: السماء شيء منفطر به.

وقيل: السماء تذكر وتؤنث[1].

* * *

يقول المولى – تبارك وتعالى – ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾[2].

لِمَ أفرد الضمير في (تُحْصُوهُ)؟

والجواب: أن الضمير عائد إلى مصدر يقدر معناه: لن تحصوا تقديرهما أي: لن تحصوا ولن تعرفوا تحقيق مقادير ساعات الليل والنهار.

وقيل: الضمير راجع إلى الليل؛ لأنه المتحدث عنه من أول السورة.

وقيل: المعنى ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴾ أي: الفرض الذي أوجبه عليكم فالضمير على أي تقدير راجع إلى مفرد[3].

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٨.

(٢) من الآية: ٢٠، من سورة المزمل.

(٣) مسائل الرازي ٣٥٨، الفتوحات الإلهية ٤/ ٤٣٣، وتفسير ابن كثير ٧/ ١٥٠.

سورة المدثر

قال الله – تعالى – ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾[(١)].

ما فائدة قوله: ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ بعد قوله: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾؟

والجواب: أنه لما قال: (على الكافرين فقصر العسر عليهم، قال: ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم، والمعنى: أنه عسير لا يُرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا.

وقيل: إنه لما كان العسر قد يطلق على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات، بين أنه ليس كذلك بقوله: ﴿ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ فجمع بين إثبات الشيء ونفي ضده: تحقيقاً لأمره ودفعاً للمجاز عنه[(٢)].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴾[(٣)].

ما فائدة التكرار ومعناهما واحد؟

---

(١) الآيتان (٩، ١٠) من سورة المدثر.

(٢) مسائل الرازي ٣٥٨، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١٠٧، والفتوحات ٤/ ٤٣٧.

(٣) الآية: ٢٨، من سورة المدثر.

والجواب: أنه لا تكرار؛ لأن المعنى: لا تبقي للكفار لحماً، ولا تذر لهم عظماً.

وقيل المعنى: لا تبقيهم أحياء ولا تذرهم أمواتاً.

وقيل المعنى: لا تبقي لهم لحماً إلا أكلته، ولا تذرهم – إذا أُعيدوا – خلقاً جديداً.

وقيل المعنى: لا تبقي شيئاً إلا أحرقته، ولا تذر أي: لا تبقي عليهم، بل يبلغ مجهودهم في أنواع العذاب [١].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴾ [٢].

المعنى: ليستيقن الذين أوتوا الكتاب أن ما جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – حق، حيث أخبر عن عدد خزنة النار بمثل ما في التوراة، والقرآن، حيث وجدوا ما أخبرهم به مطابقاً لما في كتابهم، فكيف نفى الريب عن الذين أوتوا الكتاب والمؤمنين بعد أن وصفهم بالاستيقان

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١١٢.

(٢) من الآية: ٣١، من سورة المدثر.

وازدياد الإيمان؟ هذا أولاً.

الثاني: أن السورة مكية، ولم يكن بمكة نفاق، فكيف قال: ﴿ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾، والمراد بهم: المنافقون؟

الثالث: كيف صح إطلاق لفظة المثل على حصر عدد الخزنة في تسعة عشر، وليس ذلك بمثل؟

والجواب عن الأول: أنه نفي الريب عن الذين أوتوا الكتاب والمؤمنين، وإن كان الاستيقان يدل على نفي الارتياب، ليجمع لهم بين إثبات اليقين ونفي الشك، وذلك أبلغ وآكد؛ لأن فيه تعريضاً بحال غيرهم، كأنه قال: وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من أهل الكفر والنفاق، والمعنى: ولا يرتاب هؤلاء كما ارتاب أولئك[1].

والجواب عن الثاني: أنه كان في علم الله - تعالى - أن النفاق سيحدث، فأخبر الله عما سيكون، وهو كسائر الإخبار بالغيوب، فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه إخبار عن غيب سيقع، وقد وقع على وفق الخبر.

وقيل: إن المرض في هذه الآية: هو الخلاف ومجرد حصول الشك والريب، وهو كائن في الكفار، فالمراد بالذين في قلوبهم مرض: أهل مكة،

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٨، والخازن ٤/ ٣٣٠.

لأن فيهم من هو شاك، وفيهم من هو قاطع بالكذب[1].

والجواب عن الثالث: أن المراد بالمثل هنا: الحديث المستغرب، أو الخبر المستبعد، أي: أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب، وأي حكمة قصد في جعل الخزنة تسعة عشر لا عشرين واستغربوا ذلك استغراب المثل، فلما استبعدوه، حسبوا أنه مثل مضروب.

وقيل: المثل ها هنا بمعنى الصفة كما في قوله – تعالى – ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2]، والمعنى: ماذا أراد الله بهذا العدد صفة للخزنة[3].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾[4].

كيف طابق قوله: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ وهو سؤال للمجرمين – قوله ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ وهو سؤال عنهم؟ وإنما المطابق: يسألون المجرمين، أو يتساءلون عن المجرمين: ما سلكهم في سقر؟

والجواب: أن قوله: ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ يجوز أن يكون على بابه، أي: يسأل

---

(١) الخازن ٤/ ٣٣٠، وفتح القدير ٥/ ٣٣٠.

(٢) من الآية: ١٥، من سورة محمد.

(٣) فتح القدير ٥/ ٣٣٠، والبيضاوي ٢/ ٥١٩.

(٤) الآيات من (٣٨ – ٤٢)، من سورة المدثر.

بعضهم بعضاً عن أحوال المجرمين، وعليه يكون قوله: ﴿ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ متعلقاً بيتساءلون، ويجوز أن يكون ﴿ يَتَسَآءَلُونَ ﴾ بمعنى: يسألون، أي: يسألون غيرهم، نحو: دعيته، وتداعيته، وعليه تكون (عن) زائدة، أي: يسألون المجرمين، وقوله: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴾ هو على تقدير القول، أي: يتساءلون عن المجرمين يقولون لهم: ما سلككم في سقر، أو يسألونهم قائلين لهم: ما سلككم في سقر [1].

ولعل جعل ﴿يَتَسَآءَلُونَ ﴾ بمعنى: يسألون: أظهر وأوفق لمعنى الآية، فقد أجاب المجرمون بقولهم: ﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ [2]، والغرض من السؤال: التوبيخ والاستهزاء والتهكم.

---

(١) مسائل الرازي ٣٥٩، مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١١٨، وفتح القدير ٥/ ٣٣٢.

(٢) الآيات من (٤٣ – ٤٧) من سورة المدثر.

سورة القيامة

قال الله – تعالى – ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ [1].

المقسم به هو يوم القيامة، والمقسم عليه هو: يوم القيامة، فيصير الأمر: أنه أقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة، وفيه إشكال؟ والمقرر: أن المقسم به هو: من يستحق التعظيم – وهو الله – تعالى – فكيف يجوز أن يقسم بيوم القيامة هنا، والفجر والشمس، والليل والضحى، والتين في مواضع أخرى؟

والجواب: أن القسم بهذه الأشياء: هو قسم بربها في الحقيقة، فكأنه قال: أقسم برب القيامة.

وقيل: لله – تعالى – أن يقسم بما يشاء من خلقه، لا اعتراض لأحد عليه، أما العبيد: فمن كان حالفاً فليحلف بالله، وجواب القسم محذوف تقديره: لتبعثن ثم لتحاسبن، يدل عليه قوله – تعالى – ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾.

---

(١) الآيات من (١ – ٣) من سورة القيامة.

وقيل: جواب القسم قوله – تعالى – ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾[1].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾[2].

لِمَ قال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾؟ وكيف أضاف القرآن إلى جبريل – عليه السلام – بقوله: ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾؟ وهو: كلام الله – عز وجل –؟

والجواب: أن المراد بالقراءة: الجمع والضم، أي: إن علينا جمعه وضمه في صدرك، فلا تعجل بقراءته قبل أن يتم حفظه.

وقيل: إنما أضيفت القراءة إلى الله – تعالى – لأن القرآن يقرأ بأمر من الله – عز وجل – بلسان جبريل – عليه السلام – وذلك كما تضاف الأفعال إلى الملوك والأمراء بمجرد الأمر، ومع أن المباشر لها: أعوانهم أو أتباعهم[3].

والقرآن: تصح إضافته إلى الله – عز وجل – إذ هو كلامه على الحقيقة، وتصح إضافته إلى جبريل – عليه السلام – على اعتبار أنه رسول

---

(١) الآية: ٤، من السورة السابقة: تفسير الخازن ٤/ ٣٣٣ بتصرف.

(٢) الآيات من (١٦ – ١٩) من سورة القيامة.

(٣) مسائل الرازي ٣٦٠.

رب العالمين مبلغ عنه.

***

يقول – تبارك وتعالى – ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾[1].

الذي يوصف بالنظر – الذي هو الإبصار والإدراك – إنما هو العين دون الوجه، فكيف وصف الوجوه بالإبصار؟

والجواب: أن المراد بالوجوه هنا: السعداء وأهل الوجاهة يوم القيامة، وليست الوجوه التي هي الأعضاء.

ولا أرى هذا الجواب: مطابقاً لقوله – تعالى – ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾[2]؛ لأن العبوس والقطوب إنما يوصف به الوجه الذي هو العضو، ومما يؤيد أن المراد بقوله – تعالى – ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ الأعضاء المعروفة: قوله – تعالى – ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾[3].

وقيل: المراد بالوجوه الأعضاء المعروفة، ولما كانت العيون بعض أعضاء الوجوه، أضيف الفعل الذي يقع بالعين إليها، وأضاف النظر إلى

---

(١) الآيات من (٢٢ – ٢٥) من سورة القيامة.

(٢) الآية: ٢٤، من سورة القيامة.

(٣) الآية: ٢٤، من سورة المطففين، مسائل الرازي ٣٦٠.

الوجوه: لأن الغم والسرور إنما يظهران في الوجوه، فبيّن الله – سبحانه – أن المؤمن إذا ورد يوم القيامة تهلّل وجهه. وأن الكافر العاصي، يخاف مغبة أفعاله القبيحة فيكلح وجهه، وقد جاء ذلك في قوله – تعالى – ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ أي: كالحة عابسة متغيرة [١]، وهذا تأويل مناسب.

***

يقول الحق – تبارك وتعالى – ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ [٢].

النطفة هي: المنيّ، فكيف قال: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾؟

والجواب: أن النطفة هنا استعملت بمعنى القطرة؛ لأن النطفة تطلق على الماء القليل والكثير، ومنه الحديث: «حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوازاً» [٣]، أراد بحر المشرق والمغرب [٤].

(١) مجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١٢٩.

(٢) الآية: ٣٧، من سورة القيامة.

(٣) لم أجد له تخريجاً في الكتب المتناولة الآن.

(٤) مسائل الرازي ٣٦٠.

سورة الإنسان

قال الله – تعالى – ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[1].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: أن الأمشاج جمع مشج، والأمشاج: الأخلاط، أي: مختلط من ماء الرجل والمرأة، فكيف وصف المفرد (نطفة) بالجمع (أمشاج)؟

الثاني: أن الابتلاء متأخر عن جعله ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾، فكيف عطف على ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ ما بعده بالفاء؟

والجواب عن الأول: أن الأمشاج: لفظ مفرد لا جمع، كقولهم: برمة أعشار، وبيت أكباش، وبر أهدام[2].

وقيل: وصفت النطفة به لأن المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة، وكل منهما مختلف الأجزاء في الرقة والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو[3].

والجواب عن الثاني: أن في الكلام تقديما وتأخيراً تقديره: فجعلناه

(١) الآية: ٢، من سورة الإنسان.

(٢) برمة أعشار: تكفي عشرة، وبيت أكباش: أي: بيت السيد الشريف، وبر أهدام، أي: بالي متفتت.

(٣) مسائل الرازي ٣٦٠ – ٣٦١.

سميعاً بصيراً لنبتليه [١].

وقيل المعنى: ناقلين له من حال إلى حال، نطفة ثم علقة، ثم مضغة، فسمي ذلك ابتلاء (استعارة).

وقيل: المراد بالسميع: المطيع، كقوله: سمعاً وطاعة، وبالبصير: العالم، يقال: لفلان بصر في هذا الأمر، أي علم [٢].

***

يقول الله - عز وجل - ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ [٣].

الكافور غير لذيذ، وشربه مضر، فما وجه مزج شرابهم به؟

والجواب: أنه أراد بالكافور: بياضه، وطيب ريحه وبرده، والمعنى: كالكافور في طيب ريحه وبياضه.

وقيل: هو اسم عين في الجنة، ويدل على قوله - تعالى - بعد: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ [٤]، وهو كالمفسر للكافور، والمعنى: أن ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى: كافوراً، ولا يكون في ذلك

(١) ولا حاجة إلى دعوى التقديم والتأخير مع صحة المعنى بدونه، فالمعطوف عليه هو إرادة الابتلاء، لا الابتلاء.

(٢) البيضاوي ٢/ ٥٢٤، والفتوحات ٤/ ٤٥٣.

(٣) الآية: ٥، من سورة الإنسان.

(٤) من الآية: ٦، من السورة السابقة.

ضرر؛ لأن أهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون.

وقيل هو: كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة، وليس ككافور الدنيا، ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم حتى تهتدي له القلوب[1].

***

قال – سبحانه وتعالى – ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴾[2].

ما معنى: ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾؟ وكيف تكون القوارير من فضة، وإنما القوارير من الرمل دونها؟

والجواب: أن معنى ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ أي: تكونت، فهي من قوله – تعالى – ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾[3]، وكذا قوله – تعالى – ﴿ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾.

وإنما قال: ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾: لأن الشيء إذا قاربه شيء واشتدت ملابسته له، قيل: إنه من كذا، وإن لم يكن منه في الحقيقة، فمعنى ﴿ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ ﴾ أي: هي في صفاء الفضة ونقائها، أو على حذف مضاف، أي:

---

(١) تفسير الخازن ٤/ ٢٣٩.

(٢) الآيتان (١٥، ١٦) من سورة الإنسان.

(٣) من الآيات (٥٩، ٤٠، ٨٢) من سور آل عمران، والنحل، ويس.

من صفاء الفضة، و﴿ قَوَارِيرَاْ ﴾ الثانية: بدل من الأولى، وليست بتكرار.

وقيل: إن قوارير كل أرض من تربتها، وأرض الجنة: فضة، فلذلك كانت قواريرها مثل الفضة.

وقيل المعنى: إن تلك الأكواب: مخلوقة من فضة، وهي مع بياض الفضة وحسنها، في صفاء القوارير وشفيفها (١)، قال ابن عباس – رضي الله عنهما – «لو ضربت فضة الدنيا حتى جعلتها جناح الذباب: لم ير الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة ويُرى ما فيها من ورائها» (٢).

***

يقول – جل وعلا – ﴿ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ (٣).

أي شرف لتلك الدار بسقي الله – تعالى – عباده الشراب الطهور فيها، مع أنه – تعالى – سقاهم ذلك في الدنيا بدليل قوله – سبحانه – ﴿ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴾ (٤)، وقوله – جل شأنه – ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ (٥).

---

(١) أي: رقتها حتى يُرى ما وراءها، والقوارير: اسم لما يتخذ من الزجاج.

(٢) مسائل الرازي ٣٦١، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١٤٩.

(٣) من الآية: ٢١، من سورة الإنسان.

(٤) من الآية: ٢٦، من سورة المرسلات.

(٥) من الآية: ٢٢، من سورة الحجر.

والجواب: أن المراد في الآخرة: سقيهم بغير واسطة، وشتان ما بين الشرابين والآنيتين – أيضاً – والمنزلتين[١].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾[٢].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: أن الضمير لمشركي مكة، وكلهم آثم، وكلهم كفور، فما معنى تقسيمهم إلى الآثم والكفور؟

الثاني: ما معنى النهي عن طاعة أحدهما: وهلا نهى عن طاعتهما؟

والجواب: عن الأول: أن المراد بالآثم: عتبة بن ربيعة، فإنه كان ركابا للمآثم، متعاطياً لأنواع الفسوق، والمراد بالكفور: الوليد بن المغيرة، فإنه كان مغالياً في الكفر، شديد الشكيمة فيه، مع أن كليهما آثم وكفور. والمراد به: نهيه عن طاعتهم فيما كانوا يدعونه إليه من ترك الدعوة، وموافقتهم فيما كانوا عليه من الكفر والضلال.

وقيل: الآثم هو: الفاجر في أفعاله، أي: المقدم على المعاصي، والكفور هو: الكافر قلبه، أي: الجاحد، فكل كفور آثم، ولا ينعكس؛ لأن

---

(١) مسائل الرازي ٣٦٢.

(٢) من الآية: ٢٤، من سورة الإنسان.

من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان، لأنه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمته عليه، والمعنى: لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك، بل بلغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله، فإن الله يعصمك من الناس.

وعلى هذا، فاللفظ عام في كل عاص فاسق، وكافر منهم، أي: من الناس. أي: لا تطع من يدعوك إلى إثم أو كفر، وهذا أولى لزيادة الفائدة وعدم التكرير [1].

والجواب عن الثاني: أن (أو) هنا: بمعنى الواو، كما في قوله – تعالى – (أو الحوايا) [2]، والألف هنا: آكد من الواو وحدها، لأنك إذا قلت: لا تطع زيداً وعمراً، فأطاع أحدهما: كان غير عاص، لأنه أمره أن لا يطيع الاثنين، فإذا قال: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾: دل ذلك على أن كل واحد منهما أهل أن يعصى، كأنه قال: ولا تطع أحدهما، وعلم النهي عن طاعتهما بالضرورة.

وقيل: أو هنا بمنزلة: لا، كأنه قال: ولا كفوراً.

---

(١) مسائل الرازي ٣٦٢، الخازن ٤/ ٣٤٢، وابن كثير ٧/ ١٨٦، ومجمع البيان: المجلد السادس ٢٩/ ١٥٣.

(٢) مسائل الرازي ٣٦٢، وفتح القدير ٥/ ٣٥٣.

سورة النبأ

قال الله – تعالى – ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾[1].

ما وجه ارتباط قوله – تعالى – ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴾ بما قبله؟

والجواب: أنه لما كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه هو البعث والنشور، وكانوا ينكرونه، قيل لهم: ألم يخلُق مَنْ وعد بالبعث والنشور هذه المخلوقات العظيمة العجيبة الدالة على كمال قدرته على البعث، فنبههم – سبحانه – على وجه الاستدلال على صحة ما سبق، وذلك بتذكيرهم ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته، وكأنه قال: قدرتنا على هذه الأمور المذكورة أعظم من قدرتنا على الإعادة بالبعث.

ولا يقال: لو كان النبأ العظيم الذي يتساءلون عنه هو البعث والنشور، لما قال الله – تعالى – ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾؛ لأن كفار مكة لم يختلفوا في أمر البعث، بل اتفقوا على إنكاره؛ لأنه كان فيهم من يقطع القول بإنكاره، وفيهم من يشك فيه ويتردد، فثبت الاختلاف؛ لأن جهة

---

(١) الآيات من (١ – ٦) من سورة النبأ.

الاختلاف لا تنحصر في الجزم بإثباته والجزم بنفيه.

وقيل: إنه قد ثبت الاختلاف بالنفي والإثبات؛ لأنهم اختلفوا في البعث بين مصدق ومكذب، فمن صدق به: هم المؤمنون، ومن كذب به: هم الكافرون.

ومن فسر النبأ العظيم بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - أو القرآن العظيم، قال: اختلافهم فيه هو قولهم: إنه ساحر، أو سحر، أو شاعر، أو شعر، أو كاهن، أو كهانة، ونحو ذلك مما قالوه في النبي - صلى الله عليه وسلم - والقرآن[1].

* * *

قال - تبارك وتعالى - ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴾[2].

أين الشرط والجزاء؟

والجواب: أن الفاء في قوله: (فَمَن) فصيحة تفصح عن شرط محذوف، ومفعول المشيئة محذوف، وقوله: (إِلَىٰ رَبِّهِۦ) متعلق بـ (مَـَٔابًا) لما

---

(١) مسائل الرازي ٣٦٤، والخازن ٤/ ٣٤٦، مجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٦، فتح القدير ٥/ ٣٦٤، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٣٢.

(٢) الآية: ٣٩، من سورة النبأ.

فيه من معنى الإفضاء والإيصال، ومعنى ﴿إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ أي: إلى ثواب ربه، وكأنه قال: وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة، فمن شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم؛ لعل ذلك بالإيمان والطاعة، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [١]، وقيل: المعنى فمن شاء النجاة من اليوم الموصوف: اتخذ إلى ربه مرجعاً بطاعته [٢].

---

(١) من الآية: ٢٩، من سورة الكهف.

(٢) مسائل الرازي ٣٦٤، والفتوحات الإلهية ٤/ ٤٧٦.

سورة النازعات

قال – جل وعلا – ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴾[1].

لِمَ أضاف الله – تعالى – الأبصار إلى القلوب، والظاهر إضافتها إلى الوجوه؟

والجواب: أن المراد: أبصار أصحابها، بدليل قوله – تعالى – ﴿ يَقُولُونَ ... ﴾ ولكن النظر كما يكون للعين، يكون – أيضاً – للقلب، وكما أن العين تصاب بالعمى، فكذلك القلب، قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾، فلعله أضاف الإبصار إلى القلوب للإيحاء بأن المراد: إبصار القلوب لما خفي عنها فقهه، وإدراكها لما صعب عليها إدراكه.

***

قال الله – تعالى – ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴾[2].

كيف أضاف الله – تعالى – الليل إلى السماء، مع أن الليل إنما يكون

---

(١) الآيات من (٨ – ١٠) من سورة النازعات.

(٢) الآيات من (٢٧ – ٢٩) من سورة النازعات.

في الأرض لا في السماء؟

الجواب: أنه أضاف الليل إلى السماء؛ لأن الليل يكون بغروب الشمس، والشمس مضافة إلى السماء، وهو يحدث بحركة الشمس، ويجري بسببها، فإذا ظهرت فهو نهار، وإذا غابت فهو ليل.

وقيل: إنما أضاف الليل إلى السماء، لأن أول ما يظهر عند غروب الشمس إنما يظهر من أفق السماء من موضع الغروب، فمنها: منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبرها الله – عز وجل –.

وكذا – قوله: ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ أي: أبرز نهارها المضيء بإضاءة الشمس، وعبر عن النهار بالضحى، لأنه أشرف أوقاته وأطيبها، وأضافه إلى السماء، لأنه يظهر بظهور الشمس، وهي منسوبة إلى السماء.

وقيل: المراد بقوله – تعالى – ﴿ وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾: ضوء الشمس، بدليل قوله – تعالى – ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾ أي: وضوئها، فلا إشكال في إضافته إليها.

وقيل: إن إضافة الليل والنهار إلى السماء كإضافة الشمس والقمر والنجوم إلى السماء، لولاها، ولولا حركات الشمس في الأفلاك لم يكن ليل ولا نهار [1]، وهذا القول: أعم وأشمل.

---

(١) تنزيه القرآن ٤٤٨، ومسائل الرازي ٣٦٥، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٣٠، وفتح القدير ٥/ ٣٧٨.

سورة عبس

قال الله – تعالى – ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ (١).

وقال – جل وعلا – ﴿ ... وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ... ﴾ (٢).

في الآية الأولى: لقب عبد الله بن أم مكتوم بالأعمى، وهو لقب تكرهه النفوس، وفي الثانية: نهى عن التنابز بالألقاب المكروهة فكيف عبّر القرآن بما نهى عنه؟

والجواب: أن المقصد من ذلك: بيان عذر ابن أم مكتوم في إقدامه على قطع كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم – مع صناديد الكفار طمعاً في هدايتهم – ولو لم يكن معذوراً ما أقدم على صنيعه هذا، ولما توجه عتاب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – (٣).

* * *

يقول المولى – عز وجل – ﴿ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾ (٤).

كيف أنّث الضمير ثم ذكره؟

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة عبس.

(٢) من الآية: ١١، من سورة الحجرات.

(٣) انظر: دفع إيهام الاضطراب ص ٣١٠.

(٤) الآيتان (١١، ١٢) من سورة عبس.

والجواب: أن الضمير المؤنث لآيات القرآن، أو لهذه السورة، أو للوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم، والضمير المذكر راجع إلى القرآن، أو إلى معنى التذكرة وهو: الوعظ والتذكير لا إلى لفظها، أو إلى الله – تعالى – [1].

***

قال – تبارك وتعالى – ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [2].

روي عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه سئل عن الأبِّ، فقال: «أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله بما لا علم لي به» [3]، وروي عن عمر –رضي الله عنه – أنه قرأ هذه الآية وقال: كل هذا قد عرفنا، فما الأبُّ؟ ثم قال: هذا – لعمر الله – التكلف، وما عليك يا عمر أن لا تدري ما الأبّ، ثم قال: «اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب، وما لا، فدعوه» [4].

فما سبيل التوفيق بين ما روي عن الراشدين، والذي يشبه النهي عن

---

(١) مسائل الرازي ٣٦٦، وتفسير ابن كثير ٧/ ٢١٣.

(٢) الآية: ٣١، من سورة عبس.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢١٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢١٧.

تتبع معاني القرآن ومشكلاته، وبين ما ذكره المفسرون: أن الأَبَّ: كل ما ترعاه البهائم؟

والجواب: أنه ليس المراد: النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته. ولكن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانت أكثر هممهم عاكفة على العمل، وكانوا يعدون الاشتغال بعلم لا يعمل به تكلفاً، فأراد: أن الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكره، وقد علما من فحوى الآية أن الأبّ: بعض ما أنبته الله – تعالى – للإنسان متاعاً له ولأنعامه، فكأنهما قالا: عليك بما هو: الأهم فالأهم، وهو الشكر على ما تبين لك، ولم يشكل مما عدد من نعمه – تعالى – ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأبّ، ومعرفة النبات الخاص، واكتفِ بمعرفته منه جملة إلى أن يتبين لك في وقت آخر.

أي: أن هذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فعمر – رضي الله عنه – هو الذي حث على تتبع معاني القرآن، والبحث عن مشكلاته، فقد روي أنه صعد المنبر وتلا – قول الله – عز وجل – ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [1]، ثم قال: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام الشيخ

---

(١) من الآية: ٤٧، من سورة النحل.

من هذيل فقال: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، فقال عمر - رضي الله عنه - هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال الشيخ: نعم، قال شاعرنا - أبو كبير - يصف ناقته:

تخوف الرحل منها تامكا قـردا ... كما تخوف عـود النبعـة الـسفن [1]

فقال عمر - رضي الله عنه - عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم [2].

---

(١) وقد نسبه صاحب اللسان لابن مقبل وذكر السير بدلاً من: الرحل، يصف ناقته بأن كثرة السير بها، وحمل الأثقال عليها، قد أثر فيها، وتنقص منها، كما يأكل الحديد خشب القسي.

(٢) مسائل الرازي ٣٦٦، وتفسير ابن كثير ٧/ ٢١٧، وتفسير البيضاوي ١/ ٥٥٧.

سورة التكوير

قال الله – تعالى – ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[1].

لِمَ قال: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ والسؤال إنما يحسن للقاتل لا للمقتول؟

والجواب: أن سؤالها لتبكيت قاتلها وتوبيخه بما تقوله من الجواب، فإنها تقول: قتلت بغير ذنب، ونظيره في التبكيت والتوبيخ قوله – تعالى – لعيسى – عليه السلام – ﴿ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ ﴾[2]، حتى قال: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾[3].

وقيل: إن معنى (سئلت) طولب قاتلها بالحجة في قتلها، وسئل عن سبب قتلها، فكأنه قيل: والموءودة يسأل قاتلها بأي ذنب قتلت هذه، ونظيره: قوله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[4]، أي: مسؤولاً عنه، وعلى هذا فيكون القتلة هنا: هم المسؤولين على الحقيقة، لا المقتولة، وإنما المقتولة مسؤول عنها.

---

(١) الآيتان (٧، ٨) من سورة التكوير.

(٢) الآية: ١١٦، من سورة المائدة.

(٣) الآية: ١١٦، من سورة المائدة.

(٤) من الآية: ٣٤، من سورة الإسراء.

وقيل المعنى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ أي: سألت، أي: طالبت بدمها، وخاصمت عن نفسها، وإنما قيل: قتلت على الإخبار عنها، وقد قرئ بها أي: سألت [1].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴾ [2].

كيف أثبت العلم لنفس واحدة، مع أن كل نفس تعلم ما أحضرت يوم القيامة، بدليل قوله – تعالى – ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ [3].

والجواب: أن هذا مما أريد به عكس مدلوله، ومثله كثير في كلام الله – تعالى – وكلام العرب، كقوله – تعالى – ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ [4]، فإن (رُبَّ) هنا بمعنى كم للتكثير، وقوله – تعالى – حكاية عن موسى – عليه السلام – لقومه – ﴿ وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ [5]، والتنكير في (نفس) للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها

---

(١) مسائل الرازي ٣٦٧، مجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٤٩، وتفسير ابن كثير ٧/ ٢٢٥.

(٢) الآية: ١٤، من سورة التكوير.

(٣) من الآية: ٣٠، من سورة آل عمران.

(٤) الآية: ٢، من سورة الحجر.

(٥) من الآية: ٥، من سورة الصف.

من الظهور والوضوح بحيث لا يخفى على أحد، وللإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت، وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي تلك التي علمت ما أحضرت، فكيف وكل نفس تعلمه؟ على طريقة قولك لمن تنصحه: لعلك ستندم على ما فعلت، وربما ندم الإنسان على فعله، فالتنكير في نفس للعموم مثله في تمرة خير من جرادة. وأورد عليه أنها هنا في سياق الإثبات، وهي فيه تكون للإفراد أو النوعية، والمقام إنما يناسبه العموم، لأن العلم بما أحضرتها: حاصل لكل نفس، لقوله – تعالى – ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ ومحصل الجواب: أن ما ذكر أكثري لا كلي، فلا ينافي أن قد يقصد بها العموم بمعونة المقام، وفيه أنها هنا في سياق الشرط، وسياق الشرط كسياق النفي في أن النكرة للعموم إذا وقعت في كل منهما[1].

(١) مسائل الرازي ٣٦٧، الفتوحات ٤/ ٤٩٥، وفتح القدير ٥/ ٣٩٠.

سورة الانفطار

قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ (١).

كيف وصف ذاته العلية بالكرم، والمقام يستدعى وصفها بالقهر أو الانتقام؟

والجواب: أنه ذكر (الكريم) للمبالغة في المنع عن الاغترار، فإن محض الكرم لا يقتضي إهمال الظالم وتسوية الموالي والمعادي، والمطيع والعاصي. فكيف إذا انضم إليه صفة القهر والانتقام؟ والإشعار بما – به – يغره الشيطان، فإنه يقول له: افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب أحداً ولا يعاجل بالعقوبة، والدلالة على كثرة كرمه تستدعي الجد في طاعته، لا الانهماك في عصيانه اغتراراً بكرمه، فإنه أمر منكر خارج عند حد الحكمة، ولهذا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما قرأها: «غره جهله» (٢). وقال عمر – رضي الله عنه – «غره حمقه وجهله» (٣). وقال الحسن: «غره والله شيطانه الخبيث الذي زين له المعاصي، فقال له: افعل

---

(١) الآية: ٦، من سورة الانفطار.

(٢) موقوف علي ابن عمر: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٣٢.

(٣) المرجع السابق ٧/ ٢٣٢.

ما شئت فإن ربك كريم» (١).

وقيل: إنما خصص ذكر صفة الكرم لطفاً بعبده، وتلقيناً له حجته وعذره ليقول: غرني كرم الكريم. ولهذا قال الفضيل – رحمه الله – لو سألني الله – تعالى – هذا السؤال لقلت: غرني ستورك المرخاة. وروي أن علياً – كرم الله وجهه – صاح بغلام له مرات فلم يجبه، فنظر فإذا هو بالباب فقال: مالك لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني عقوبتك، فاستحسن جوابه وأعتقه، ولهذا قالوا: من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (٢).

والتأويل الأول: مؤيد بالنصوص وتستحسنه العقول، وتوجبه المصلحة، قال – تعالى – ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (٣).

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴾ (٤).

---

(١) المرجع السابق ٧/ ٢٣٢.

(٢) مسائل الرازي ٣٦٧، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٢٣٢، والبيضاوي ٢/ ٥٤٤.

(٣) الآيتان (٤٩، ٥٠) من سورة الحجر.

(٤) الآيتان (١٧، ١٨) من سورة الانفطار.

ما فائدة هذا التكرار؟

والجواب: أنه لما ذكر الأبرار وما ينالونه من النعيم، والفجار وما ينزل بهم من العذاب والنقم، جاز أن يقول: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ فيما يظهر فيه للأبرار ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ فيما يحصل فيه للفجار، وذلك يفيد تعظيم شأن ذلك اليوم[1]

* * *

يقول الحق – جل وعلا – ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[2]

كيف نفى أن تملك نفس لنفس شيئاً، مع أن النفس المقبولة الشفاعة تملك لمن شفعت فيه شيئاً وهو الشفاعة؟

والجواب: أن المنفي: ثبوت النصرة بالملك والسلطنة، والشفاعة ليست بطريق الملك والسلطنة، بل هي عن أمر الله – تعالى – وإذنه ورضاه، فلا تدخل في النفي، ويؤيده قوله – تعالى – ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا﴾[3]، وقوله – سبحانه – ﴿وَلَا

---

(١) تنزيه القرآن ٤٥٣.

(٢) الآية: ١٩، من سورة الانفطار.

(٣) الآية: ١٠٩، من سورة طه.

يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴾[١]، وقوله - جل وعلا - ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ﴾[٢].

ولهذا قال - تعالى - هنا: ﴿ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾.

وقيل: المراد بالنفس الثانية: الكافرة.

والأصح: أنه على العموم في النفسين[٣].

(١) من الآية ٢٨، من سورة الأنبياء.

(٢) الآية: ٣٨، من سورة النبأ.

(٣) مسائل الرازي ٣٦٨، وتفسير القرآن الكريم ٧/ ٢٣٥، وزاد المسير ٩/ ٥٠.

سورة المطففين

قال الله – تعالى – ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[1].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: كيف جعل الويل للمطففين، والمطفف قد يطفف اليسير، وذلك من الصغائر؟

الثاني: هَلاَّ قال الله – تعالى –: إذا اكتالوا أو اتزنوا على الناس. كما قال في مقابلة: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾؟

والجواب عن الأول: أن المراد: ويل له بشرط أن لا يكون معه من ثواب طاعته ما هو أعظم، وبشرط أن لا يكون معه توبة، فلا يلزم ما ذكروه[2].

والجواب عن الثاني: أنه لم يذكر اتزنوا؛ لأن المطففين كانت عادتهم أنهم لا يأخذون ما يكال وما يوزن إلا بالمكيال؛ لأن استيفاء الزيادة بالمكيال كان أمكن لهم، وأهون عليهم منه بالميزان، وإذا أعطوا كالوا أو

---

(١) الآيات من (١ – ٣) من سورة المطففين.

(٢) تنزيه القرآن ٤٥٤.

وزنوا لتمكنهم من البخس فيهما.

وقيل: لم يذكر اتزنوا، لأن الكيل والوزن: بهما الشراء والبيع، فذكر أحدهما يدل على الآخر.

وقيل: إن سبب النزول في قوم مخصوصين، وفي فعل مخصوص وهو: الكيل[1].

***

يقول المولى – جل شأنه – ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾[2].

لِمَ فسَّر – سبحانه وتعالى – سجينا بكتاب مرقوم، وكذا فسَّر – تعالى – عليين به، مع أن سجينا اسم للأرض السابعة، وهو فعيل من السجن، وعليين: اسم للجنة، أو لأعلى الأمكنة أو للسماء السابعة، أو لسدرة المنتهى؟

والجواب: أن قوله ﴿ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴾: ليس تفسير السجين والعليين، لأنهما ليسا من الكتاب المرقوم في شيء، وإنما هو تفسير أو وصف معنوي للكتاب المذكور في قوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ ﴾ وقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ على تقدير: وهو كتاب مرقوم، أي: مكتوب قد تبينت حروفه[3].

(١) مسائل الرازي ٣٦٨، الطبرسي: المجلد السادس ٣٠/ ٦٤، والفتوحات ٤/ ٥٠٢.

(٢) الآيتان (٨، ٩) من سورة المطففين.

(٣) مسائل الرازي ٣٦٩، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٦٦.

سورة الانشقاق

قال الله – تعالى – ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ۝٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ۝٥ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴾[1].

أين جواب إذا؟

والجواب: أنه متروك لتكرر مثله في القرآن.

وقيل: إن الجواب (وَأَذِنَتۡ) والواو فيها: زائدة.

وقيل: إنه محذوف تقديره بعد قوله – تعالى – (وَحُقَّتۡ): أي: بعثتم أو جوزيتم أو لا قيتم ما عملتم، ودل على هذا المحذوف قوله – تعالى – (فَمُلَٰقِيهِ).

وقيل: إن فيه تقديماً وتأخيراً تقديره: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت[2].

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ

---

(١) الآيات من (١ – ٦) من سورة الانشقاق.

(٢) مسائل الرازي ٣٦٩.

ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[1].

إذا أوتي الكافر كتابه وراء ظهره، فكيف يؤمر بقراءته لقوله – تعالى – ﴿ اَقْرَأْ كِتَٰبَكَ ﴾[2]؟ ثانيا: هذه الآية الكريمة تدل على أن من لم يعط كتابه بيمينه: أنه يعطاه وراء ظهره، وقد جاءت آية أخرى يفهم منها أنه يؤتاه بشماله، وهي قوله – تعالى – ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ... ﴾[3]، فما التوفيق بينهما؟

والجواب عن الأول: أن الله يطمس وجوه الكفار فيردها على أدبارها يوم المحشر عقوبة لهم، ومعنى الطمس: جعل الوجه إلى الوراء، وحينئذ تتيسر له قراءة كتابه، لأنه يقرأه بلسانه، وينظر إليه بعينه، ويكون وجهه مقلوباً إلى قفاه[4].

والجواب عن الثاني: أنه لا يتعارض بين أخذه بشماله، وإيتائه من وراء ظهره؛ لأن الكافر تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه[5].

---

(١) الآيات من (١٠ – ١٢) من سورة الانشقاق.

(٢) من الآية: ١٤، من سورة الإسراء.

(٣) الآية: ٢٥، من سورة الحاقة.

(٤) أضواء على متشابهات القرآن ٢/ ٣٠٧.

(٥) دفع إيهام الاضطراب ص ٣١٢.

سورة البروج

قال الله – تعالى – ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾[1].

أين جواب القسم؟

والجواب: أنه متروك.

وقيل: إنه قوله – تعالى – ﴿قُتِلَ...﴾[2]. أي: لقد قتل، أي: لُعن.

وقيل: إنه قوله – تعالى – ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[3].

وقيل: إنه محذوف تقديره لتبعثن أو: نحوه.

وقيل: إنه قوله – تعالى – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ ...﴾[4].

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة البروج.

(٢) من الآية: ٤، من سورة البروج.

(٣) الآية: ١٢، من السورة السابقة.

(٤) من الآية: ١٠، من السورة السابقة، مسائل الرازي ٣٦٩.

سورة الطارق

قال الله – تعالى – ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴾ [١].

أين جواب القسم؟

والجواب: أنه قوله – تعالى – ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [٢]، فإن بمعنى: ما، و (لَمَّا) بالتشديد بمعنى: إلا، فيكون المعنى: ما كل نفس إلا عليها حافظ، و(لَمَا) بالتخفيف: ما فيه زائدة، وإن هي المخففة من الثقيلة، فيكون المعنى: إن كل نفس لعليها حافظ، والقسم يتلقى بمعنى (إن) [٣].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [٤].

ما وجه ارتباط قوله – تعالى – ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ بما قبله؟

والجواب: أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظاً، أتبعه بوصية الإنسان بالنظر في أول أمره ونشأته الأولى، ليعلم أن من أنشأه قادر على إعادته ومجازاته، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء، فلا يُملي على حافظه إلا ما يسره في

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة الطارق.

(٢) الآية: ٤، من السورة السابقة.

(٣) مسائل الرازي ٣٧٠.

(٤) الآية: ٥، من سورة الطارق.

عاقبته [١].

***

قال الله – عز وجل – ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [٢].

وهنا يبرز سؤال:

ما فائدة الجمع بين (فمهل وأمهل)، ومعناهما واحد؟

والجواب: أن فائدة الجمع: التأكيد، وإنما خالف بين اللفظين طلباً للخفة.

وقيل: التكرير وتغيير البنية لزيادة التسكن [٣].

(١) مسائل الرازي ٣٧٠.

(٢) الآية: ١٧، من سورة الطارق.

(٣) انظر حاشية الجمل ٤/ ٥٠٠.

سورة الأعلى

قال الله – تعالى – ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[١].

وقال – تباركت أسماؤه – ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴾[٢].

الآية الأولى تشترط في الأمر بالتذكير، مظنة النفع به، والثانية توجبه على الإطلاق، فما سبيل الجمع بينهما؟

ولقد ذكر العلماء في الإجابة عن هذا السؤال وجوها كثيرة، هاك بيانها:

١- أن الآية الأولى فيها مجاز بالحذف، والتقدير: فذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، وذلك لأنه – صلى الله عليه وسلم – بعث مبلغاً للإعذار والإنذار، فعليه التذكير في كل حال، نفع أو لم ينفع، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾[٣]، أي: والبرد، وقد نبه الله – تعالى – على تفصيل الحالتين بقوله: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴾[٤].

---

(١) الآية: ٩، من سورة الأعلى.

(٢) الآية: ٢١، من سورة الغاشية.

(٣) الآية: ٨١، من سورة النحل.

(٤) الآيتان (١٠، ١١) من سورة الأعلى.

٢- أن (إن) بمعنى إذ، أي: إذ نفعت الذكرى، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

٣- أن (إن) بمعنى ما الظرفية، ولكن كون (إن) بمعنى ما الظرفية، ليس بمعروف.

٤- أن (إن) بمعنى قد.

٥- أن هذه الآية نزلت في قوم مخصوصين بأعيانهم.

٦- أن المراد من قوله: ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾: التنبيه على أشرف الحالين، والإرشاد إلى التذكير بالأهم، أي: ذكر بالمهم الذي فيه النفع، والذي من أجله شرعت الذكرى، دون ما لا نفع فيه، والمعلق بإن على الشيء، لا يلزم أن يكون عدماً عند عدم ذلك الشيء.

فيكون المعنى: ذكر الكفار - مثلاً - بالأصول التي هي التوحيد، لا بالفروع؛ لأنها لا تنفع دون الأصول.

وذكر المؤمن التارك لفرض - مثلاً - بذلك الفرض المتروك، لا بالعقائد، ونحو ذلك، لأنه أنفع.

ويدل على أن هذا المراد، آيات منها: هذه الآية.

---

(١) الآية: ٢٧٨، من سورة البقرة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[(١)].

ومنها قوله تعالى: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[(٢)].

فإن القصر جائز عند الخوف وعدمه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾[(٣)]، والمراجعة جائزة بدون هذا الظن.

ولهذا الشرط فوائد منها: ما تقدم، ومنها: البعث على الانتفاع بالذكر، كما يقول الرجل لمن يرشده: قد أوضحت لك، إن كنت تعقل.

وهو تنبيه للنبي – صلى الله عليه وسلم – على أنه: لا تنفعهم الذكرى، لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[(٤)].

أو: أن صيغة الشرط قد وردت لذم الكفار واستبعاد تأثير الذكرى فيهم.

أو: أن اعتبار الشرط خاص بتكرير الدعوة، أما الدعاء الأول فعام.

---

(١) من الآية: ١٧٢، من سورة البقرة.

(٢) من الآية: ١٠١، من سورة النساء.

(٣) من الآية: ٢٣٠، من سورة البقرة.

(٤) من الآية: ٤٥، من سورة ق.

أو: يكون هذا للإشعار بأن التذكير إنما يجب إذا ظن نفعه، ولذلك أمر بالإعراض عمن تولى.

والحاصل: أن الآية الكريمة باقية على ظاهرها، وأنه – صلى الله عليه وسلم – بعد أن يكرر الذكرى تكريراً تقوم به حجة الله على خلقه، مأمور بالتذكير عند ظن الفائدة، وأنه ليس مأموراً بشيء هو عالم أنه لا فائدة فيه؛ لأن العاقل لا يسعى إلى ما لا فائدة فيه.

وهنا يمكن أن يقال: بأي وجه يمكن أن يتيقن عدم إفادة الذكرى حتى يباح تركها؟

والجواب: أنه تارة يعلمه بإعلام الله به، كما وقع في قصة أبي لهب، فقد قال الله تعالى – فيه: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾[1]. فلا يلزم النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد علمه بذلك – أن يذكرهما بشيء، لقوله تعالى – ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾. وتارة يعلم ذلك بقرينة الحال، بحيث يُبَلغ على أكمل وجه، ويأتي بالمعجزات الواضحة، فيعلم أن بعض الأشخاص عالم بصحة نبوته، وأنه مصر على الكفر عناداً ولجاجاً – فمثل هذا: لا يجب تكرير الذكرى له دائماً، بعد أن

(١) الآيتان (٣، ٤) من سورة المسد.

تكرر عليه تكريراً تلزمه به الحجة [١].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [٢].

كيف أخبر بذلك، مع أن الحيوان لا يخلو عن الاتصاف بأحد هذين الوصفين؟

والجواب: أن المعنى: لا يموت موتاً يستريح به، ولا يحيا حياة ينتفع بها، قال ابن جرير – رحمه الله – : تصعد نفسه إلى حلقومه، ثم لا تفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا، فهو بين الحياة والموت [٣].

* * *

قال الله – تعالى – ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴾ [٤].

هذه السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر، فكيف تأويل الآية؟

---

(١) دفع إيهام الاضطراب ص ٣١٤ – ٣١٧، مسائل الرازي ٣٧٠، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٥٤، وفتح القدير ٥/ ٤٢٤، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١٠٨.

(٢) الآية: ١٣، من سورة الأعلى.

(٣) مسائل الرازي ٣٧٠ بتصرف.

(٤) الآيتان (١٤، ١٥) من سورة الأعلى.

والجواب: أن من ذهب إلى أن المراد بالتزكي في الآية: زكاة الفطر، وبالصلاة: صلاة العيد، فتكون مما كان النزول فيه سابقاً على الحكم، فقد كان في علم الله أنه سيكون ذلك فأخبر عنه، كما قال الله – تعالى – ﴿ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ (١)، أي: ستحل، وظهر أثر الحل يوم الفتح، وكذا قوله ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (٢).

ومن ذهب إلى أن المراد بالتزكي: التطهر من الشرك، وكان عمله زاكياً نامياً، فالمراد بالزكاة: زكاة الأعمال لا زكاة الأموال؛ لأن الأكثر أن يقال في الأموال: زَكَّى لا تزكى، والمراد بالذكر والصلاة: ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلى له، أو: ذكر اسم ربه بلسانه فأقام الصلوات الخمس.

وقيل: يحتمل أن تكون نزلت أوائلها بمكة وختمت بالمدينة (٣).

---

(١) الآية: ٢، من سورة البلد.

(٢) الآية: ٤٥، من سورة القمر، وقد نزلت بمكة، ولم يتحقق ذلك إلا بالمدينة يوم بدر، قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–: كنت لا أدري أي جمع سيهزم؟ فلما كان يوم بدر: رأيت النبي – صلى الله عليه وسلم – يثبت في الدرع ويقول «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فعرفت تأويلها يومئذ: ابن كثير ٦/ ٤٧٨.

(٣) الخازن ٤/ ٣٧٠، فتح القدير ٥/ ٤٢٥، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١٠٩.

سورة الغاشية

قال الله – تعالى – ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [(١)].

لِمَ ذكر أن وجوههم تصلى النار، مع أن جميع أبدانهم – أيضاً – تصلى ناراً حامية؟

والجواب: أن الوجه يطلق ويراد به: جميع البدن، كما في قوله – تعالى – ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ﴾ [(٢)]، فالمراد بالوجوه: أربابها، وإنما ذكر الوجوه؛ لأن الذل والخضوع يظهر فيها.

وقيل: إن المراد بالوجوه هنا: الأعيان والرؤساء، كما يقال: هؤلاء وجوه القوم، ويا وجه العرب، أي: ويا وجيههم، ويؤيد هذا القول: ما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال: إن المراد به: الرهبان وأصحاب الصوامع [(٣)].

***

قال الله – عز وجل – ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى

---

(١) الآيات من (٢ – ٥) من سورة الغاشية.

(٢) من الآية: ١١، من سورة طه.

(٣) مسائل الرازي ٣٧١، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١١٤.

ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[1].

وعلى هذه الآيات ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: أي مناسبة بين قوله – تعالى – ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لما قبله؟

الثاني: ما المناسبة بين السماء والإبل والجبال والأرض حتى جمع بينها؟

الثالث: لِمَ لم يذكر الفيل والزرافة وغيرهما مما هو أعظم من الجمل؟

والجواب عن الأول: أنه لما وصف الله – تعالى – الجنة بما وصف، عجب من ذلك الكفار، فذكرهم عجائب صنعه وغريب تركيبه.

وقيل: لما ذكر ارتفاع سرر الجنة قالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت هذه الآية.

والجواب عن الثاني: أنه جمع بينها لأنها هي التي تقع تحت نظرهم في أوديتهم وبواديهم، وانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم وكثرة ملابستهم ومخالفتهم، وذلك أنهم كانوا يسافرون كثيراً في براريهم مستوحشين ومنفردين عن الناس، والإنسان إذا انفرد أقبل على التفكير في

---

(١) الآيات من (١٧ – ٢٠) من سورة الغاشية.

الأشياء؛ لأنه ليس معه من يحادثه، وليس هناك من يشغل به سمعه وبصره، فلا بد من أن يجعل دأبه: التفكير، فإذا تفكر في تلك الحال: فأول ما يقع بصره على البعير الذي هو راكبه، فيرى منظراً عجيباً، وإن نظر إلى فوق، لم ير غير السماء، وإن نظر يميناً وشمالاً لم ير غير الجبال، وإن نظر إلى تحت لم ير غير الأرض.

والجواب عن الثالث: أنه لم يذكر هذه الأشياء وغيرها مما هو أعظم من الجمل؛ لأن العرب لم يروا شيئا من ذلك، ولا كانوا يعرفونه. أما الإبل: فهي أنفس أموالهم وأكثرهم لا تفارقهم ولا يفارقونها، وقد فضلت على سائر الحيوانات بأشياء، وذلك أن جميع الحيوانات إنما تقتنى: إما للزينة، أو للركوب، أو للحمل واللبن، أو لأجل اللحم، ولا توجد جميع هذه الخصال إلا في الإبل: فإنها زينة، وتركب فتقطع عليها المفازات البعيدة، وتحمل الثقيل، وتحلب الكثير، ويؤكل من لحمها: الجم الغفير، وتصبر على العطش عدة أيام، ومنها: أنها يحمل عليها وهي باركة، ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات، ومنها: أنها ترعى كل نبات في البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات، ومنها: أنها خلق عجيب، وتركيب غريب في غاية القوة والشدة، وهي مع ذلك تنقاد للقائد الضعيف[1].

---

(١) مسائل الرازي ٣٧١، والخازن ٤/ ٣٣٧، وابن كثير ٧/ ٢٧٧، والفتوحات الإلهية ٤/ ٥٢٧.

سورة الفجر

قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾[١].

لِمَ نكّر الليالي العشر دون سائر ما أقسم به؟ وهَلاَّ عرفها بلام العهد – وهي ليالي معلومة معهودة – فإنها ليالي عشر ذي الحجة في قول الجمهور؟

والجواب: أنها لما كانت مخصوصة من بين جنس الليالي بفضيلة ليست لغيرها، لم يجمع بينها وبين غيرها بلام الجنس، وإنما لم تعرف بلام العهد، لأن التنكير أدل على التفخيم والتعظيم، بدليل قوله – تعالى – ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ ونظيره قوله – تعالى – ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ فعرفه، ثم قال: ﴿ وَوَالِدٍ ﴾ فنكره[٢].

***

يقول الله – عز وجل – ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴾[٣].

---

(١) الآيات من (١ – ٣) من سورة الفجر.

(٢) مسائل الرازي ٣٧٢.

(٣) الآيتان (١٥، ١٥) من سورة الفجر.

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: كيف ذم الله – تعالى – الإنسان على قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكۡرَمَنِ﴾ مع أنه صادق فيما قال، لأن الله – تعالى – أكرمه بدليل قوله – عز وجل – ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾؟

كيف وأن هنا تحدث بالنعمة وهو مأمور به؟

الثاني: لِمَ قال في الآية الأولى: فأكرمه ولم يقل في الآية الثانية (فأهانه) وكيف سمي كلا من الأمرين ابتلاءً؟

والجواب عن الأول: أن المراد به: أن يقول ذلك مفتخراً على غيره ومتطاولاً به عليه ومعتقداً استحقاق ذلك على ربه، كما في قوله – تعالى – حاكياً عن قارون ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾[1]، ومستدلاً به على علو منزلته في الدار الآخرة، وكل ذلك منهي عنه، وأما إذا قاله على وجه الشكر والتحدث بنعمة الله فليس بمذموم ولا منهي عنه.

والجواب عن الثاني: أنه قال ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ ولم يقل (فأهانه)؛ لأن بسط الرزق إكرام، لأنه إنعام وإفضال من غير سابقة، وقبضه ليس بإهانة، لأن ترك الإنعام والإفضال لا يكون إهانة، بل هو واسطة بين الإكرام والإهانة، فإن المولى قد يكرم عبده وقد يهينه، وقد لا يكرمه ولا

---

(١) من الآية: ٧٨، من سورة القصص.

يهينه، وتضييق الرزق ليس إلا عبارة عن ترك إعطاء القدر الزائد، ألا ترى أنه يحسن أن تقول: زيد أكرمني إذا أهدى لك هدية ولا يحسن أن تقول: أهانني إذا لم يُهد لك؟!

وقد سَمَّى كلاً من بسط الرزق وتقتيره ابتلاءً، لأن كلاً منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له: فقد اختبر حاله: أيشكر أم يكفر؟ وإذا قدر عليه (رزقه) فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ فالحكمة فيهما واحدة"[1].

(١) الفتوحات ٤/ ٥٣٣، ومسائل الرازي ٣٧٣.

سورة البلد

قال الله – تعالى – ﴿ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴾[1].

كيف قال: ﴿ وَمَا وَلَدَ ﴾ والظاهر: ومن ولد؟

والجواب: أنه آثر (ما) على (من) قصداً للتفخيم والتعظيم؛ لأن في (ما) من الإبهام ما ليس في (من)، وكأنه – سبحانه – قال: وأي شيء عجيب غريب ولد، ونظيره: قوله – تعالى – ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾[2].

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾[3].

ما معنى هذه الآية، وقد خلق الإنسان في بطن أمه؟

والجواب: أن المعنى: أنه خلق يكابد السراء والضراء وشدائد الدنيا.

وقيل: المراد: مكابدته في الوضع، فإنه تلحقه الشدة في ذلك[4].

---

(١) الآية: ٣، من سورة البلد.

(٢) من الآية: ٣٦، من سورة آل عمران.

وانظر: مسائل الرازي ٣٧٣، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٥٩.

(٣) الآية: ٤، من سورة البلد.

(٤) تنزيه القرآن ٤٦٣.

سورة الشمس

قال الله – تعالى – ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾[1].

لِمَ نكَّر – سبحانه وتعالى – النفس دون سائر ما أقسم به؟ وأين جواب القسم؟

والجواب: أنه نكّرها للتكثير، ولأنه: لا سبيل إلى لام الجنس؛ لأن نفوس الحيوانات – غير الإنسان – خارجة عن ذلك بدليل قوله – تعالى – ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾[2]، ولا سبيل إلى لام العهد؛ لأن المراد: ليس نفساً واحدة معهودة، بل المراد: النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه، وهي نفس جميع مَنْ خلق من الإنس والجن، وعلى قول مَنْ قال: إن المراد منه: نفس آدم – عليه السلام – فالتنكير: للتفخيم والتعظيم[3].

وأما جواب القسم: فهو قوله – تعالى – ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[4]،

---

(١) الآيات من (١ – ٧) من سورة الشمس.

(٢) الآية: ٨، من السورة السابقة.

(٣) مسائل الرازي ٣٧٤، والخازن ٤/ ٣٨٢، والفتوحات الإلهية ٤/ ٧٤٢.

(٤) الآية: ٩، من سورة الشمس.

وحذفت اللام لطول الكلام.

وقيل: إن قوله ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ ليس من جواب القسم في شيء، بل هو كلام تابع لما قبله على طريق الاستطراد.

وقيل: إن الجواب محذوف تقديره: ليدمدمنّ الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحاً – عليه السلام.

سورة الليل

يقول المولى - عز وجل - ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾[1].

لِمَ قال: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾، مع أن الشقي سوف يصلاها، ولِمَ قال: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ مع أن كل تقي - أيضاً - يجنبها؟

والجواب: أن الأشقى والأتقى، بمعنى الشقي والتقي، والمراد بهما: كل شقي وكل تقي، والعرب: تستعمل (أفعل) في موضع فاعل، ولا تريد به: التفضيل، كما في قوله - تعالى - ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[2].

ولا يتم ما أراده صاحب هذا القول: من شمول الوصفين لعصاة المسلمين حتى لا يقال: إن حصر الصلى، أي: الدخول، وقصره على الأشقى: أي: الكافر، يفهم منه: أن المؤمن لا يدخلها، ولو فعل الكبائر[3].

وذلك: لأن وصف الأشقى بالتكذيب ﴿ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾، أي: الذي كذب بالحق - الذي جاءت به الرسل - وأعرض عن الطاعة والإيمان، لا يكون إلا من الكافر، فلا يتم ما أراده صاحب هذا القول من

(١) الآيات من (١٤ - ١٧) من سورة الليل.

(٢) من الآية: ٢٧، من سورة الروم.

(٣) هذا رأي الخوارج وبعض المرجئة.

شمول الوصفين لعصاة المسلمين.

وأما جواب هذه الشبهة فهو أن معنى ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ أي: لا يصلاها صلياً تامّاً لازماً على جهة الخلود: إلا الأشقى، أي: الكامل في الشقاء - وهو الكافر - وإن صليها غيره من العصاة، فليس صليه كصليه.

ومعنى ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ أي: لا يُجنبها ويبعد عنها تبعيداً كاملاً - بحيث لا يحوم حولها فضلاً عن أن يدخلها - إلا الكامل في التقوى، فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولاً غير لازم، ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيداً غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها، وقوله - تعالى - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [1]، لو كان كل من لم يشرك: لم يعذب، لم يكن في قوله - تعالى - ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ فائدة، إذ مفهوم قوله: ﴿ لِمَن يَشَآءُ ﴾ أن من لم يشأ الله الغفران له، لم يغفر له، بل يصليه ويدخله النار.

والحاصل: أن من تمسك بقوله - تعالى - ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾ زاعماً أن المؤمن العاصي لا يدخلها؛ لأن الأشقى هو: الكافر - الذي كذب وتولى ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين، فيقال له: فما تقول في

(١) من الآيتين (٤٨، ١١٦) من سورة النساء.

قوله: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ فإنه يدل على أنه: لا يجنب النار إلا الكامل في التقوى، فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين، لم يكن ممن يجنب النار، فإن أولت الأتقى بوجه من وجوه التأويل، لزمك مثله في الأشقى.

وقيل: إن هذه نار موصوفة معينة، فهو درك مخصوص ببعض الأشقياء، ولأهل النار منازل: فمنها: أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، والله – سبحانه – كل ما وعد عليه بجنس من العذاب فجدير أن يعذب به، وقوله: ﴿ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴾: لا يدل على أنه – تعالى – لا يُدخل النار إلا الكافر، لأنه نكّر النار المذكورة ولم يُعرّفها، فالمراد: أن ناراً من جملة النيران، لا يصلاها إلا مَنْ هذه حاله، فمن أين عرف أن غير هذه النار لا يصلاها قوم آخرون؟

ورُدّ ذلك بقوله – تعالى – ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾، والأتقى: يجنب عذاب أنواع نار جهنم كلها.

وقيل: إن الأشقى والأتقى على ظاهرهما، والآية واردة للموازنة بين حالتي أعظم المؤمنين، وأعظم المشركين، فبولغ في صفتيهما المتناقضتين، وجعل ذلك مختصاً بالصلي، كأن النار لم تخلق إلا له لوفور نصيبه منها، وجاء قوله – تعالى – ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ على موازنة ذلك ومقابلته، مع أن كل تقي يجنبها [1].

---

(١) مسائل الرازي ٣٧٤، ٣٧٥، فتح القدير ٥/ ٤٥٣، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١٦١.

سورة الضحى

قال الله – عز وجل – ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴾.

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: لِمَ قال ﴿ فَأَغۡنَىٰ ﴾، مع أنه – صلى الله عليه وسلم – لم يكن غنيّاً؟

الثاني: أن الامتنان مذموم في صفة المخلوق، فكيف يحسن من الخالق – تبارك وتعالى –؟

والجواب عن الأول: أن المعنى وجدك فقيراً من الحجج والبراهين فأغناك بها.

وقيل المعنى: فأغنى بما فتح لك من الفتوح، وفيه نظر؛ لأن السورة مكية.

وقيل: إن الفتوح – وإن لم تحصل إلا بعد نزول هذه السورة – لكن لما كان الجهاد معلوم الوقوع، كان كالواقع، لكن يرد عليه: كيف يمن عليه بشيء لم يوجد؟

وقيل المعنى: كنت فقيراً ذا عيال فأغناك الله عمن سواه، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر.

وقيل المراد به: أنه أغناه بمال خديجة عن مال أبي طالب، والمراد به:

الإغناء بتسهيل ما لا بد منه وتيسيره، لا الإغناء بفضول المال الذي لا يجامع صفة الفقر.

وقيل: لم يكن غناه بكثرة المال، ولكن الله أرضاه بما آتاه، ولم يكن ذلك الرضا قبل النبوة، وذلك: حقيقة الغنى، ويؤيده قوله - صلى الله عليه وسلم - «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» (١).

والجواب عن الثاني: أنه إنما يحسن ذلك، لأنه - سبحانه وتعالى - قصد بذلك أن يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه، فظهر الفرق بين امتنان الله - تعالى - الممدوح، وبين امتنان المخلوق المذموم؛ لأن امتنان الله - تعالى - زيادة إنعامه، كأنه قال: مالك تقطع رجاءك عني؟ ألست الذي ربيتك وآويتك وأنت يتيم صغير؟ أتظنني تاركك ومضيعك كبيراً؟ بل لا بد وأن أتم نعمتي عليك، فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق.

أي: أن المنّ إنما يقبح من المنعم إذا أراد به الغض من المنعم عليه والأذى له، فأما من أراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد، فإنه في غاية الحسن. ولأن من كمال الجود وتمام الكرم تعريف المنعم عليه أنه إنما أنعم عليه ليسأل جميع ما يحتاج إليه فيعطى (٢).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣١٦.

(٢) تفسير الخازن ٤/ ٣٨٧، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١٦٩.

سورة الشرح

قال الله – تعالى – ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾[1].

وعلى هذه الآية يرد سؤالان:

الأول: ما وجه ذلك، والسورة مكية وهو – صلى الله عليه وسلم – لم يكن قد تم له ذلك في مكة؟

الثاني: أي فائدة في زيادة (لك) و(عنك)، والكلام تام بدونهما؟

والجواب عن الأول: أنه – سبحانه – لما بشره بأن يعلى دينه على الدين كله، ويظهره على أعدائه، كان بذلك واضعاً عنه ثقل غمه مما كان يلحقه من أذى قومه ومبدلاً عسره يسراً، فإنه يثق بأن وعد الله – حق – ويجوز أيضاً أن يكون اللفظ – وإن كان ماضياً – فالمراد به الاستقبال – كقوله – ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾[3]، ولهذا نظائر كثيرة.

وقيل: إنه – سبحانه – شرح صدره ليلة الإسراء، وهذا وإن كان

---

(١) الآيات من (١ – ٤) من سورة الانشراح.

(٢) من الآية: ٤٤، من سورة الأعراف.

(٣) من الآية: ٧٧، من سورة الزخرف.

واقعاً ليلة الإسراء، ولكن لا منافاة، فإن من جملة شرح صدره الحسى، الشرح المعنوي أيضاً[١].

والجواب عن الثاني: أنه ذكرهما لفائدة الإبهام ثم الإيضاح، وهو نوع من أنواع البلاغة، فلما قال – تعالى – ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فهم أن ثَمَّ مشروحاً له ثم قال: ﴿صَدْرَكَ﴾ فأوضح ما علم مبهماً بلفظ (لك) وكذا الكلام في ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾[٢].

***

قال الله – عز وجل – ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[٣].

كلمة (مع) للمصاحبة والقران، فما معنى اقتران العسر واليسر؟

والجواب: أن الله – تعالى – جعل اليسر الموعود كالمقارن للعسر في سرعة مجيئه، وذلك أن المشركين عيروا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه بالفقر والضائقة التي كانوا فيها، فوعدهم الله – تعالى – يسراً قريباً من زمان عُسرهم، وأراد تأكيد الوعد لتسليتهم وتقوية قلوبهم.

وقيل: إن (مع) بمعنى بعد، وفي التعبير بها إشعار بغاية سرعة مجيء

---

(١) مجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١٧٣، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٣١٨.

(٢) مسائل الرازي ٣٧٦.

(٣) الآيتان (٥، ٦) من سورة الشرح.

اليسر كأنه مقارن[1].

وأما ما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – «لن يغلب عسر يسرين»[2]، فهذا بناء على الظاهر وقوة الرجاء، وأن وعد الله لا يحمل إلا على أحسن ما يحتمله اللفظ وأكمله. وأما حقيقة القول فيه فهو أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تأكيداً للأولى، كما في قوله – تعالى – ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[3]، وما أشبه، وكما في قولك: جاءني رجل جاءني رجل، وأنت تعني واحداً في الجملتين، فعلى هذا يتحد العسر واليسر.

أو: يكون تعريف العسر لأنه حاضر معهود، وتنكير اليسر لأنه غائب مفقود، وللتفخيم والتعظيم.

ويحتمل أن يكون الجملة الثانية وعداً مستأنفاً فيتعدد اليسر حينئذ ويؤيد – أن الجملة الثانية للتأكيد: أنه ليس في مصحف عبد الله بن مسعود إلا مرة واحدة[4].

ويؤيد أن الجملة الثانية وعد مستأنف: الأثر السابق المروي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، وعن ابن مسعود – رضي الله

---

(١) مسائل الرازي ٣٧٦، والفتوحات الإلهية ٤/ ٥٥٦.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الآيات (١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩) من سورة المرسلات.

(٤) مسائل الرازي ٣٧٧.

عنه – نفسه، فقد روي عنه أنه قال «لو كان العسر في حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه، إنه لن يغلب عسر يسرين» (١).

فمن ذهب إلى اتحاذ العسر واليسر قال: إنه نزل ما فيه من التفخيم والتعظيم بالتنكير منزلة التثنية، لأن المعنى: يسر وأي يسر؟!!

ومن ذهب إلى أن الجملة الثانية وعدٌ مستأنف فإنه قال: أحد اليسرين: ما تيسر من الفتوح في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم – والثاني: ما تيسر بعده في زمن الخلفاء.

وقيل: هما يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله – تعالى – ﴿ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ﴾ (٢)، وهما: حسن الظفر وحسن الثواب.

أما ما استدل به القائلون: أن الجملة الثانية تأكيد: بأنه ليس في مصحف – عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – إلا مرة واحدة، فإن صح عنه: فهو معارض بإطباق الصحابة ومن بعدهم على التكرار (٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) من الآية: ٥٢، من سورة التوبة.

(٣) مسائل الرازي ٣٧٧.

سورة التين

قال الله – تعالى – ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١].

وقال – عز وجل – ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾[٢].

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: كيف عمم الإخبار بأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، ونحن نرى التفاوت والتفاضل في خلقه ظاهر جليٌّ؟

الثاني: كيف أخبر بالآية الأولى أن الإنسان في أحسن تقويم، بينما أخبر بالآية الثانية أنه في خسران وضلال؟

والجواب عن الأول: أن التفاوت والتفاضل في الصور والأشكال، أما كونه في أحسن تقويم، فالمراد به: أن بنيته التي خصه الله – تعالى – بها، أحسن من سائر البنى التي خلق الله عليها سائر الحيوانات.

والجواب عن الثاني: أن الآية الأولى في إتقان البدن وأحكامه، والثانية في أنواع النفس وأحوالها[٣].

* * *

---

(١) الآية: ٤، من سورة التين.

(٢) الآية: ٢، من سورة العصر.

(٣) الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٨٣، وتنزيه القرآن ٤٦٩.

قال الله – عز وجل – ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[1].

ما وجه صحة الاستثناء؟

والجواب: أن المراد بالإنسان هنا: الجنس، وبردّه أسفل سافلين: إدخاله النار، وعلى هذا فيكون الاستثناء متصلاً ظاهر الاتصال، ويكون قوله – تعالى – ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ قائماً مقام قوله – تعالى – فلا نردهم أسفل سافلين.

أما على قول من فسر أسفل سافلين بالهرم والخرف وأرذل العمر، وقال: السافلون هم: الضعفاء والزمني والأطفال، والشيخ الهرم: أسفل هؤلاء كلهم، فعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً بمعنى: لكن، ومعنى قوله – تعالى – ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أي: غير مقطوع بالهرم والضعف الحاصل من الكبر، أي: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات في حال شبابهم وقوتهم، فإنه إذا عجزوا عن العمل: كتب لهم ثواب ما كانوا يعملونه من الطاعات والحسنات إلى وقت موتهم، وهذا معنى قول ابن عباس – رضي الله عنهما – من قرأ القرآن لم يُردّ إلى أرذل العمر، وقال

(١) الآيات من (٤ – ٦) من سورة التين.

بعض العلماء: الذين آمنوا وعملوا الصالحات في شبابهم وقوتهم، فإنهم لا يردون إلى الخرف وأرذل العمر، وإن عمروا طويلاً، وتمسك بظاهر قول ابن عباس – رضي الله عنهما – .

والقول الأول وهو: أن المراد بأسفل سافلين: إدخاله النار، أولى؛ لأنه لو كان المراد به: أرذل العمر، لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك؛ لأن الهرم قد يصيب بعضهم[1].

(١) مسائل الرازي ٣٧٧ – ٣٧٨، وتفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٢٤.

سورة العلق

قال الله – تعالى – ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾ (١).

وعلى هاتين الآيتين يرد سؤالان:

الأول: أين مفعول خلق الأول؟

الثاني: لِمَ قال: ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴾، ولم يقل من علقة؟

والجواب عن الأول: أنه ليس له مفعول، بل المراد: الذي حصل منه الخلق، واستأثر به لا خالق سواه، كما قال – تعالى – ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ ﴾ (٢)، وكقولهم: فلان يعطى ويمنع، ويصل ويقطع.

وقيل: إن له مفعولاً مضمراً تقديره: الذي خلق كل شيء، ثم أفرد الإنسان بالذكر: تشريفاً له وتفضيلاً لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع.

وقيل: المفعول: الإنسان مضمراً، ويكون الثاني تفسيراً للأول، والنكتة: ما في الإبهام، ثم التفسير من التفات الذهن وتطلعه إلى معرفة ما أبهم أولاً، ثم فسر ثانياً (٣).

---

(١) الآيتان (١، ٢) من سورة العلق.

(٢) من الآية: ١٤، من سورة الملك.

(٣) مسائل الرازي ٣٧٨، وفتح القدير ٥/ ٤٦٨.

والجواب عن الثاني: أن الإنسان في معنى الجمع، بدليل قوله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[1]، والجمع: إنما خلق من جمع علقة لا من علقة، أو: أراد به جنس بني آدم – عليه السلام – أي: خلقهم من دم جامد بعد النطفة.

وقيل المعنى: خلق آدم من طين يعلق باليد[2].

وهذا: تأويل بعيد، فالأول أولى.

أما قوله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾[3].

فالمراد: خلقنا أباكم من تراب، ثم خلقنا كل واحد من أولاده من نطفة.

وقيل: إنما قال: (من علق) رعاية للفاصلة الأولى وهي: (خلق).

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[4].

---

(١) الآيتان (٢، ٣) من سورة العصر.

(٢) مسائل الرازي ٣٧٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ١٨٥.

(٣) من الآية: ٥، من سورة الحج.

(٤) الآيات من (١٦ – ١٨) من سورة العلق.

وعلى هذه الآيات يرد سؤالان:

الأول: أن الناصية: مقدم الرأس، فكيف أسند الكذب إليها؟

الثاني: كيف توعد الكافر على خطيئته، والمخطئ معذور؟

والجواب عن الأول: أنه أسند الكذب إلى الناصية وأراد صاحبها على عادة العرب في إطلاق الجزء وإرادة الكل، والأمثلة لذلك كثيرة منها قوله – تعالى – ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[1]، يعني: أبا لهب.

والجواب عن الثاني: أن هناك فرقاً بين الخطيئة والخطأ، فالخطيئة: الذنب المتعمد، والخاطئ: فاعل الخطيئة عمداً، وهو مؤاخذ بفعلته، ومنه قوله تعالى ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾[2]، وقوله: ﴿ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[3].

أما المخطئ فهو الذي يصدر منه الفعل بدون قصد، والخطأ: الفعل غير المقصود، وصاحبه معذور[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ ﴾[5].

(١) الآية: ١، من سورة المسد.

(٢) من الآية: ٢٥، من سورة نوح.

(٣) من الآية: ٣١، من سورة الإسراء.

(٤) دفع إيهام الاضطراب ص ٣٣٩ بتصرف.

(٥) من الآية: ٥، من سورة الأحزاب.

سورة القدر

قال الله – تعالى – ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [١].

تنزل الملائكة من كل أمر، لا معنى له، فكيف ذلك؟

والجواب: أن (مِنْ) هنا: بمعنى الباء، أي: تنزل بكل أمرٍ أمر به وقضاه فهي للتعدية، كما في قوله – تعالى – ﴿ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [٢]، وقوله – تعالى – ﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [٣].

وقيل: إنها بمعنى اللام، وتتعلق بتنزل، أي: لكل أمر قضاه الله – تعالى –في تلك السنة من ليلة القدر إلى مثلها تنزل الملائكة به من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، وقيل إلى الأرض.

وقيل: ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ليس متعلقاً بتنزل، وإنما هو متعلق بما بعده، أي: هي سلام من كل أمر مخوف، وهذا لا يتم على ظاهره؛ لأن سلام مصدر لا يتقدم عليه معموله، وإنما المراد: أنه متعلق بمحذوف يدل عليه هذا المصدر.

وتأولها الكلبي على أن جبريل ينزل مع الملائكة، فيسلمون على كل إنسان، فمن على هذا بمعنى: على [٤]، وكونها بمعنى اللام أولى.

---

(١) الآية: ٤، من سورة القدر.

(٢) من الآية: ١١، من سورة الرعد.

(٣) من الآية: ١٥، من سورة غافر.

(٤) مسائل الرازي ٣٧٩، الخازن ٤/ ٣٨٩، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٦٧، وفتح القدير ٥/ ٤٧٢.

سورة البينة

قال الله – تعالى – ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾[1].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: لِمَ قال: (يَتْلُواْ) وظاهره يدل على قراءة المكتوب، وهو – صلى الله عليه وسلم – كان أميّاً؟

الثاني: ما الفرق بين الصحف والكتب حيث جمع بينهما، وجعلت الكتب في الصحف؟

والجواب عن الأول: أن المراد يتلو ما في الصحف عن ظهر قلبه؛ لأنه هو المنقول عنه بالتواتر. فهو وإن كان أمياً، لكن لما تلا ما في الصحف كان كالتالي لها.

وقيل: المراد بالرسول هنا: جبريل – عليه السلام –.

والجواب عن الثاني: أن المراد بالصحف: القراطيس التي يكتب فيها القرآن، وقوله – تعالى – (مُّطَهَّرَةً) أي: من الشرك الباطل، وقوله – تعالى – ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ أي: مكتوبة مستقيمة ناطقة بالعدل والحق،

---

(١) الآيتان (٢، ٣) من سورة البينة.

غير ذات عوج.

وقيل: قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة، من قولهم: قام بالأمر، إذا أجراه على وجهه، والمراد بها: الآيات والأحكام المكتوبة فيها، التي هي مدلول القرآن المكتوب لفظه ونقشه.

وقيل: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي: في هذه الصحف التي هي القرآن: كتب قيمة، أي: أن القرآن يشتمل على معاني الكتب المتقدمة، فتاليها: تالي الكتب القيمة، كما قال: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [1]، فإذا كان مصدقاً لها كان تالياً لها.

وقيل معناه: في القرآن كتب قيمة، بمعنى أنه يشتمل على أنواع من العلوم، كل نوع كتب [2].

ولا مانع من اشتمال القرآن على جميع المعاني السابقة.

* * *

قال الله – عز وجل – ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [3].

---

(١) من الآية: ٤٨، من سورة المائدة.

(٢) مجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٠١، الفتوحات ٤/ ٥٧٠، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٠.

(٣) الآية: ٤، من سورة البينة.

المراد بالبينة: النبي – صلى الله عليه وسلم – أو: القرآن، والمراد بأهل الكتاب: اليهود والنصارى، وهم كانوا متفرقين وما زالوا مختلفين يكفر كل فريق منهم الآخر قبل مجيء البينة وبعدها؟ فكيف نفى عنهم التفرق قبل مجيء البينة؟

والجواب: أن المراد به: تفرقهم عن تصديق النبي – صلى الله عليه وسلم – والإيمان به قبل أن يبعث، فإنهم كانوا مجتمعين على ذلك متفقين عليه بأخبار التوراة والإنجيل، فلما بعث إليهم تفرقوا، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، ويدل عليه قوله – تعالى – ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[1].

وقوله – تعالى – ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقال بعض العلماء: المراد بالبينة ما في التوراة والإنجيل من الإيمان بنبوته – صلى الله عليه وسلم – ويؤيد هذا القول: أن أهل الكتاب أفردوا

---

(١) الآية: ٨٩، من سورة البقرة.

(٢) الآية: ١٠١، من سورة البقرة.

بالذكر في هذا التفرق مع وجود التفرق من المشركين أيضاً بعدما جمعوا مع المشركين في أول السورة، فلا بد أن يكون مجيء البينة أمراً يخصهم، ومجيء النبي – صلى الله عليه وسلم – والقرآن العزيز لا يخصهم"[1].

ولعل الأول أولى، فإن الحجة ما قامت عليهم إلا ببعثته – صلى الله عليه وسلم –. أما إفرادهم بالذكر في هذا التفرق – مع وجود التفرق مع المشركين أيضاً – فإنهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا بعد ما جاءت البشارة به في كتبهم، وعلى ألسنة رسلهم، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكان عليهم أن يكونوا أول مؤمن به، لا أول كافر به فلو آمنوا كلهم لآمن أكثر المشركين. ولكن عدم إيمان جميعهم يوحي بأنهم لا يعلمون عنه شيئاً، فكفروا وصدوا عن سبيل الله.

(١) مسائل الرازي ٣٨٠، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٠٢.

سورة الزلزلة

قال الله – تعالى – ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[١].

ما معنى إضافة الزلزال الذي هو المصدر إلى الأرض؟ وهَلاَّ قال: زلزالاً، كما قال – تعالى – ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[٢]، وما أشبهه؟

والجواب: أن معناه: الزلزال الذي تستوجبه في حكمة الله – تعالى – ومشيئته في ذلك اليوم، وهو: الزلزال الذي ليس بعده زلزال، ونظيره قولك: أكرم التقي إكرامه، وأهن الفاسق إهانته، تريد: ما يستوجبانه من الإكرام والإهانة.

ويجوز أن يكون المراد بالإضافة: الاستغراق، ومعناه: زلزالها كله الذي هو ممكن لها؛ لأنه يعم جميع الأرض بخلاف الزلزال المعهود الذي يختص ببعض الأرض[٣].

والحاصل: أن إضافة الزلزال إما لبيان أنه بلغ الغاية في الكمال والشدة، أو لبيان عمومه وشموله.

* * *

(١) الآية: ١، من سورة الزلزلة.

(٢) الآية: ٢١، من سورة الفجر.

(٣) مسائل الرازي ٣٨٠، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٠٧.

قال الله – عز وجل – ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[1].

عمل الكافر باطل وحسناته محبطة بالكفر، كما قال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾، وقال: ﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وأما ما عمله المسلم من الشر، فقد صرحت الآيات بعدم لزوم مؤاخذته به، لاحتمال المغفرة، أو لوعد الله بها، كقوله: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾، وقوله: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾[2]، إلى غير ذلك من الآيات.

فكيف تثبت هاتان الآيتان رؤية كل عامل جزاء عمله خيراً كان أو شراً؟

والجواب: أن المعنى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من فريق السعداء، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً من فريق الأشقياء؛ لأنه جاء بعد قوله – تعالى – ﴿ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا ﴾[3]، وذكر مقاتل أنها نزلت في رجلين من أهل

---

(١) الآيتان (٧، ٨) من سورة الزلزلة.

(٢) من الآية: ٣١، من سورة النساء.

(٣) من الآية: ٦، من سورة الزلزلة.

المدينة: كان أحدهما يستقل أن يعطى السائل: الكسرة والتمرة، ويقول: إنما نؤجر على ما نعطيه - ونحن نحبه - وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ويقول: إنما أوعد الله النار على الكبائر"[1].

وقيل: المعنى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً - وهو كافر - يَرَ ثوابه في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا ... ﴾ الآية، ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً - وهو مؤمن - ير عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر.

وهذا القول: يساعده ظاهر النظم الجليل، ويؤيده ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: ليس من مؤمن ولا كافر: عمل خيراً كان أو شرّاً إلا أراه الله - تعالى - إياه. فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته تحسراً ويعذب بسيئاته. ويدل على هذا ما أخرجه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب، وابن أبي حاتم وغيرهم عن أنس قال: بينا أبو بكر - رضي الله عنه - يأكل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذ نزلت عليه ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ... ﴾ الآية، فرفع أبو بكر يده وقال: يا رسول الله إني لراءٍ ما عملت

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٥١، ٣٥٢.

من مثقال ذرة من شر، فقال – صلى الله عليه وسلم – «يا أبا بكر: أرأيت ما ترى في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر»(١).

وقيل: الآية على عمومها، والمعنى: أن المؤمن يرى كل ما قدم من خير وشر في كتابه، فيغفر الله الشر، ويثيبه بالخير، والكافر يرى كل ما قدم من شر وخير، فيحبط ما قدم من خير، ويجازيه بما فعل من الشر.

وقيل: لعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب للكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب.

وهذا مردود بقوله – تعالى – ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(٢).

وقيل: الآية مشروطة بعدم الإحباط والمغفرة، فتكون من العام المخصوص، والمعنى: فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره – إن لم يحبطه الكفر بدليل آيات إحباط الكفر عمل الكفار، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره – إن لم يغفره الله له – بدليل آيات احتمال الغفران والوعد به(٣).

والحاصل: أن مِنَ العلماء مَنْ ذهب إلى أن الإنسان مؤمناً كان أو

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٢) الآية: ٢٣، من سورة الفرقان.

(٣) مسائل الرازي ٣٨١، الفتوحات ٤/ ٥٧٤، فتح القدير ٥/ ٤٧٩، البيضاوي ٢/ ٥٧١، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٠٩.

كافراً: يرى جزاء عمله في الدنيا، ومنهم من ذهب إلى أنه يراه في الآخرة.

ويمكن الجمع بأن المؤمن يجازى على ما اقترف من سيئات في الدنيا، ثم يريه الله سيئاته في الآخرة؛ ليمن عليه بغفرانه لها وإكرامه إياه، فيكون في ذلك زيادة فرح وبشر. والكافر: يثاب على ما قدم من حسنات في الدنيا، ثم يريه الله حسناته في الآخرة؛ ليزداد حسرة وندامة عندما يرى أن حسناته صارت هباءً منثوراً وبقيت سيئاته.

سورة العاديات

قال الله – عز وجل – ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾[١].

الله – عز وجل – خبير بهم – وبكل شيء – في كل زمان ومكان، فما وجه تخصيص ذلك اليوم؟

والجواب: أن المعنى: أنه – سبحانه – عالم بجميع ما كانوا يصنعون، ومجازيهم يومئذ على أعمالهم، فالعلم مجاز عن المجازاة، ونظيره قوله – تعالى – ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾[٢]، ومعناه: يجازيهم على ما فيها، لأن علمه شامل لما في قلوب كل العباد، ويقرب منه قوله – تعالى – ﴿ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴾[٣].

ولعل ذلك بحسب اعتقادهم وشأنهم إذ أنهم في ذلك اليوم: يؤمنون بأنه – سبحانه – كان خبيراً بهم، وقبله ما كانوا يؤمنون بذلك، وإلا ما فعلوا ما فعلوا!!!

---

(١) الآية: ١١، من سورة العاديات.

(٢) من الآية: ٦٣، من سورة النساء.

(٣) من الآية: ١٦، من سورة غافر.

سورة القارعة

قال الله – تعالى – ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾[١].

المؤمنون: لا يخلدون في النار، وخفة الموازين بمعنى: رجحان السيئات على الحسنات، وأكثر المؤمنين: سيئاتهم راجحة على حسناتهم، فكيف تكون أمهم هاوية؟

والجواب أن قوله – تعالى – ﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴾ لا يدل على خلوده فيها، فيسكن المؤمن بقدر ما تقتضيه ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة.

وقيل: المراد بخفة الموازين: خلوها من الحسنات بالكلية، وتلك موازين الكفار: لا يقام لهم وزن، قال – عز وجل – ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾[٢].

---

(١) الآيتان (٨، ٩) من سورة القارعة.

(٢) الآية: ١٥٠، من سورة الكهف، ومسائل الرازي ٣٨٢، وفتح الرحمن (مخطوط).

سورة التكاثر

قال الله – تعالى – ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

كيف يحسن هذا التكرار؟

والجواب: أن المراد بهما مختلف، فالمراد بالأول: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما ينزل بكم في الدنيا في حال الحياة والممات، والمراد بالثاني: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ ما يكون لكم في الآخرة من ثواب وعقاب، وهذا بعث من الله – تعالى – على التمسك بطاعته[2].

* * *

يقول المولى – سبحانه – ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾[3].

أين جواب لو؟

والجواب: أنه محذوف تقديره: لو تعلمون الأمر يقيناً لشغلكم عن التكاثر والتفاخر، ثم ابتدأ – تعالى – بوعيد آخر فقال – سبحانه –

(١) الآيتان (٣، ٤) من سورة التكاثر.

(٢) تنزيه القرآن ٤٧٧.

(٣) الآيتان (٥، ٦) من سورة التكاثر.

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾[1].

* * *

قال – تبارك وتعالى – ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[2].

ما النعيم الذي يسأل عنه العبد؟ وكيف يتصور السؤال عن النعيم وهو مباح؟ وقد قال – تعالى – ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾[3]، وقال – سبحانه – ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[4].

والجواب: أن النعيم هو الأمن والصحة، وقيل: الماء البارد، وقيل: خبز البر والماء العذب، وقيل: إنه مأكول ومشروب لذيذان، وقيل: إنه الصحة والفراغ، وقيل: إنه دوام الغداء والعشاء، وقيل: إنه كل لذة من لذات الدنيا، (وهو يشملها جميعاً).

والسؤال: إنما يقع عن الشكر، وهو على قسمين: واجب، ومندوب.

فالمندوب: لا حد له، فكل من تقرب إلى الله – تعالى – بطاعة ليست واجبة من صلاة وصيام وغير ذلك من القربات: كان شاكراً لله – تعالى – بها، فمن زاد، زاد شكره، ومن قصَّر قصَّر شكره.

---

(١) مسائل الرازي ٣٨٢.

(٢) الآية: ٨، من سورة التكاثر.

(٣) الآية: ١٧٢، من سورة البقرة.

(٤) الآية: ٣٢، من سورة الأعراف.

والواجب من الشكر: فعل الواجبات واجتناب المحرمات، والدليل على ذلك قوله - عز وجل - ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [١]، ثم قال: ﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ ﴾ [٢]، فجعل تكاليفهم شكراً، وعاقبهم على ترك الشكر بإرسال السيل، وقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾ [٣]، فذمهم الله على ذلك، والذم على الترك يقتضي وجوب المتروك، وقوله - صلى الله عليه وسلم - لما قام حتى تورمت قدماه، فقيل له: «أتكلف هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً» [٤].

وصيغة فعول موضوعة للزيادة على فاعل، فأحل نفسه فوق مرتبة الشاكر بالقيام، فدلّ على أن ما عدا القيام من الأعمال يقع به الشكر، ويكون العبد شاكراً به.

وقيل: إن السؤال خاص بالكفار.

وقيل: إنه عام في كل إنسان، وفي كل نعيم، فالكافر يسأل توبيخاً، والمؤمن يسأل عن شكرها.

---

(١) من الآية: ٨، من سورة سبأ.

(٢) من الآية: ١٦، من السورة السابقة.

(٣) الآيتان (٢٨، ٢٩) من سورة إبراهيم.

(٤) صحيح البخاري ٦/ ١٦٩، فتح الباري ٨/ ٥٨٤، الترغيب ١/ ٤٢٦ ط، الحلبي.

والصحيح: أن يكون الخطاب مخصوصاً بكل من ألهته دنياه عن دينه، والنعيم: مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة، كقوله - ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ﴾، وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾، وقوله - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى: «ثلاث لا أسال عبدي عن شكرهن، وأسأله عما سوى ذلك: بيت يكنه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللباس»[1].

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٣٦٣ (بالمعنى)، مسائل الرازي ٣٨٢، فوائد في مشكل القرآن ٢٥٩، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٤.

سورة العصر

قال الله – تعالى – ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾[1].

الاستثناء الذي في السورة لا يدل على أن المؤمنين الموصوفين في ربح، مع أن الاستثناء إنما سيق لمدحهم بمضادة حالهم لحال من لم يتناوله الاستثناء؟

والجواب: أن الاستثناء – وإن لم يدل بصريحه على أنهم في أعظم ربح، ولكن اتصافهم بتلك الصفات الأربع الشريفة: يدل على أنهم في أعظم ربح، مع أنا لو قدرنا أنهم ليسوا في ربح، فالمضادة حاصلة أيضاً، لأنهم ليسوا في خسر بمقتضى الاستثناء[2].

(١) سورة العصر بتمامها.

(٢) مسائل الرازي ٣٨٣.

سورة الهمزة

قال الله – تعالى – ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾[١].

ما الفرق بين الهمزة واللمزة حتى جمع بينهما؟

والجواب: أنهما بمعنى واحد لا فرق بينهما، وإنما الثاني: تأكيد للأول.

وقيل: إنهما مختلفان، فالهمزة: المغتاب، واللمزة: العياب.

وقيل: الهمزة: العياب في الوجه، واللمزة في القفا.

وقيل: الهمزة: الطعَّان في الناس، واللمزة: الطعان في أنساب الناس.

وقيل: الهمزة يكون بالعين، واللمزة باللسان، وقيل: عكسه.

وقيل: هم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبرآء العيب.

وحاصل هذه الأقاويل: يرجع إلى أصل واحد، وهو الطعن وإظهار العيب[٢].

---

(١) الآية: ١، من سورة الهمزة.

(٢) مسائل الرازي ٣٨٣، وتفسير الخازن ٤/ ٤٠٦.

سورة الفيل

قال الله – تعالى – ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴾[١].

ما معنى الأبابيل؟ وهل هو واحد أم جمع؟

والجواب: أن الأبابيل هي: الجماعات في تفرقة، أي: حلقة حلقة، جمع: إبالة، وهي: الحزمة الكبيرة، شبهت بها الحزمة من الطير في تضامها.

وقيل: جمع إبيل، وقيل: جمع إبول، مثل: عِجُّول[٢].

وقيل: الأبابيل: الأقاطيع التي يتبع بعضها بعضا، كالإبل المؤبلة.

وقيل: الأبابيل: الأقاطيع الكثيرة، وقيل: المختلفة الألوان.

وقيل: الأبابيل: جمع لا واحد له كعباديد وشماطيط[٣].

---

(١) الآية: ٣، من سورة الفيل.

(٢) لغة في العجل.

(٣) مسائل الرازي ٣٨٣، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٣٨، والبيضاوي ٢/ ٥٧٦، والخازن ٤/ ٤١٠.

سورة قريش

قال الله – تعالى – ﴿ لِإِيلَـٰفِ قُرَيۡشٍ ﴾[١].

بأي شيء تتعلق اللام؟

والجواب: أنها متعلقة بآخر سورة الفيل، أي: فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش، ويؤيد هذا: أنها في مصحف أبي – رضي الله عنه – سورة واحدة بلا فصل، والمعنى: أنه أهلك أصحاب الفيل الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيها بسيرهم ويحترموهم، فينتظم لهم الأمر في رحلتهم ولا يجترئ أحد عليهم.

أو أن المعنى: أهلكهم ليألف قريش رحلة الشتاء والصيف، بهلاك من كان يخيفُهم ويمنعهم.

وقيل: إنها متعلقة بما بعده، وهو قوله – تعالى – ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴾[٢]، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف، والمعنى: أن نعم الله عليهم لا تحصى، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه، فليعبدوه لهذه النعمة الظاهرة.

وقيل: هي لام التعجب ومعناه: اعجبوا لإيلاف قريش، والإيلاف

(١) الآية: ١، من سورة قريش.

(٢) الآيتان (٢، ٣) من السورة السابقة.

هنا: مصدر بمعنى: الإلف، تقول: آلفته إيلافاً بالمد، كما تقول: ألفته إلفاً بالقصر، كلاهما متعد إلى مفعول واحد، فيكون: لإيلاف قريش: لإلف قريش: أي: لحبهم الرحلتين، وعلى هذا يكون المصدر مضافاً إلى الفاعل.

وقيل: آلف بالمد: متعد إلى مفعولين، يقال: ألف زيد المكان، وآلف زيد عمراً المكان، فيكون معنى الآية: لإيلاف الله - تعالى - قريشاً الرحلتين، وعلى هذا الوجه: يكون المصدر مضافاً إلى المفعول.

أما تكرار إضافة المصدر في قوله - تعالى - ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ﴾ [١]، فالثاني بدل من الأول، وقيل: إنه للتأكيد، كما تقول: أعطيتك المال لصيانة وجهك صيانة عن ذل السؤال [٢].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مسائل الرازي ٣٨٣ - ٣٨٤.

سورة الماعون

قال الله – تعالى – ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[١].

لِمَ توعد الله – تعالى – (الساهي عن الصلاة، والحديث ينفي مؤاخذته وهو قوله – صلى الله عليه وسلم – «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان...»[٢].

والجواب: أنه ليس المراد من السهو هنا: ما يتفق فيها بوسوسة الشيطان، أو حديث النفس مما لا صنع للعبد فيه ولا اختيار، وهو المراد في الحديث. وكان النبي – صلى الله عليه وسلم- يقع له السهو في صلاته فضلاً عن غيره، ولهذا قال – تعالى – ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾، ولم يقل: (في صلاتهم)، وعن أنس – رضي الله عنه – أنه قال: «الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم»[٣].

وإنما المراد من السهو إما؛ الترك لها، أو التواني عنها، أو عدم المبالاة بها، أو التكاسل في أدائها، أو قلة الالتفات إليها، أو عدم إتمامها.

---

(١) الآيتان (٤، ٥) من سورة الماعون.

(٢) فتح الباري ٥/ ١٦٠، مسند البيع ٣/ ٩ ط. تصوير مكتبة الثقافة.

(٣) جاء عن عطاء بن دينار: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٨٠.

وعلى هذا فالمراد بالمصلين الذين توعدهم الله – تعالى – إما المنافقون الذين لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها، فإذا كانوا مع المؤمنين صلوها رياءً لا إخلاصاً، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا ولم يندموا على فواتها وهو قوله – تعالى – ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾[1].

وتكون السورة كلها في وصف قوم جمعوا بين هذه الأوصاف المذكورة فيها من التكذيب بالدين، ودَعِّ اليتيم، وعدم الحضّ على طعام المسكين، والسهو عن الصلاة والمراءاة، ومنع الخير.

وإما أن يكون المراد بالمصلين: الذين توعدهم الله – تعالى – المتكاسلين عن أداء الصلاة في وقتها المقدر لها شرعاً، فيخرجونها عن وقتها بالكلية، أو يؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً، أو المفرطون في أركانها وشروطها وخشوعها والتدبر في معانيها.

وإذا كان هذا هو حظ هؤلاء، فكيف بحظ أولئك؟

ويكون اللفظ عامّاً وشاملاً، لكل من قصَّر أو: فرَّط، ولكل من اتصف بشيء من ذلك: قسط من هذه الآية.

وهذا ما أرجحه!!![2].

---

(١) الآية: ٦، من سورة الماعون.

(٢) مسائل الرازي ٣٨٤ – ٣٨٥، مجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٤٨، الفتوحات الإلهية ٤/ ٥٩٢، وزاد المسير ٩/ ٢٤٥.

سورة الكوثر

قال الله – تعالى – ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾[1].

ما الكوثر الذي أعطاه الله إياه؟

والجواب: أن الكوثر اسم نهر في الجنة، وهو: قول أكثر المفسرين. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «الكوثر: نهر وعدنيه ربي في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة»[2]. وعنه – صلى الله عليه وسلم – أيضاً – في الحديث أنه قال: «بينما أنا أسير في الجنة، فإذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر...»[3]. وروى عن صفته أنه أحلى من العسل، وأشد بياضاً من اللبن، وأبرد من الثلج، وألين من الزبد، حافتاه الزبرجد، وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء، لا يظمأ من شرب منه أبداً.

وقيل: الكوثر هو الخير الكثير، فوعل من الكثرة، كقولهم: رجل نوفل، أي: كثير النوافل.

---

(١) الآية: ١، من سورة الكوثر.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٨٤.

(٣) المرجع السابق ٧/ ٣٨٥ – ٣٨٦.

وقد استعملت هذه اللفظة – في لغة العرب – بمعنى الخير الكثير، فقد قيل لأعرابية يرجع ابنها من السفر – كيف آب ابنك؟ فقالت: آب بكوثر.

ولقد أُعطي النبي – صلى الله عليه وسلم – خيراً كثيراً؛ فقد أوتي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

ومنهم مَنْ فَسَّر الخير الكثير: بالنبوة، ومنهم من فسَّرهُ بالعلم والحكمة، ومنهم مَنْ فسَّرهُ بالقرآن.

واللفظ يحتمل الكل، فيجب أن يحمل على جميع ما ذكر من الأقوال. فقد أعطاه الله – تعالى – الخير الكثير في الدنيا، ووعده الخير الكثير في الآخرة. وفي البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في الكوثر: «هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة، من الخير الذي أعطاه الله إياه»[1].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٨٧، مسائل الرازي ٣٨٥، مجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٥٢، فتح الباري ٨/ ٥٩٥ ط. دار إحياء التراث.

سورة الكافرون

قال الله – تعالى – ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[1].

وعلى هذه السورة ترد ثلاثة أسئلة:

الأول: لِمَ قال: ﴿ مَآ أَعْبُدُ ﴾، ولم يقل: من أعبد؟ مع أن القياس هو: الثاني؟

الثاني: إذا كان في الآيات تكراراً، فما فائدته؟ وإذْ لم يكن، فما وجه المغايرة؟

الثالث: هلا قال: (ولا أنتم عابدون ما عبدت)؟، بلفظ الماضي، كما قال: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾؟

والجواب عن الأول: أن (ما) في الأولين بمعنى: الذي، و (ما) في الآخرين مصدريتان، أي: لا أعبد الذي تعبدون، ولا تعبدون الذي أعبد، ولا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي.

وقيل: (ما) في الكل بمعنى الذي، والعائد محذوف.

---

(١) سورة الكافرون بتمامها.

وقيل: (ما) بمعنى (مَنْ) أي: من أعبد.

وقيل: إنما قال (ما) رعاية للمقابلة في قوله – تعالى – ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾[1].

والجواب عن الثاني: أن من قال بأن في الآيات تكراراً قال: إن التأكيد، قد ورد في كلام الله كثيراً، وفي كلام الرسول – صلى الله عليه وسلم –، وهو مذهب العرب في لغتهم، ومن فوائده هنا: أنه قطع أطماع الكفار فيما طلبوه من النبي – صلى الله عليه وسلم – من عبادة آلهتهم. أو أن التكرار ورد جواباً لسؤالهم مناوبة، وكان سؤالهم مكرراً مرة بعد مرة، فإنهم قالوا: يا محمد: تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة، ثم تعبد آلهتنا كذا مدة، ونعبد إلهك كذا مدة، فورد الجواب مكرراً ليطابق السؤال، وهذا توجيه لطيف.

ومن قالوا: بأن لا تكرار، اختلفوا في توجيه الكلام، فمنهم من قال: الجملتان الأوليان لنفي العبادة في الاستقبال، والجملتان الأخريان لنفي العبادة في الحال، وذلك لأن لا النافية لا تدخل في الغالب إلا على المضارع الذي في معنى الاستقبال، كما أن (ما) لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال، ومعنى ﴿ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ﴾ لا أفعل ما تطلبون مني من عبادة

---

(١) مسائل الرازي ٣٨٦، البيضاوي ٢/ ٥٧٩، والخازن ٤/ ٤١٨.

ما تعبدون من الأصنام في المستقبل، ثم عطف عليه ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ نفياً للمستقبل على سبيل المقابلة، والمعنى: ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهي. ثم قال: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ نفياً للحال؛ لأن اسم الفاعل، العامل الحقيقي فيه: دلالته على الحال، والمعنى: ولست - في الحال - بعابد معبودكم، ثم عطف عليه ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ نفياً للحال على سبيل المقابلة، والمعنى: ولا أنتم في الحال - بعابدي معبودي، فانتظم المعنى: أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يعبد ما يعبدون حالاً ولا مستقبلاً، وهم كذلك: إذ حتم الله موافاتهم على الكفر.

ومنهم من قال بعكس هذا، وهو: أن الجملتين الأوليين لنفي العبادة في الحال، والجملتين الأخريين لنفي العبادة في المستقبل، فإذا قلت: أنا ضارب زيداً، وأنا قاتل عمراً، لَمْ يفهم منه الاستقبال، وهذا مثل قوله - (عابد)، والمعنى: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد، ولا أنا عابد في المستقبل ما عبدتم، ولا أنتم عابدون في المستقبل ما أعبد، فقد نفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم عبادة آلهتهم عن نفسه - في الحال وفيما يستقبل، ونفى عنهم عبادة الله - سبحانه - في الحال وفيما يستقبل؛ إذ حتم الله موافاتهم على الكفر.

وقيل: الجملتان الأوليان لنفي العبادة في المستقبل، والجملتان

الأخريان: لنفي العبادة في الماضي، والمعنى: لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم، ولا أنتم فاعلون في المستقبل: ما أطلبه منكم من عبادة إلهي، ثم عطف عليه ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ والمعنى: وما كنت – قط – عابداً – فيما سلف – ما عبدتم، يعني ما عُهد مني – قط – عبادة صنم في الجاهلية، فكيف يرجى مني في الإسلام؟ ومعنى ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ وما عبدتم في وقت (ما) ما أنا على عبادته.

ويرد على هذا القول: أن اسم الفاعل المنون، العامل عمل الفعل، لا يكون إلا بمعنى الحال أو الاستقبال، وعابد هنا عامل في (ما)، وكذلك ﴿ عَـٰبِدُونَ ﴾، وأجيب بأنه على الحكاية، كما قال – تعالى – ﴿ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾[1].

وقيل: إن كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال، ولكنا نخص أحدهما بالحال، والثاني بالاستقبال دفعاً للتكرار.

وقيل: إن كل هذه الأقوال فيها من التكلف والتعسف ما لا يخفى على منصف، فإن جعل قوله: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ للاستقبال، وإن كان صحيحاً على مقتضى اللغة العربية، ولكنه لا يتم جعل قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ للاستقبال، لأن الجملة اسمية: تفيد الدوام

---

(١) من الآية: ١٨، من سورة الكهف.

والثبوت في كل الأوقات، فدخول النفي عليها: يرفع ما دلت عليه من الدوام والثبوت في كل الأوقات، ولو كان حملها على الاستقبال صحيحاً للزم مثله في قوله: ﴿ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴾ وفي قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ فلا يتم ما قيل من: حمل الجملتين الأخريين على الحال، وكما يندفع هذا، يندفع ما قيل من العكس؛ لأن الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل اسمية مصدرة بالضمائر التي هي المبتدأ في كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده، منفية كلها بحرف واحد، وهو: لفظ (لا) في كل واحد منها، فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بأن معانيها في الحال والاستقبال مختلفة.

وأما قول من قال: إن كل واحد يصلح للحال والاستقبال، فهو إقرار منه بالتكرار، لأن حمل هذا على معنى، وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذي لا يدل عليه دليل.

وإذا تقرر لك هذا، فاعلم أن القرآن نزل بلسان العرب، ومن مذاهبهم التي لا تجحد، واستعمالاتهم التي لا تنكر، أنهم إذا أرادوا التأكيد كرروا، كما أن من مذاهبهم أنهم إذا أرادوا الاختصار: أوجزوا. هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب، وهذا مما لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه؛ لأنه إنما يستدل على ما فيه خفاء، ويبرهن على ما هو متنازع فيه.

وأما ما كان من الوضوح والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه

شاك، ولا يرتاب فيه مرتاب، فهو مستغن عن التطويل، غير محتاج إلى تكثير القال والقيل وقد وقع في القرآن من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن، وربما يكثر في بعض السور كما في سورة الرحمن، وسورة المرسلات، وفي أشعار العرب من هذا ما لا يأتي عليه الحصر، وقد ثبت عن الصادق المصدوق - وهو أفصح من نطق بلغة العرب أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاث مرات[1].

والجواب عن الثالث: أنه لم يقل ذلك لأنهم كانوا يعبدون الأصنام قبل بعثه، وهو ما كان يعبد الله - تعالى - قبل بعثه، بل بعد بعثه، ويرد على هذا التقدير: أن أعظم العبادة: التوحيد، وكل الأنبياء كانوا موحدين بعقولهم قبل البعثة[2].

ويمكن أن يقال: إن توحيد الأنبياء بعقولهم قبل البعثة: لا يُعد عبادة، وإنما هو اعتقاد على سبيل الإجمال، يقول الله - تعالى[3]- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ وقال - تعالى - ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾[4].

---

(١) مسائل الرازي ٣٨٦، فتح القدير ٥/ ٥٠٦، والفتوحات ٤/ ٥٩٧.

(٢) مسائل الرازي ٣٨٧.

(٣) الآية: ٥٢، من سورة الشورى.

(٤) الآية: ٧، من سورة الضحى.

سورة النصر

قال الله – تعالى – ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ (١).

أي مناسبة بين الأمر بالاستغفار وبين ما قبله، فإن مجيء الفتح والنصر: يناسبه الشكر والحمد، لا الاستغفار والتوبة؟ ثم ما معنى هذا الاستغفار؟ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

والجواب: أن الاستغفار كما يكون لطف المغفرة حيث وجد الذنب، يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الإصرار، وقد يكون على وجه التسبيح والانقطاع إلى الله – عز وجل – فالاستغفار منه – صلى الله عليه وسلم – ومن سائر الأنبياء – عليهم السلام – إنما هو تعبد تعبدهم الله به، لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم، وإنما تعبدهم الله به ليقتدي بهم غيرهم. إذ لا يأمن كل واحد من نقص يقع في عبادته واجتهاده، ففيه تنبيه على أن الأنبياء مع عصمتهم وشدة اجتهادهم ما كانوا يستغنون عن الاستغفار، فكيف بمن هو دونهم؟

---

(١) سورة النصر بتمامها.

وقيل: أمر نبيه – صلى الله عليه وسلم – بالاستغفار في قوله – تعالى – ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾، أي: اطلب منه المغفرة لذنبك، هضماً لنفسك، واستقصاراً لعملك، واستدراكاً لما فرط منك من ترك ما هو الأولى، وقد كان – صلى الله عليه وسلم – يرى قصوره عن القيام بحق الله، ويكثر من الاستغفار والتضرع، وإن كان الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

وقيل: إن الله – سبحانه – أمره بالاستغفار لأمته لا لذنبه، وهذا ظاهر؛ لأن الله – تعالى – أمره بذلك في قوله – ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[(١)].

وقيل: إنه لما نزلت هذه السورة: علم النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه نعيت إليه نفسه، وأنه قد اقترب أجله. ولهذا سميت سورة التوديع، وقد روي أنه – صلى الله عليه وسلم – عاش بعد نزولها سنتين، فأمر بالتسبيح والاستغفار والتوبة ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح، فكان يكثر من قول: «سبحانك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم»[(٢)].

---

(١) من الآية: ١٩، من سورة محمد.

(٢) تفسير القرآن الكريم ٧/ ٣٩٨، مائل الرازي ٣٨٧، والخازن ٤/ ٤٢٤، وفتح القدير ٥/ ٥١٠، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٦٠.

ولعل أولى التأويلات: هو الأول، وأمره – صلى الله عليه وسلم – بالاستغفار عقب ذلك العمل العظيم – وهو الفتح الأعظم – ودخول الناس في دين الله أفواجاً، إنما هو إرشاد للأمة وتوجيه لها بأن تستغفر الله العظيم عقب ذلك حتى يطهر قلبها مما عساه أن يلصق بها وهو: هاجس نسبة الفعل إليهم، كما قال – تعالى – ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ (١). وأما هو – صلى الله عليه وسلم – فقد كان يستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» (٢).

---

(١) من الآية: ١٧، من سورة الأنفال.

(٢) تفسير القرآن الكريم ٦/ ٣١٧.

سورة المسد

قال الله – تعالى – ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾(١).

لِمَ ذكر الله – تعالى – أبا لهب بكنيته دون اسمه، مع أن ذلك إكرام واحترام، ونوع تعظيم؟

والجواب: أنه لم يُعرف له اسم، ولم يشتهر إلا بكنيته، فذكره بما اشتهر به لزيادة تشهيره بدعوة السوء عليه.

وقيل: إن اسمه: عبد العزى، وهو: كان عبد الله لا عبد العزى، فلو ذكره باسمه لكان خلاف الواقع، إذ في اسمه معنى الشرك.

وقيل: إنه ذكره بكنيته لموافقة حاله لكنيته، فإن مصيره إلى النار ذات اللهب، وإنما كني بذلك، لتلهب وجنتيه وإشراقهما(٢).

وهذه أولى؛ لأن ذكر الإنسان بكنيته ليس فيه إكرام واحترام على الإطلاق.

وقيل: بل اسمه كنيته، فإن صح هذا فلا إشكال(٣).

---

(١) الآية: ١، من سورة المسد.

(٢) مسائل الرازي ٣٨٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٦٩، وزاد المسير ٩/ ٢٥٩.

(٣) مسائل الرازي ٣٨٨، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٦٩، وزاد المسير ٩/ ٢٥٩.

سورة الإخلاص

قال الله – تعالى – ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [1].

وعلى هذه السورة يرد سؤالان:

الأول: لِمَ جاء هنا (أَحَدٌ) في الإثبات؟ والمشهور – في كلام العرب – أن الأحد يستعمل بعد النفي، والواحد يستعمل بعد الإثبات، يقال: في الدار واحد، وما في الدار أحد، وجاءني واحد، وما جاءني أحد، ومنه قوله – تعالى – ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [2]، وقوله – تعالى – ﴿ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [3]، وقوله – عز وجل – ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ [4]، وقوله – سبحانه – ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [5]، وقوله – جل وعلا – ﴿ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ ﴾ [6]، وقوله – جل وعلا – ﴿ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ [7].

---

(١) سورة الإخلاص بتمامها.

(٢) من الآية: ١٦٣، من سورة البقرة.

(٣) من الآية: ٤، من سورة الزمر.

(٤) من الآية: ٨٤، من سورة البقرة.

(٥) من الآية: ١٣٦، من سورة البقرة.

(٦) من الآية: ٣٢، من سورة الأحزاب.

(٧) من الآية: ٤٧، من سورة الحاقة.

الثاني: في الحديث: أن هذه السورة تعدل ثلث القرآن، وفي رواية: نصفه [1]، وفي الحديث - أيضاً - أنه يكتب لقارئ القرآن بكل حرف عشر حسنات [2]، وثواب قراءة القرآن بتمامه تكون أضعافاً مضاعفة بالنسبة لثواب هذه السورة، فما التوفيق بينهما؟

والجواب عن الأول: أنه لا فرق بين الواحد والأحد في المعنى، ويؤيده قوله - تعالى - ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ وقولهم: أحد وعشرون، وما أشبهه، وإذا كانا بمعنى واحد لا يختص أحدهما بمكان دون مكان، وإن غلب استعمال أحدهما في النفي والآخر في الإثبات، ويجوز أن يكون العدول عن الغالب هنا رعاية لمقابلة: الصمد.

وقيل: إن بينهما فرقاً، فالواحد يدخل في الحساب، ويضم إليه آخر، أما الأحد: فهو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم في ذاته، ولا في معنى صفاته. ويجوز أن يجعل للواحد ثانياً، ولا يجوز أن يجعل للأحد ثانياً، لأن الأحد يستوعب جنسه بخلاف الواحد، ألا ترى أنك لو قلت: فلان لا يقاومه واحد، جاز أن يقاومه اثنان، ولما قلت: لا يقاومه أحد، لم يجز أن يقاومه اثنان ولا أكثر، فهو أبلغ.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٠٥.

(٢) سنن الترمذي ح ٢٩١٠، كنز العمال ح ٢٣٢٢.

وقيل: الواحد هو: المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد، والأحد هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيه أحد، وهذا تأويل حسن.

وقيل: لا يوصف أحد بالأحدية غير الله – تعالى – فلا يقال: رجل أحد، ودرهم أحد، بل (أحد) صفة من صفات الله – تعالى – استأثر بها فلا يشاركه فيها غيره، والفرق بين الواحد والأحد: أن الواحد يدخل في الأحد، ولا ينعكس.

والجواب: عن الثاني: أن المقصود الأشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة الله – عز وجل – وتعالى شأنه وثناؤه – ومعرفة صفاته، ومعرفة أفعاله، وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله – تعالى – فلهذا كانت السورة معادلة لثلث القرآن.

وقيل معناه: أن القرآن على ثلاثة أنحاء: قصص وأحكام وصفات الله – تعالى – و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ متضمنة للصفات، فهي ثلث القرآن، وجزء من ثلاثة أجزاء، أما من ناحية الثواب المترتب على قدر المشقة، إذ المشقة في قراءة ثلث القرآن أو نصفه أكثر من المشقة في قراءة هذه السورة، فإن قراءة الثلث أو النصف بعشر، وثواب قراءتها بقدر ثواب مرة من تلك العشرة؛ لأن التشبيه في الأصل دون الزوائد، والتسع منها في مقابلة زيادة المشقة، فثوابها كثواب الثلث، أو النصف في أصل

القراءة، وإن كان الثلث أو النصف يزيد بتسعة أعشار في مقابلة المشقة التي يزيد بها عليها.

وعبّر بعضهم عن هذا المعنى بأن قال: (إنها تعدل ثلث القرآن) أو نصفه غير مضاعف، يعني: أنها بتضعيفها تعدل ثواب الثلث أو النصف غير مضاعف، وإن كان يزيد عليها بالمضاعفة فتأمل.

وقيل: إن للقارئ ثوابين بحسب قراءة الحروف والعمل، وآخر إجمالياً بسبب ختمه القراءة، فثواب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعدل ثلث أو نصف ثواب الختم الإجمالي لا غيره، ونظيره: إذا عَيَّن أحد لمن بنى له داراً في كل يوم دنانير، وعَيَّن له إذا أتمه جائزة أخرى[1].

وهذا تأويل حسن.

(١) مسائل الرازي ٣٨٨، الخازن ٤/ ٤٢٦، الفتوحات ٤/ ٦٠٤، ومجمع البيان: المجلد السادس ٣٠/ ٢٧٩.

سورة الفلق

قال الله – تعالى – ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾[1].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: أن قوله – تعالى – ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ يتناول بعمومه كل ما بعده، فما الفائدة من الإعادة؟

الثاني: لِمَ عَرَّف – سبحانه – ﴿ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾ دون ما قبلها وما بعدها؟

والجواب عن الأول: أنه خصَّ شر هذه الأشياء الثلاثة بالذكر، وهي: الغاسق والنفاثات والحاسد، مع اندراجها تحت العموم لخفاء شرها وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يشعر به، ولهذا قيل: شر الأعداء: المداجي، وهو الذي يكيد الإنسان من حيث لا يعلم، وقيل: الليل أخفى للويل. ولأنها الأسباب القريبة المضرة، ولعظيم شرها، ومزيد ضرّها، وصعوبة التحرز من شرورها، فكأن هؤلاء لما فيهم حقيقون بإفراد

---

(١) سورة الفلق بتمامها.

وتخصيص كل واحد منهم بالذكر [١].

والجواب عن الثاني: أنه – سبحانه – عرَّف ﴿ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ﴾؛ لأن كل نفاثة لها شر، وليس كل غاسق – وهو: الليل – له شر، وكذا ليس كل حاسد له شر، بل رب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات – المسمى: بالغبطة، أي: الإعجاب به والتمني لمثله – ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم – «لا حسد إلا في اثنتين...» [٢].

(١) مسائل الرازي ٣٨٩، فتح القدير ٥/ ٥٢٠، وتفسير البيضاوي ٢/ ٥٧٣.

(٢) صحيح البخاري ٩/ ١٨٩، سنن الترمذي ح ١٩٣٦، سنن البيهقي ح ٤٢٠٩.

سورة الناس

قال الله – تعالى – ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾[1].

وهنا يبرز سؤالان:

الأول: لِمَ خصّ الناس بالذكر في قوله – تعالى – ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ وهو رب كل شيء؟ ومالكه وإلهه؟

الثاني: هل قوله – تعالى – ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾، بيان للذي يوسوس على أن الشيطان الموسوس ضربان: جني وإنسي، كما قال – تعالى – ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾[2]، أو بيان للناس الذين أضيفت الوسوسة إلى صدورهم، والناس المذكور آخر بمعنى الإنس؟

والجواب عن الأول: أنه إنما خصهم بالذكر تشريفاً لهم وتفضيلاً على غيرهم، لأنهم أهل العقل والتمييز، أو أنه لما أمر بالاستعاذة من شرهم، ذكر مع ذلك أنه ربهم؛ ليعلم أنه هو الذي يعيذ من شرهم، أو أن

---

(١) سورة الناس بتمامها.

(٢) من الآية: ١١٢، من سورة الأنعام.

الاستعاذة وقعت من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي هو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض العبيد - إذا اعتراه خطب - بسيده ومخدومه وولي أمره»[1].

والجواب عن الثاني: أن المعنى يظهر ببيان المراد بكل من الموسوس والموسوس له، وكذا المراد بلفظة (الناس) والمراد بالجنة، وإطلاق لفظة الخناس، وقد اختلف في ذلك على أقوال:

الأول: أن قوله: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾: بيان للناس في الآية السابقة الذي يوسوس إبليس في صدورهم، فقد قيل: إنه يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس، وعلى هذا فلفظة الناس المذكورة آخراً بمعنى الإنس، والموسوس له عام في الإنس والجن، والموسوس - بكسر الواو - خاص بالشيطان، فكأنه قال: من شر الشيطان الذي يوسوس في صدور الجن والإنس، وعليه - أيضاً - فلفظ الناس: لفظ مشترك بين الجن والإنس، ويدل عليه قول بعض العرب: جاء قوم من الجن، فقيل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن، وقد سماهم الله - تعالى - رجالاً في قوله - ﴿ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾[2]. أو أن الجن قد

---

(١) مسائل الرازي ٣٨٩.

(٢) من الآية: ٦، من سورة الجن.

دخلوا في لفظ الناس تغليباً، ويكون المراد من الجنة على هذا الوجه: مطلق الجن، وهم الذين يوسوس إليهم.

واعترض على هذا: بأن اسم الناس لا يصح أن يطلق على الجن، لأن الجن سموا جنّاً لاجتنانهم، أي: استتارهم، والناس سموا أناساً لظهورهم من الإيناس، وهو: الإبصار، كما سموا بشراً لظهورهم من البشرة، ولو صح هذا الإطلاق لم يكن هذا المجمل مناسباً لفصاحة القرآن.

الثاني: أن قوله: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس: أنه جني وإنسي. أي أن الوسواس الخناس: قد يكون من الجنة وهم: الجن، وقد يكون من الإنس، فكما أن شيطان الجن قد يوسوس للإنسان كالناصح له؛ فإن قبل زاد في الوسوسة، وإن كره السامع لذلك انخنس وانقبض، فكأنه – تعالى – أمر أن يستعاذ به من شياطين الإنس والجن جميعاً، كقوله – تعالى – ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾[1].

وعلى هذا: فالذي يوسوس إليه الناس فقط، فيصح كون من ابتدائية متعلقة بيوسوس، أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجنة ومن جهة

(١) الآية: ١١٢، من سورة الأنعام.

الناس، ويصح كونها تبعيضية، أي: كائناً من الجنة والناس، فهو في موضع الحال، أي: ذلك الموسوس بعض الجنة وبعض الناس.

وعلى هذا الوجه: أُطلق لفظ الخناس على الإنسي، والنقل: أنه اسم للجني، وعليه – أيضاً – فالمراد من الجنة: الشياطين من الجن؛ لأنه هو الذي يوسوس لا غيره.

واعترض على هذا الوجه بأن الناس: لا يوسوس في صدورهم الناس، إنما يوسوس في صدورهم الجن.

وأُجيب بأن الناس يوسوسون – أيضاً – بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المؤدي إلى ذلك.

الثالث: أن المراد بالناس في قوله – ﴿فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ الناسي، وسقطت الياء كسقوطها في قوله – ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [١]، وكما قرئ ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [٢]، ثم بُين بالجنة والناس؛ لأن كل فرد من أفراد الفريقين (الثقلين) في الغالب: مُبتلى بالنسيان.

الرابع: أن قوله: (والناس) معطوف على الوسواس، أي من شر الوسواس ومن شر الناس، كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن والإنس.

---

(١) من الآية: ٦، من سورة القمر.

(٢) البحر المحيط ١/ ٢٠٠ ط. الرياض.

الفهرس

إهـــداء ٣
المقدمة ٥
تمهيـد ١٣
سورة مريم ١٥
سورة طه ٣٩
سورة الأنبياء ٧٦
سورة الحج ٩٩
سورة المؤمنون ١٣٤
سورة النور ١٤٥
سورة الفرقان ١٧١
سورة الشعراء ١٩٠
سورة النمل ٢١٠
سورة القصص ٢٣٤
سورة العنكبوت ٢٤٤
سورة الروم ٢٥٦
سورة لقمان ٢٦٩

سورة السجدة ٢٧٧
سورة الأحزاب ٢٨٣
سورة سبأ ٣٠٢
سورة فاطر ٣١٠
سورة يس ٣١٩
سورة الصافات. ٣٣٢
سورة ص ٣٤٣
سورة الزمر ٣٥١
سورة المؤمن ٣٦٦
سورة حم السجدة ٣٧٩
سورة الشورى ٣٨٥
سورة الزخرف ٣٩٤
سورة الدخان ٤٠٢
سورة الجاثية ٤٠٧
سورة الأحقاف. ٤١١
سورة محمد ٤١٦
سورة الفتح ٤٢٦
سورة الحجرات ٤٢٧

سورة ق ٤٤٦
سورة الذاريات ٤٥٣
سورة الطور ٤٦١
سورة النجم ٤٦٦
سورة القمر ٤٧٨
سورة الرحمن ٤٨٣
سورة الواقعة ٤٩٧
سورة الحديد ٥٠٨
سورة المجادلة ٥١٤
سورة الحشر ٥١٩
سورة الممتحنة ٥٢٧
سورة الصف ٥٣١
سورة الجمعة ٥٣٤
سورة المنافقون ٥٣٧
سورة التغابن ٥٤٠
سورة الطلاق ٥٤٣
سورة التحريم ٥٥١
سورة الملك ٥٥٧

سورة القلم ٥٦٠
سورة الحاقة ٥٦٣
سورة المعارج ٥٦٨
سورة نوح ٥٧١
سورة الجن ٥٧٦
سورة المزمل ٥٧٨
سورة المدثر ٥٨٢
سورة القيامة ٥٨٧
سورة الإنسان ٥٩١
سورة النبأ ٥٩٧
سورة النازعات ٦٠٠
سورة عبس ٦٠٢
سورة التكوير ٦٠٦
سورة الانفطار ٦٠٩
سورة المطففين ٦١٣
سورة الانشقاق ٦١٦
سورة البروج ٦١٨
سورة الطارق ٦١٩

سورة الأعلى ٦٢١
سورة الغاشية ٦٢٧
سورة الفجر ٦٣٠
سورة البلد ٦٣٣
سورة الشمس ٦٣٤
سورة الليل ٦٣٦
سورة الضحى ٦٣٩
سورة الشرح ٦٤١
سورة التين ٦٤٥
سورة العلق ٦٤٨
سورة القدر ٦٥١
سورة البينة ٦٥٢
سورة الزلزلة ٦٥٦
سورة العاديات ٦٦١
سورة القارعة ٦٦٢
سورة التكاثر ٦٦٣
سورة العصر ٦٦٧
سورة الهمزة ٦٦٨

سورة الفيل ٦٦٩
سورة قريش ٦٧٠
سورة الماعون ٦٧٢
سورة الكوثر ٦٧٤
سورة الكافرون ٦٧٦
سورة النصر ٦٨٢
سورة المسد ٦٨٥
سورة الإخلاص ٦٨٦
سورة الفلق ٦٩٠
سورة الناس ٦٩٢
الفهرس ٦٩٦